د. عبد العزيز أحمد شرف




# المكيفات

عناني

# اقرأ

تصدر أول كل شهر

[ ٤٣٣ ] مارس - ١٩٧٨

رئيس التحرير **أنيس منصور**

د. عبد العزيز أحمد شرف

# المكيفات



دار المعارف

تصميم الغلاف : صلاح عنانى

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

# فهرس

# مقدمة

اختلفت الآراء والاتجاهات المتعلقة بالمكيفات وجعلت لها تعريفات متباينة وخصتها بتفسيرات متضاربة ، إلا أنه يمكن القول بأن لفظ المكيفات يطلق على تلك المواد التى لا تكون عنصراً أساسياً لبناء الجسم وليست ضرورية لوظائفه ، ولكنها تؤخذ بغرض النشوة والكيف والمزاج والمتعة والتهدئة إلخ . . . حتى أصبحت صديقة الإنسان وأليفته ودخلت فى حياته وعاداته وأثرت على كيانه بما لا يتفق مع الحياة الطبيعية المألوفة .

فمن المكيفات التى لازمت الإنسان من عهد سحيق : المكيفات المسكرة كالخمور وهى التى تسبب السكر وغيبوبة العقل مع حركة الأعضاء . والمكيفات المخدرة كالحشيش والأفيون وهى التى تسبب التخدير وغيبوبة العقل مع فتور الأعضاء . والمكيفات المنبهة كالقهوة والشاى وهى التى تحدث

التنبيه وتدفع إلى اليقظة . وكيف التدخين ويعزى إليه الانبساط والسرور .
وهناك غير هذه الكثير من المواد المكيفة التى وجدت من قديم الزمان واستمرت مع الإنسان إلى وقتنا الحالى .

ونظراً للاعتقادات المتباينة والاتجاهات المتعارضة التى تكتنف استخدام المكيفات فقد وجدنا أنه لزاماً علينا أن نذكر صفات هذه المواد موضحين ما لها وما عليها ومدى تأثيرها فى الجسم وأثرها فى المجتمع تاركين للقارئ الكريم تقدير ضررها وأخطارها ليتخذ منها موقفاً صلباً حماية للروابط الأسرية ومحافظة على الإنسانية من التهلكة والانهيار . فقد كان سبحانه وتعالى رحيماً بعباده إذ يقول « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » والمكيفات من المهلكات ، وقانا الله شرها وحفظ مجتمعنا من أذاها . والله ولى التوفيق .

**عبد العزيز أحمد شرف**

**١٩٧٤**

# الفصل الأوّل

# المكيفات المسكرة

# المشروبات الكحولية

## تاريخها وأنواعها ومنافعها ومضارها كما يراها العرب :

يرجع تاريخ استخدام المشروبات الروحية إلى عهد قدماء المصريين وقد اشتهروا بتحضير نوعين من هذه المشروبات هما : البيرة والنبيذ . وقد استخرجوا البيرة من الشعير باستنباته فتتأثر نشوياته بالخميرة الموجودة به فتتحول إلى مادة سكرية حمضية .

رسم قدماء المصريين هذه الصناعة بكل درجاتها من نقع ثم تعرض للهواء ثم تبلل مرة أخرى ثم ترشح فى إناء مثقب ، ثم فصل القشور المرة ثم تخزين السائل فى أوان خاصة . وهناك من حوّل الشعير المنقوع إلى قوالب صغيرة جافة لتوضع عند الحاجة فى ماء ثم تعرض لبعض الحرارة لتتخمر ثم تصفى بنفس الطريقة التى تصنع بها البوظة حالياً . أما النبيذ فمن عصير العنب ومن سائل النخيل ومن البلح ( عرق ) ومن

المخيط ومن الرمان . وصناعة نبيذ العنب سهلة وتتلخص فى عصيره بالأرجل عادة ثم يوضع العصير فى أوان خاصة ، وغشاء العنب يحوى الخميرة الخاصة وقد تصل نسبة الكحول فى هذا الشراب إلى ١٤ ٪ وفى العصور الأخيرة سد القدم مسام أوانى النبيذ عادة فامتنع دخول الهواء ، وهى مادة راتنجية وقد حضر قدماء المصريين نبيذ النخيل بشق ساقه العليا أسفل الجريد فيخرج منها سائل يشبه نبيذ البلح ولم يثبت للآن وجود نخيل غير نخيل مصر استخرج منه من قبل هذا النبيذ. كما أنهم صنعوا نبيذ البلح بنقعه جافاً فى الماء ثم تصفية السائل وتخميره بالخميرة الموجودة فيه ، ولقد صنعوا نبيذ المخيط بأن صنعوا منه كعكاً ثم نبيذاً من هذا الكعك . والرمان كان من المواد التى استخدمها المصريون القدماء فى تحضير الخمور ، كما ظهر ذلك بقرطاس بردى من القرن الثالث ولم يرد وصف له قبل هذا التاريخ ، وقد أدخل القدماء المصريون كلاً من النبيذ والبيرة فى كثير من وصفاتهم الطبية .

وقد اهتم العرب بصناعة الخمور من مصادر مختلفة واستخدموها فى كثير من الحالات وقالوا عن الخمر إن الأشربة العتيقة منها تضر الأعصاب والحواس ، ولذلك ينبغى أن يمنع منها إذا كان بعض الأعضاء مريضاً وأما وقت الصحة فقد يشرب منها الشيء اليسير .. وهو مائى فلا يضر ، وإذا عتق جيداً وكان أبيض رقيقاً فهو يدر البول ، ولكنه يصدع الرأس ويضر المعدة ، وأما الحديث فهو نافخ عسر الهضم ويدر البول ، وأما المتوسط بين العتيق والحديث فهو المختار وينبغى أن يشرب فى وقت الصحة والمرض . وينبغى أن يشرب الشراب العتيق على عطش . وأما المسكر كله فضار لا سيما إذا أدمن عليه وإذا ألح المسكر على العصب ضعف واسترخى . وهناك أقوال عربية فى منافع

الشراب ومضاره وصنوفه ، فيقولون إن الشراب المسكر يسخن البدن ويعين على هضم الطعام فى المعدة وسرعة نفاذه إلى الكبد وجودة هضمه ونفاذه إلى العروق وسائر البدن ، ويسكن العطش إذا مزج بالماء ويحسن اللون ويدفع الفضول جميعها ، ويسهل خروجها من البدن بالنجد والبول والعرق . ويخرج الصفراء أيضاً فى البول ، فهو لذلك عون عظيم على ضبط الصحة إذا شرب على ما ينبغى ، وهو يطيب النوم ويثقله فتستريح لذلك النفس راحة أكثر من راحتها عند النوم على غير الشراب ، فيكون البدن من بعد ذلك النوم أقوى والحواس أذكى والهضم أجود . ومن تركه – وقد اعتاده – برد بدنه وهاجت به الأمراض والسوداوية وضعفت أعضاء الهضم كلها .

والمقدار الذى ينتفع به فى هذه الوجوه ثلاث كميات : أولاها أن يشرب بعد الطعام بقدر ما يسكن العطش سكوناً تاما ولا يزاد غير ذلك خوفاً من تفرع النفس واضطرابها وهذا هو الحد للمحرورين ولأصحاب الأبدان الملتهبة جداً ولمن يحمى جسمه عليه . والحد الثانى أن يؤخذ منه إلى أن يسر النفس ويطربها باعتدال فى ذلك من غير ثقل فى الرأس والحواس ولا يميل إلى النوم الشديد .

وأما ما جاوز ذلك إلى لجلجة اللسان وفقد صحة العقل واضطراب مفاصل البدن وضعفها عن الحركة فإنها حالة السكر وذلك ضار فى وجوه كثيرة . وقد ينفع إذا كان فى الشهر مرة أو مرتين فإن هذه الحالة تسخن البدن وترطبه وترفق أخلاطه وتفتح مجاريه . ومما يحفظ الصحة أن يشرب الخمر يوماً والماء يومين أو ثلاثة . وأما تواتر السكر وشربه على الخمار فجالب للأمراض المهلكة كالصرع والرعشة والفالج والأمراض الحارة وتورم الأحشاء

لا سيا الكبد والدبيلات والجراحات وفساد العقل وكدر الحواس وضعف الحركات وترهل البدن وذهاب شهوة الطعام . وهو يختلف فى أفعاله هذه بحسب اختلاف أنواعه ، فالشراب الأسود الغليظ الحلو أكثرها غذاء وتوليداً للحم الغليظ الأسود وهو شر على من تعتريه الأمراض السوداوية ، وجيد لمن يريد أن يزيد لحمه وللمنهوكين . أما الأبيض الرقيق فأقلها غذاء وأوفقها للمحرورين .

والأحمر المعتدل فى غلظته ورقته أعدل الشراب وهو يولد دماً جيداً . وأما الأصفر القوى الطعم جداً فإنه يسخن سخونة قوية ويضر أصحاب الأمزجة الحارة . والريحانى منه أكثر صعوداً إلى الرأس وتصديعاً له فينبغى أن يحذره من يعتريه الصداع والرمد ويسرع إلى رأسه الامتلاء ، ويدفع معتريه متى اضطر إلى شربه : شم الرياض الباردة والكافور وماء الورد والصندل وتدبير الرأس بها وبالخل ويدهن الورد والتنقل عليه بالسفرجل . والعتيق من الخمر أكثر تجفيفاً للبدن وأقل بخاراً . والحديث كثير البخار إلا أن بخاره رطب لا ينكى الرأس كثيراً كما ينكيه الريحانى . والكدر من الشراب أوفق للمحرورين غير أنه يسقط شهوة الباه . ونبيذ الزبيب المجرد يذهب مذهب الشراب الأسود الغليظ وهو أقل سخونة وأشد فيضاً . والمعسل يسخن تسخيناً قوياً وينقى الكلى ويقى من أوجاع المفاصل .

ونبيذ العسل ملهب جداً كثير التوليد للمرار ، ونبيذ التمر كثير التوليد للدم العكر قليل المعونة على الهضم ومطلق للبطن إطلاقاً ليس بنافع جداً . ونبيذ السكر مصدع سريع الصعود إلى الرأس ، إلا أنه يدر البول وينقى الكلى والمثانة ويذهب بخشونة الصدر والرئة . وأما ما يحدث عن إدمان الشراب :

ذهاب شهوة الطعام والغثى وتقلب النفس وتكسير البدن مع ثقل الرأس ونوم مضطرب وتشويش ، فإن هذه أعراض الخمار . والخمار تخمة من النبيذ ، فينبغى إذا حدث ذلك أن يطلب النوم مدة طويلة ثم يدخل الحمام ويصب على الرأس ماء فاتراً كثيراً ثم يخرج فيستريح فإذا خفت الأعراض وجاءت شهوة الطعام فذاك وإلا طلب النوم أيضاً والسكون ثم عاود الحمام حتى تخف الأعراض وترجع الشهوة ويتقيأ بالماء الفاتر مرات حتى يخرج من المعدة أولا ثم يشرب رب الرمان والسفرجل .

ويقولون عن الخمر إنه ماء العنب المعتصر المصفى ويجعل فى الجرار المقيرة فى الشمس ليغلى ويخرج زبده ثم يطين . ومما يمنعه من الغليان وظهور الزبد طرح الخردل فى رءوس الجرار فإنه لا يغلى ويخرج بذلك عن كونه خمراً فيحل على رأى بعض الفقهاء . والخمر يختلف من قبل ألوانه وأراييحه وطعومه وقوامه فى حديثه وعتيقه ، فالأبيض أقل حرارة وغذاء وأسرع انحداراً . والأسود بالضد . والعطر يولد دماً جيداً والكريه الرائحة بالضد . والحلو سريع الهضم ، ويطابق بالطبع دون البدل والقابض بالضد . والذى بدأ يحمض ينفع أصحاب المرة الصفراء . والغليظ كثير الغذاء بطىء النفوذ واللطيف بالضد . والحديث نافخ والعتيق مجفف وأجوده المعتدل القوام الأصفر اللون الريحانى المتوسط بين العتيق والحديث ، وهو حار يابس فى الدرجة الثانية ينفع من الشهوة والكلبية والرمد البلقمى والفثى ويشفى من السموم ويجود الهضم ، وإذا فرجت سكنت العطش وهو يدر البول ويسهل الطبع ويسر النفس والإفراط فى شربها يضر بالعقل والطحال والكبد الضعيف .

ويبطل الباءة ويقلل شهوة الغذاء ويحدث النسيان والبخر والرعشة

والدمع وضعف البصر والعصب والحميات والتبلد والصرع والسكتة والموت فجأة ، وشربه على الريق بعد التعب يحدث جفافاً والتهاباً وأوجاعاً . وأما ما يمنع السكر فبذر الكرنب برب الحصرم ويقلل الغذاء ويأكل الفالوذج السكرى والمحرور بتفل الرمان المز والتفاح المز وأصول الخس والجمار . ويتغذى قبل الشراب بالسماقية والرمانية والحصرمية .

**المشروبات الكحولية فى الميزان :**

المسكرات هى تلك المواد الكحولية لاحتوائها على الكحول الذى أطلق عليه الدكتور الشطى اسم الغول لأنه يغتال العقل والصواب ويحدث فى الجسم أمراضاً وعللاً خطرة . وفى النسل آفات واضطرابات عديدة وغالباً ما تستحضر المسكرات من النباتات والفواكه بواسطة التخمير . ولقد قسم الشطى المسكرات الكحولية إلى ثلاثة أنواع . الخمور والخمور المقطرة والسوائل الروحية .

**فالخمور** : تستخرج من تخمير بعض الثمار والفواكه وخصوصاً من عصير العنب المتخمر وهو ما يسمى بالخمر وبه من ٥ إلى ١٥ ٪ من الكحول ومن التفاح وهو السيدر ويحتوى من ٣ إلى ٦ ٪ من الكحول ومن الشعير وهو الجعة أو البيرة وبه من ٢ إلى ٧ ٪ من الكحول . هذا ويعرف خمر الذرة القبيراء وخمر الحنطة بالمزر .

**والخمور المقطرة** تسمى مياه الحياة وتستخرج من تقطير الخمر ومنها العرقى الذى يستحضر من تقطير عصير العنب والكونياك من تقطير الخمر البيضاء . والوسكى من تقطير الحبوب . والروم من تقطير خمر قصب

السكر . والجن من تقطير خمر بعض الحبوب أيضاً ، ونظراً لارتفاع أثمان الخمر المقطرة الطبيعية فكثيراً ما تعفن بإضافة بعض الكحول والمواد الأخرى مما يزيد فى تأثيراتها السيئة .

**والسوائل الروحية** وهى مسكرات مركبة تصنع بمزج الخمور المقطرة مع السكر وبعض المواد اللذيذة الطعم والرائحة كالينسون والنعناع وتحتوى هذه على نسب مختلفة من الكحول قد تصل إلى ٥٠ ٪ هذا وما يزيد المسكرات سوءاً على سوء إضافة كثير من المواد والسموم التى تحمل من هذه المشروبات سموماً تؤثر فى الجسم ووظائفه .

وغالباً ما تستحضر المشروبات الروحية من مصادر طبيعية نباتية ويمكن توضيح ذلك فى الجدول الآتى الذى يبين أنواع المشروبات ومصادرها ونسب الكحول بها :

| المشروب | مصدرها | نسبة الكحول |
|---|---|---|
| البيرة الخفيفة | الحبوب (خاصة الشعير ) | ٢ — ٤ ٪ |
| البيرة القوية | الحبوب | ٤ — ٦ ٪ |
| النبيذ الخفيف | العنب | ٧ — ١٢ ٪ |
| الشرى والبورت | العنب | ١٩ — ٢٥ ٪ |
| المشروبات المقطرة : | النشويات مثل : | ٤٥ — ٥٥ ٪ |
| الوسكى الأيرلندى | البطاطا | |
| الوسكى الإسكتلندى | الشعير | |
| الوسكى الأمريكانى | الشوفان والذرة | |
| الجن | أنواع الفراولة | |

| المشروب | مصدرها | نسبة الكحول |
| --- | --- | --- |
| البراندى | نبيذ مقطر | |
| الروم | تقطير العسل المخمر | |

**تأثيرات المسكرات فى الجسم :**

لقد اتصفت تأثيرات المسكرات فى الجسم عامة بغيبوبة العقل وزوال الفكر . هذا وقد يشعر شارب الخمر المبتدئ بانشراح وهناء وزيادة فى قوته وتفكيره مما يثير فيه النشوة والثرثرة ثم يعقب ذلك هذيان وترنح ثم ثبات ونوم . ولقد قال العرب عن الخمر إن الإنسان يصبح فيها أولاً كالطـاوس يختال معجباً بنفسه مظهراً علامات التيه والدلال ويصير بعدئذ كالقرد سريع الحركة يثب ويلعب وأخيراً يعود كالخنزير يتمرغ فى الأوحال والأنجاس .

وإذا تمادى الشارب فى شربه يشعر بدوران فى رأسه واضطراب فى نفسه فيخيل إليه أن الأشياء تدور حوله ويضطرب شعوره وحسه ويضعف عقله ويختلف عليه ما يبصره ويسمعه ويضطرب بصره وسمعه فيرى المعتدل مقلوباً ويسمع الأصوات طنيناً ثم يضطرب التفكير ويزول الإدراك السليم فيبحث عن المجون ويفصح عن السر المكنون . فإن كان خائفاً ضرب وهدد وإن كان عاشقاً تأوه وتنهد وتنقلب عليه أهواؤه وغرائزه البهيمية وينتقل من ضحك إلى بكاء وقد يمزق ما عليه من ملابس وما يحمله من نقود وقد يقتل نفسه أو يجنى على غيره حيث يكون قد فقد سيطرة العقل على حركته ، وهنا قد يصبح فظًّا غليظ القلب لا أمان له بعد أن كان وديعاً حتى إذا ما سعى إلى المشى خانته قدماه فيترنح شمالا ويميناً غير قادر على أن يتحكم فى جهازه العصبى فتخور

قواه فيهوى إلى الأرض بعد أن يفقد سيطرة الأعصاب على العضلات والوظائف الجسمانية فيتبرز ويتبول عن غير قصد وتضطرب رئتاه وقلبه وتتسع حدقتاه ويغمى عليه ويقع فى غيبوبة بين الموت والحياة إلى أن تتلاشى آثار الخمر من جسده . وهكذا نجد أن السكر العارض أو الحاد يفعل بالجسم فعل السموم ، ومع ذلك لا يعد ضرر هذا النوع من السكر شيئاً مذكوراً بالنسبة إلى ما يحدثه الإدمان فى الخمور .

يشعر الشارب المدمن الذى تعود على الخمور بحاجة ملحة إلى احتساء مزيد من الخمر ظنًّا منه أن ذلك يقدم تفكيره ويصلح حالته فتصبح أنسجته تحت تأثير مستمر للخمور مما يؤثر فيها ويضعفها فيسوء الهضم وتقل الإفرازات المعدية وتضطرب المعدة ويحدث القىء وينتفخ الكبد ويتشحم ويقل عمله . أما القلب فقد يضعف نتيجة لتوالى تأثير الخمر عليه وعلى الضغط الدموى الذى يرتفع ثم يهبط وهكذا إلى أن يتشحم القلب وتضعف انقباضات عضلاته . هذا وتحدث فى الجهاز التنفسى تأثيرات وأعراض تتلخص فى التهابات متواصلة فى القصبة الهوائية والرئتين مما يخشن الصوت ويضعف الرئة ويعرضها لأمراض السل والصدر . ومن التأثيرات القوية للمواد الكحولية تلك التى نراها فى الجهاز العصبى إذ تسبب وهن الأعصاب والرعشة واضطراب التفكير وغيرها . وهذه الأعراض قد تضعف فى مدمنى الخمر المقدرة التناسلية مما قد يحدث العقم ، كل ذلك يقلل من مقاومة المدمنين للأمراض وتكثر فيهم الإصابة بها وتزيد من نسبة الوفيات فيهم .

## أثر المسكرات فى المجتمع :

للخمور على اختلاف أنواعها آثار ضارة فى المجتمع فتسبب الضعف البدنى والفساد الخلقى وكثرة الإصابة بالأمراض وزيادة نسبة الوفيات وإحداث الآفات العصبية والأمراض العقلية والعيوب الخلقية فمنهم الدميم والقزم والناحل ومنهم المتهور والأبله والفاسق والعاق لأهله وذويه والمنكر لنعمة من أحسن إليه ومنهم ضعيف الإرادة المنقاد للأهواء البعيد عن الأدب والدين ، فكل هذه تعرض المجتمع إلى هزات خلقية مما يؤثر فى كيانه وإنتاجه . فمدمن الخمر لا حول له ولا قوة . يستتر من ضعفه بأفعاله الشاذة من بطش وظلم وانحراف مما يؤثر على العلاقات الودية بين الأفراد ويضعف معها الإنتاج الفردى مما قد يؤثر على الإنتاج القومى .

إن إدمان الخمور يخمد الفكر ويضعف الإرادة ويغير الخلق فيتحول طبع السكر بالمسكر إلى عناد ومشاكسة وهذيان وجنون . وقد تدفع الخمور إلى الإجرام . ولقد قال فى ذلك الدكتور الشطى إن إحصاءات الطبيب ريتوفبسن تدل على أن السكر كان سبباً فى ٩٨ ٪ من الجنايات . وأن قلة عدد هذه الجنايات فى أمة تتمشى مع نقص استهلاك الخمور فى هذه الحالات تنعدم فى شارب الخمر سيطرة المخ على أفعاله فيندفع وراء مآربه الحيوانية التى يبتعد بها عن الإنسانية . وتتلخص بالغلظة والشذوذ والإثم والمجون والخيانة والسفك والقتل . ولذلك كانت الخمور دعامة فى الشعوب من دعامات التدهور الخلقى وسبباً من أسباب الفقر والجنون ودافعاً من دوافع الإجرام والمجون مما يؤثر فى المجتمع كله وفى تقدمه .

وللخمر أثرها السيئ فى العائلات لأن الزوج السكير زوج غير صالح وأب غير سليم فيرث نسله منه بنية ضعيفة واهنة ، ولقد ذكر كثير من العلماء أن الأم الحامل تنقل الخمر من رحمها إلى الجنين فتؤثر عليه وعلى صحته وقدرته ، هذا بجانب ما يحصل عليه الرضيع من الكحول الذى ينقل إليه فى لبن أمه ، هذا ولا يصلح شارب الخمر ومدمنه أن يكون رب عائلة لنقص قوته وقلة عمله اليومى وشدة انصرافه إلى اللهو والمجون مما يؤدى إلى نقص موارده وعجزه عن تأمين نفقات أهله . فتشقى بذلك عائلته وتعم الفوضى ببيته مما يؤدى إلى البؤس والعوز والمرض فتنتشر بينهم الأمراض لقلة غذائهم وسوء تغذيتهم ، هذا وسكر الآباء يورث الأبناء استعداداً خاصًا لشرب الخمر نظراً لما للبيئة من أثر وما للتقليد من قوة فى دفع الصغار فى تقليد آبائهم فى هذا الاتجاه . فإن العوامل الاجتماعية كعوامل البيئة والتقليد تدفع الأشخاص وتؤثر فيهم فيندفع المتعفف إلى شرب الخمر لاحبًّا فيها بل مسايرة وخجلا وتقليداً لغيره ، وقد يكون ذلك اعتزازاً بمظهر خادع ومدنية زائفة . وعموماً فشاربو الخمر مصابون فى عقولهم إذ قد تكون البيئة أو الإرث أو التقليد دعتهم إلى الاعتياد والإدمان ، وأصبح السكر حاجة ماسة لهم يتوهمون أن لا غنى لهم عنها ويعتقدون أن الحياة بدونها غير صالحة . هذا وقد يكون من أسباب انتشار السكر فى المجتمع جهل الشاربين إذ يعتقدون فيما قيل بأن قليلاً من الشراب يفرح قلب الإنسان ويزيح عنه كابوس الهموم والأحزان ويقوى البدن وينشطه ، ولذلك سموا الخمور ماء الحياة وقد توهموها مغذية للشباب ومنشطة للكهول وحافظة للقوى عند الشيوخ حتى إنهم لجهلهم أطلقوا على العرق حليب السباع إشارة إلى توليد القوة على ما يزعمون . والحقيقة المرة

أن كل ذلك زائف لا أساس له من الحقيقة والعلم .

ومن آثار السكر على المجتمع أن كثيراً من المدمنين الرجال مبتلون بالقمار والولع به . ويجعل ليلهم نهاراً ونهارهم ليلاً مما يغضب الزوجات فيقل اهتمامهن ببيوتهن وتتفكك نظم هذه البيوت وتسودها الفوضى ، وهنا قد يغرى الزوج زوجته على الشرب لتجاريه فيما هو مقدم عليه من شرب وقمار ثم يدفع بها دفعاً إلى هذا حتى تصير مدمنة مثله لتسكت عليه ولا تتعرض له فى أفعاله المشينة . وقد تشعر فئة من الزوجات اللاتى وقعن فى شرك السكر بوخز الضمير مما يدعوهن إلى إغراء صويحباتهن للشرب لكى لا تنفرد بالإثم والملامة ليشربن تقليداً لها ومسايرة لروح التمدين كما يتخيلن ويزعمن . وهكذا يتسع خطر المسكرات وينتشر بين العائلات تحت ستار المدنية الزائفة والتقليد الأعمى .

هذا ولا يخفى علينا ما تحدثه الخمر من كثرة حوادث المرور . ودلت الإحصاءات على أن مدمنى الخمر لا يحسنون قيادة السيارات وغيرها من طرق المواصلات . فالسكر يؤدى إلى اضطراب السمع والبصر ويشل مراكز المخ التى تسيطر على الزمن والمسافات مما يبطئ تنبيه هذه المراكز فتختل القيادة إذ لا يوجد تقدير ولا بصر سليمان . هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد يتعرض السائق مدمن الخمر إلى كثير من حوادث المرور للأسباب السابقة حيث يهيم بدون تركيز ولا قيادة سليمة .

**علاقة الخمور بالتغذية :**

على أن مدمنى الخمور يعلمون أن المسكرات تسبب ضعفاً فى المعدة

وتقلل إفرازاتها ومقدرتها على الهضم وتحدث ضموراً فى غددها مما يسبب سوء الهضم المزمن . وقد يتلف الكبد ويتضخم ويتشحم فيقل إفرازه ومقدرته على القيام بوظائفه المتعددة مما يسبب قلة الهضم وتتدهور الصحة نتيجة لذلك فيهزل الجسم وكثيراً ما يأخذ المرء الخمور أثناء تناول الطعام بحجة فتح الشهية للغذاء إلا أنه إذا جاز ذلك فإن الخمر قد تسبب تمدداً فى جدران المعدة وارتخاءها وتفقدها قدرتها على الحركة وبهذا تعتبر المعدة بيت الداء ومصدر الضعف والهزال لأن مدمنى الخمر قليلو الغذاء ضعيفو الذاكرة ينسون بيوتهم وأنفسهم ولا يذكرون إلا الكأس التى تؤدى بهم إلى الهلاك .

هذا وإذا أخذت الخمور فكثير منها يمتص من الأمعاء وعن طريق الدورة الدموية يصل إلى الأعضاء والأنسجة الجسمانية وهناك يتم تمثيله واحتراقه فيساعد الجسم بمده بالحرارة الوقتية ، ولهذه الصفة الغذائية التى اتصف بها الخمر ادعى المدمنون وتجار الخمور والمغرضون أن الكحول غذاء مفيد لأنه كثير ما يستخرج من المواد النشوية والسكرية التى تتصف بهذه الصفة . وهذه المقارنة خاطئة إذ أن السكريات تعطى الحرارة ويختزن الزائد فى الكبد والأنسجة لاستخدامها عند الضرورة ، أما الكحول فيتحول جميعه فى الجسم ويخرج على شكل غازات وماء بالتنفس والعرق والبول محدثاً فى ذلك بعض أعراض التسمم ، فإذا صح أن للكحول قيمة غذائية ضئيلة فما من شك أنه أسوأ الأغذية وأشدها خطراً وهو غذاء سيئ ، إذ أن المادة التى تؤخذ كغذاء لا يصح أن تسمى غداءصحيحاً إلا إذا كانت غير مؤذية ولا سامة . ولقد تكلم فى ذلك بعض العلماء مثل آذوانز وبنادكت وموريكان ، ويمكن استخلاص أقوالهم فى أنه إذا ادعى بعض الباحثين أن الكحول غذاء لمجرد

توليده الحرارة فى الجسم فقد أهملوا ما يحدثه من اضطراب فى التمثيل وفى عمل الفيتامينات فى الجسم ، فقولهم فى ذلك مردود عليهم ، إذ أن الكحول لا يمكن اعتباره مادة مغذية بل هى مادة مضادة للغذاء ، وذلك مما تؤيده آراء العلماء والأطباء ، فيجب ألا ينخدع المرء بمظهر شارب الخمر إذ قد يدل هذا المظهر على صحة جيدة والواقع أن بينهم المصابين بالنقرس والتصلب فى الشرايين ومرضى القلب والكلى وهم معرضون للموت لأقل الأسباب حيث تقل فيهم المقاومة للأمراض وقد علل العلماء هذا المظهر الخادع بقولهم إن الكحول فى الجسم ينقص من احتراق المواد الازوتية والكربوايدراتية والدهنية فتتراكم الدهون فى الجسم فتكسبه مظهراً صحياً خادعاً .

ولا شك فى أن الإدمان يؤدى إلى اضطراب أعضاء الهضم والكبد مما يحدث فى الجسم أضراراً عديدة ، ومن هذه الأضرار اضطراب استهلاك الفيتامينات ولا سيما فيتامين(ب) ونقص كميته فى الجسم ، وهذا يدل على أن الكحول يقف عقبة وحائلا دون انتفاع الجسم من الفيتامينات الواردة إليه مع ما لها من أثر هام فى تنظيم التغذية والاستفادة من الغذاء . ومن مساويه على الهضم أيضاً أنه قد يزيد من الإفرازات الحمضية فى المعدة مما قد يسبب حرقان القلب والحموضة والقرحة المعدية . ومن جهة أخرى فإن كمية إفراز البيبسين وهى الإفراز الهاضمى للبروتينات فى المعدة قد يقل بالخمور وهذا يقلل من هضمها وامتصاصها مما يضعف الجسم لافتقاره لهذا العنصر الغذائى الهام .

## رأى الطب فى الكحول والخمر

إذا تكلم الطب والأطباء عن الكحول وبعض فوائده الطبية فإنما يتكلمون عن تأثيرات الجرعة الطبية منه فى أعضاء الجسم المختلفة ، وهناك فارق بين الجرعة الطبية والإدمان . إذ فى الأولى يتأثر الجسم تأثيراً وقتياً ويزول سريعاً أما فى الثانية فتؤخذ الخمور بكميات كبيرة وعلى دفعات مما يجعل التأثير مستمراً ، وإذا ما زادت كمية الدواء فقد تنقلب فائدته ضرراً محققاً . فمن صفات الكحول أنه قاتل الميكروبات ويستعمل لذلك مطهراً للجروح الخارجية وقد يحدث هذا التأثير فى الفم والمعدة والأمعاء قبل امتصاصه مما قد يسبب قتل بعض الميكروبات النافعة بالجسم والتى تحت تأثيرها تتكون بعض الفيتامينات فى الأمعاء وبذلك تقل هذه الفيتامينات الضرورية نتيجة لاستمرار شرب الخمور ، والكحول يسبب التهاب الأغشية المخاطية

سواء كان ذلك بالفم فيحدث تنبيهاً وقتياً للإفرازات الهضمية ويزيد اللعاب مما قد يساعد الهضم إذا ما أخذ بكمية ضئيلة ، وهذا ما قد يدعو إلى استعماله مشهياً . أو بالمعدة ، فيحدث زيادة بسيطة فى الإفرازات المعدية ولكن هذه الإفرازات تكون ضعيفة فى احتوائها على مادة البيبسين الهاضمة ، وهذا أول سبب فى عدم استكمال هضم المواد الزلالية عند مدمنى الخمور وذلك بجانب ما يحدثه الكحول من ارتخاء وضعف فى حركة العضلات المعوية مما لا يساعد على سرعة انتقال المواد الغذائية من المعدة إلى الأمعاء — ومما تجب الإشارة إليه فى هذا الصدد — أن الكميات الكبيرة من الكحول أو الخمور المركزة تسبب عسراً للهضم مؤكداً وضعفاً فى المعدة وإفرازاتها وقوة لهضمها ، وفى هذه الحالة تزداد نسبة الحامض المعدى الذى قد يسبب الحموضة مما يساعد على القرحة المعدية والقىء . وللكحول تأثير آخر عكسى على المعدة إذ تسبب التهاباته لأغشيتها تنبيهاً عكسياً للدورة الدموية والتنفسية والعصبية ، وهذا مما يدعو الكثيرين إلى إعطائه فى حالة الهبوط والإغماء ولكن بكميات ضئيلة وإلا أتت الكميات الكبيرة بعكس ما هو مطلوب من تنبيه وتقوية . هذا وللمواد الكحولية تأثير مضعف لحركة العضلات المعدية والمعوية مما يؤثر فى الهضم والامتصاص ويسبب كذلك ارتخاء فى العضلات المتقلصة مما يفيد فى حالات المغص ، والكحول له صفة غذائية ضئيلة يتعلل بها مدمنو الخمور وبائعوه ومدعو الطب والعلم . فالكحول لسرعة تمثيله وتأكسده فى الجسم يعطى كل سنتيمتر مكعب منه حوالى سبعة سعرات حرارية فيشابه بذلك المواد النشوية والدهنية مما يؤثر على الجسم تمثيل هذه المواد فتترسب الدهون نتيجة لذلك ، إلا أن الخمور سموم تضعف الجسم . وتودى بنشاطه

وقوته ، ومن تأثير الكحول على الجهاز العصبي أنه يضعف مراكز المخ الراقية العليا مثل ما يختص بالخجل والخوف والحكم على الأشياء ونتائجها ، وهذه تميز الإنسان عن الحيوان وهي إذا ما خمدت ظهرت أعراض منبهة لوظائف أخرى عصبية مثل الكلام والحركة وغيرها . فإذا ما اندفع شارب الخمر وأخذ منها أكثر وأكثر فيمتد هذا الخمول إلى الأعصاب الأخرى التي تختص بالتفكير والوعي والحواس مما يجعله غير قادر على تفكير سليم شارد غير مكترث بما حوله وتضعف فيه حواسه ونباهته ووعيه مما قد يدفعه إلى الهبوط والندم .

وقد يتعدى ذلك إلى أعراض أخرى أشد خطراً على القلب والتنفس مما يوجب الإسعاف السريع ، ومن تأثير الكحول على الجلد أنه يحدث فيه التهابات مما يجعله يفيد فى آلام العضلات والمفاصل ويدخل فى تركيب كثير من المراهم والدهونات ويحدث فى الجلد كذلك اتساعا فى أوعيته مما يسبب زيادة فى العرق وشعوراً بالدفء وهذا مما يجعله مستعملاً فى البرد .

وقد يكون ذلك خطراً إذا ما أخذت الخمر وتعرض شاربها لبرودة مفاجئة مما قد يسبب التهابات الرئة والنزلات المختلفة . وللكحول كذلك تأثير فى قتل ميكروبات الجلد وما به من جروح وقروح .

## درجة الاحتمال والإدمان للخمور :

من الواضح والمشاهد فى متعاطى الخمور أنه إذا ما تكرر أخذ المواد الكحولية فإن النتيجة الحتمية لذلك ظهور خاصية احتمال الجسم لهذه المواد وهذا يوجب زيادة فى معدل تعاطى الخمور لتحدث فى الجسم أعراضاً

معينة . أى أن من اعتاد قدراً معيناً من الخمر فسوف يأتى الوقت الذى يجب فيه مضاعفة هذا القدر وحينئذ تزداد نسبة الكحول فى الدم مما قد يحدث الأعراض السامة .

وقد تصل درجة الاحتمال أقصاها إذا ما أخذت الخمر بمقدار ثلاثة إلى أربعة أضعاف (فى المدمنين) القدر الذى تعودوا عليه فى الحالات العادية . ولقد أثبتت البحوث أن قوة التحمل للخمور ومضاعفة الجرعات لا تأتى نتيجة لتأخر امتصاص الخمر ولا إلى قلة تسرب الخمر للمخ ولا للأكسدة السريعة لها ولا إلى سرعة إفرازها من الجسم . ومن الواضح فى ذلك من التجارب أن قوة الاحتمال هذه تظهر فى أنسجة الحيوانات وأن الأعراض السامة لا تظهر فيها إلا بعد درجة معينة عالية من تركيز الخمر بالدم . وقد تحتاج مثل هذه الدرجة إلى عديد من الشهور لتزول آثارها فى الجسم . هذا ويكثر تعاطى الكحوليات بسبب الإدمان عند المتعاطين وتظهر فى هذه الحالة بعض الأعراض ( أعراض المنع ) إذا ما منع الكحول عن المدمن وقد تكون هذه الأعراض نفسية أو عضوية .

وغالباً ما يلاحظ فى مدمنى الخمور أن لهم قدرة على احتمالها أكثر من غيرهم إلا أن فى بعض الأحيان نجد فى شاربى الخمر قوى احتمال لها بدون أن يكونوا مدمنين . وفى هذا الصدد إذا ما قارنا قوة الاحتمال فى كل من الكحول والمورفين نجد أنها فى الأخير لا ترى بدون أن يصحبها بعض الأعراض الجسمانية .

**التأثيرات المرضية للخمور :**

هناك تأثيرات باثولوجية تظهر فى الغالب فى حالة استعمال المواد الكحولية بصفة مستمرة وأن غالبية هذه التأثيرات المرضية كان يظن أنها ناتجة من تأثير الكحول العام إلا أنه قد ظهر أنها تحدث نتيجة لنقص الفيتامينات فى الجسم وعن قلة المواد الغذائية التى يحصل عليها جسم المدمن أو نتيجة للاضطرابات المعوية التى تعترى هؤلاء المدمنين . وهذه تتضح من الأعراض التى تظهر فى كثير من المدمنين ، وتشير غالبيتها إلى مشابهتها لأعراض نقص الفيتامينات المختلفة . والكبد من الأعضاء الهامة التى تتأثر من الخمور والمواد الكحولية إذ غالباً ما يصاب بالتليف والأعراض الباثولوجية الأخرى . كما أنه من الملاحظ أن غالبية هذه الأعراض لا تحدث فى المدمنين ممن يهتمون بغذائهم ويأخذون القسط الوافر منه ، ولكنها تحدث فى هؤلاء المدمنين الذين يهتمون بالخمر دون الغذاء . إذ فى الغالب ما تولد المركبات الحرارة الجسمانية مما قد يدعو إلى عدم الميل للمأكولات وبالتالى إلى عدم الحصول على الفيتامينات الضرورية للجسم ، فمثلا أمراض القلب التى ترى غالباً فى المخمورين ما هى إلا نتيجة مباشرة لنقص بعض الفيتامينات خاصة الثيامين ولكنها تأتى من الإدمان ، والخمر فى ذلك وسيلة غير مباشرة لهذه الأمراض . وبجانب ما سبق ذكره من الأعراض المرضية الباثولوجية فهناك ضرر واضح من إدمان الخمور فى كونها تضعف مقاومة الجسم وتجعله عرضة للميكروبات والجراثيم التى قد تسبب له العدوى وهذه أيضاً تكون نتيجة لنقص الدواء والغذاء وما إلى ذلك من الفيتامينات التى بنقصها يضعف الجسم عامة وتضعف قوة احتماله خاصة وتجعله عرضة للمرض .

**أعراض التسمم بالكحول :**

تختلف هذه الأعراض تبعاً لحالة شارب الخمر نفسه أى هناك أعراض للتسمم الحاد وأخرى للتسمم المدمن . فمن أهم الأعراض فى حالة التسمم الحاد – وهو ما قد يحدث سريعاً بعد أخذ الخمر بكميات كبيرة . . ظهور المصاب فى حالة إعياء وإغماء مع خمول وطراوة وبرودة فى الجلد . ويصحب هذا أيضاً انخفاض فى درجة الحرارة للجسم وبطء فى التنفس واتساع (فى بعض الأحيان) فى حدقة العين ثم زيادة فى ضربات القلب ، وهذه الأعراض إذا ما استمرت أكثر من عشر ساعات فقد يعقبها الالتهاب الرئوى وارتفاع فى الضغط الداخلى بالمخ والوفاة فى مثل هذه الحالة ، نادرة الحدوث إلا إذا استمر فقدان الوعى لساعات متعددة أو إذا ما تعرض المصاب إلى عدوى قد تسبب المرض والوفاة . أما فى حالات التسمم المزمن أو البطىء فهناك أعراض كثيرة ترى فى الأعضاء الداخلية فتسبب لها الضعف والمرض وفى المقدرة التناسلية حيث يضعفها وفى متوسط طول العمر فيقصرها . وبجانب كل هذه تلاحظ الأعراض المرضية فى الجهاز الهضمى ، إذ تكون هناك التهابات فى الأمعاء مصحوبة بالقىء والإسهال مسبوقة بالغثيان . ونجد كذلك اتساعاً فى الأوعية الدموية الجلدية وخصوصاً الموجودة بالوجه مما قد يسبب احمرار الجلد . ومن الواضح كذلك الضعف والهزال وسوء التغذية ونقص الوزن . ومن الأعراض العامة التى تلاحظ فى مثل هؤلاء التغير الواضح فى شخصية المصاب والعوائد ثم الانهيار العصبى الذى يلاحق السكر

المزمن . وغير هذه يلاحظ تليف الأعضاء والتهاب الأعصاب وضمور عصب البصر وبالتالى ضعف النظر والاضطرابات العصبية والنفسية ، وقد يصحب كل ذلك الإصابات والاضطرابات العضوية نتيجة لضعف الحيوية والمقاومة الجسمانية .

وهناك ظاهرة واضحة فى معتادى الخمر وهى كبر الأنف واحمرارها تسمى ( أنف المخمور ) ويختلف العلاج باختلاف الحالة نفسها : ففى التسمم الحاد بالخمر يجب تدفئة المريض وغسل المعدة وإعطاء حقن مقيئة لإزالة المحتويات المعدية ويكتفى بإعطاء بعض المنبهات مثل الكافين ليحدث التنبيه لإمكان مقاومة الإعياء والإغماء الذى يحدث من الخمر ويمكن إعطاء الكافين على شكل ملح نصف جرام حقناً فى العضل أو بشكل قهوة ، أو حقنة شرجية كما يمكن استخدام بعض المنبهات الأخرى مثل الأفدرين والإمفيتامين . ويستحسن القيام بعملية التنفس الصناعى إذا كان التنفس متأثراً تأثراً شديداً بالخمر كما يأخذ عن طريق التنفس خليطاً من الأكسجين وثانى أكسيد الكربون . وحقن محلول مركز للجلوكوز بالدم من المفيد جداً لإقلال الضغط المخى ، وبجانب هذه الوسائل فإن الحالة تستدعى التطبيب والرعاية حتى لا تحدث مضاعفات قد تزيد الحالة سوءاً – أما إذا كانت الحالة من تسمم مزمن فالعلاج قد يكون نفسانياً أو دوائياً – وقد كان من المستعمل قديماً فى مثل هذه الحالة إعطاء الأتروبين والأستركيتين إلا أنها قد قلت فى الأيام الأخيرة . ومن المستعمل حالياً عقار تترائيل ثيورام . وهو المستحضر المعروف باسم (انتابيوس) وهذه المادة تزيد فى الجسم تركيز الأسيتالدهيد نتيجة للإقلال من أكسدته

بالجسم وهى المادة التى تكونت أثناء أدوار تمثيل الكحول . وقد ظهر من البحث أن هذه المادة ( الانتابيوس ) لا تزيد فى تمثيل الكحول بل قد تعمـــل على تأجيله فى بعض الأحيان . ونظراً لوجود الأسيتالدهيد بالأنسجة . وظهر من البحث العلمى أن الأسيتالدهيد هذا يتكون غالباً فى كثير من الحيوانات التى تعطى مادة ( الأنتابيوس ) مع الكحول . وبذلك يرى أن هذه المادة تؤثر فى الكحول . ومن الوسائل العلاجية الأخرى فى حالة التسمم المزمن للكحوليات العلاج النفسى للمرضى والتنويم وكذا الاهتمام بإعطاء الفيتامينات مثل الثيامين وحمض النيكوتينك وكذا إعطاء المهدئات مثل البارالديهيد . وهناك وسائل عديدة لعلاج حالات السكر مما لا يتسع المجال لذكرها .

**ما ينسب إلى الخمر من منافع :**

١ – **هل الخمر غذاء ؟** هنالك بعض منافع صحية تنسب للخمر فيتوهم بعض أن الخمر غذاء والخمر بنفسها لا يمكن أن تغذى الجسم مطلقاً . إذ أن الكحول يمتص من المعدة والأمعاء بمجرد وصوله إليها ثم يصل إلى الدورة الدموية وإلى الجهاز العصبي فيذوب فى الخلايا العصبية ويجعلها أكثر سيولة ويقلل من نشاطها حتى يشلها .

٢ – **هل تنبه الخمر الهضم ؟** والخمر لا تنبه الهضم كما يظن كثير من الجهلاء بل تهيج الخمر الغشاء المخاطى للمعدة وتغير طبيعة العصير المعدى ، وتذكر كتب علم المادة الطبية فى تأثير الكحول على المعدة أن الكحول لا يسبب إفراز العصارات المعوية النشطة الفعالة ولكنه

يساعد على إفراز كمية أكبر قليلاً من الحامض لا غير . ويشل الإفراز المعدى ويحدث ضموراً فى الغدد المعدية . والخمر تؤثر على الزلاليات فى المعدة ( كاللحوم ) فتجمدها . وكذلك يفعل الخمر مع البيبسين فى العصارة المعدية ، وتنصح كتب علم المادة الطبية بل تأمر بعدم استعمال الخمر فى حالات التهاب المعدة كما قدمنا ، والخمر بجانب ذلك يبلغ تأثيرها إلى مدى يجف معه الفم وتعوق إفراز اللعاب ، وهكذا ترى كيف تحدث الخمر سوء الهضم وتغير طعم الفم . إلى غير ذلك مما تجده فى كتب الطب .

٣ – **هل الخمر تدفئ وتزيل البرد ؟** يحسب السكارى – وهم مسرح ألعاب الخمر وميدان نكباته – أن الخمر تدفئ الجسم وتزيـــل البرد فهل تفعل الخمر ذلك طبيًّا ؟ لقد ذكرت جميع كتب علم المادة الطبية أن الكحول إذا وضع على جلد المرء يحدث فيـه انخفاضاً كبيراً فى درجة الحرارة وذلك لما للكحول من سرعة التبخر الذى يحتاج إلى حرارة فى هذه العملية الطبيعية فيأخذ هذه الحرارة من الجسم فيقلل درجة حرارته .

وأما استعمال الخمر من الداخل فالكحول بحسب ما تذكر كتب الطب يحدث انخفاضاً فى درجة الحرارة وهذا الانخفاض ناشئ من تمدد الأوعية الدموية التى على سطح الجسم مما يدعو إلى تسرب الحرارة إلى خارج الجسم ، فأى وهم يعيش به شاربو الخمر وأى جهل يهيمون فى واديه . وربما يكون هذا الادعاء ناتجاً من تمدد أوعية الجلد والعرق .

٤ – **هل تزيد الخمر الدم ؟** وهل لشاربى الخمر وأمثالهم من الجهلاء

دليل على فائدة الخمر للصحة إلا ما يشاهدونه من تورد خدود شاربي الخمر واحمرارها وامتلائها بالدم ؟ . ألا فليعلم هؤلاء الجهلاء أن احتقان وجوههم ما هو إلا مرض وحادث غير طبيعي في بدنهم ، ولقد ذكرت فيما تقدم كيف أن الخمر تحدث تمدداً كبيراً في الأوعية الدموية التي على سطح الجسم فتندفع إليها الدم ويقل الدم الموجود في الأوعية التي في الداخل بانكماشها ، وهكذا تختل الدورة الدموية بجانب المصائب الأخرى التي تحدثها هذه المادة السامة مما سيأتي بيانه .

**تحكم الخمر في شاربها :**

للخمر فعلان خطران تستولي بهما على عقول الشاربين فتجعلهم تحت سلطانها وتقودهم إلى العته والجنون وتتحكم في أجسام المساكين فتضنيها وتذيقها ريب المنون . إن شارب القليل من الخمر لا يلبث أن يكون رغم أنفه مدمناً مستعبداً لها مما قد يجعله بعد ذلك عاجزاً عن الهرب مما وقع فيه من الرق والأسر ، وهذه هي الخاصية الأولى للخمر التي تصيب الشاربين مطلقاً ، ولهذه الخاصية ترجع أسباب الأمراض .

والخاصية الثانية للخمر يسميها الطب بالمقاومة أو الاحتمال وذلك أن من تكفيه كمية محدودة من الخمر للمرور بالدور الأول مثلا يصبح وقد صارت لجسمه قوة مقاومة خاصة تحتاج لكمية أكبر من الكمية الأولى ليمر بنفس الدور وهكذا حتى تصير الكمية التي تكفي لقتل نفس لا تحدث عنده إلا أعراض الفترة الأولى وهكذا يزيد مقدار السم ويتسع عمله ويعم أثره حتى يصيب أهم الأعضاء الحيوية

### تأثير الخمر على الأعصاب :

للخمر تأثير على المراكز العصبية حيث تنبهها فى أول الأمر ولكن لا يلبث الحال أن ينعكس فيحدث الخمول فى هذه الأعصاب وينتهى الأمر بتخديرها وتعطيل عملها ومن ثم يتسبب فى الموت الذى يكون نتيجة مباشرة لإيقاف عمل المراكز الحيوية فى الجسم .

هذا الحال هو ما نشاهده فى شارب الخمر فنراه أولا قد انعدمت عنده فضيلة المروءة والحياء ، وينطلق لسانه بألفاظ لو كان حافظاً لقواه العقلية ما فاه بها وتصدر عنه أفعال وحركات تضحك الثكلى وشر البلية ما يضحك .

هذه الفترة هى التى تجعل من الإنسان حيواناً مهيناً مستهتراً بالكرامة والدين معرضاً للوقوع فى حبائل الرذيلة والفساد وهى قصيرة الأمد لا تلبث فترة الخمول أن تأتى عليها . فترى الشارب وقد اختلت أعمال مخه وفقد إحساسه وتجسمت فيه البلاهة بأقبح أشكالها وسرعان ما يدخل السكران فى الفترة الثالثة ، وعندها يكون السم قد عمل عمله فى المراكز العصبية الحيوية فى الجسم فيعطلها وتحدث الوفاة وقد يكون سبب الموت تعطيل الخمر لعمل مراكز التنفس والدورة الدموية جميعاً .

وتمتص الخمر بسهولة من المعدة والأمعاء فتصل إلى الدورة الدموية بدون تغيير حيث توزع على سائر أنسجة الجسم وسوائله فتحدث فيها التأثير السيئ وتصيبها بالعلل الخطرة ويروى ( سدنى سميث ) عن ( أشفيزهيمر )

إنه وجد أن التسمم الكحولى يعمل عمله حين تبلغ النسبة المئوية فى الدم مقدار ١٥٣و٠ ٪ ويزداد هذا التسمم خطورة حين تبلغ النسبة ٢٢٧و٠ ٪ وأما إذا ازدادت النسبة على ذلك فليس هنالك سوى الغيبوبة فالوفاة .

**استغناء الطب عنها كدواء :**

وإذا كانت هنالك بعض الحالات المرضية النادرة التى تنفع فيها الخمر فعلى الطبيب أن يستعيض عنها بالكحول النقى الممزوج ببعض مواد أخرى إذا لزم الحال ، والطبيب حينئذ يصف الكحول كما يصف سائر العقاقير السامة المعروفة بمقاديرها الطبية اللازمة مع العلم أن الإسراف فى استعمال الكحول حرام كحرمة الإسراف فى استعمال سائر السموم المستعملة فى الطب . وبجانب ذلك فالأحوال التى يستعمل فيها الكحول نفسها تعد نادرة كما تقرر كتب الطب ، وعلى كل حال لا يستعمل الكحول طبيًّا لتقوية الباه أو للتدفئة أو للأغراض التى يشرب من أجلها السكارى الخمور ولا يستعمل الكحول كذلك فى جميع الحالات لتنبيه المخ واحتقان الدماغ أو إصابته ، ولا يستعمل كذلك فى الكيلاء ( التهاب الكلية ) والكباد ( التهاب الكبد ) والمعد ( التهاب المعدة ) وغيرها . وإنى أستطيع أن أقول إن الجاهل وحده الذى يشرب الخمر مع ما هو معلوم من أضرارها التى يلمسها القارئ فى هذا البحث والعاقل هو الذى يلجأ إلى الطبيب الموثوق بشرفه وعلمه فيصف له علاج الداء وهذا الطبيب وحده هو الذى يمكنه وصف الكحول كما يصف أى نوع من أنواع السموم بالمقادير المعروفة فى الطب ، وإنك لترى كيف ينقاد الطب إلى تعاليم الإسلام وكيف يوفق

الأطباء إلى العمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إن الله عز وجل أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ولا تتداووا بحرام ) وشاربوا الخمر لا يشربونها لأنهم مرضى الأجسام يبتغون علاج أمراضهم بها ولكنهم مرضى النفوس والعقول والأرواح وإلا فلم يشربونها وفيها الذى فيها مما هو موضح فى هذا البحث ومقرر فى كتب الطب .

**الجنون الكحولى :**

والجنون الكحولى هو الاختلاط العقلى الناشئ من شرب الخمر وهو حالة تصل بالإنسان العاقل إلى درجة أحط من الحيوان غير العاقل أو تصل به إلى درجة الجنون الخطر مما يسلبه صفة الإنسانية والعقل ، ويرجع ذلك إلى تأثير الخمر على المخ تأثيراً يفقده وظيفته ولا تكون النتيجة بعد ذلك إلا الاختلاط العقلى أو الموت ، ولكى تأخذ فكرة عن مقدار تغلغل سم الخمر فى الأعصاب ومقدار الزمن الذى تبقى فيه الأعضاء تحت تأثير فعل الخمر الهدمى ، أذكر لك ما ذكره مارينسكوويوليان – فى الجريدة الطبية البريطانية الصادرة فى ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ – أنهما وجدا الكحول فى سائل النخاع الشوكى بعد تجرعه بثمانية أيام ولقد وجدا كذلك أنه يمكن فصل الكحول بعد تعفن الجثة وهو يدل على عظم تغلغله فى الجسم .

هذا المرض يؤثر فى علم المرء وإدراكه ويؤثر فى شعوره وإحساسه ويؤثر فى عمله : أما تأثيره فى علمه فهو عدم إدراك حقيقة الشىء مع وجوده أو كتخيل أشخاص غير موجودين أو سماع أصوات غير موجودة

وهو ما يؤدى إلى فقد الذاكرة كما يحصل فى الهستيريا .

إن مجرد اضطراب الذاكرة يقلل من قيمة القوى العقلية ولذلك يمنع الدين الإسلامى الأخذ بشهادة شاربى الخمر فى المحاكم لاختلال أعصابهم وارتباك مخهم واضطراب ذاكرتهم وشذوذ أفكارهم .

هذه إشارة لما يصيب إدراك الشخص وعلمه . أما فيما يتعلق بشعوره وعمله فالخمر تؤثر فى شاربها تأثيراً قد يدعوه إلى الانتحار أو القتل أو ارتكاب جرائم مختلفة كهتك العرض وغيرها من الجنايات التى تشغل المحاكم دائماً .

وهناك نوع آخر من الخلل الكحولى يصحبه عادة التهاب عصبى ويسمى مرض ( كورساكو ) ويمتاز هذا المرض بفقد الذاكرة فيما يتعلق بالحوادث القريبة واضطراب فكرى فيتخيل وجوده فى عالم آخر لا حقيقة له ، ويذكر أشياء لم تحدث ، فيدعى مثلا أنه كان بالأمس يعبث فى جهة ما مع أنه لم يبرح الفراش أو يدعى أنه كان سائراً فى الطريق فهجم عليه اللصوص وسلبوا نقوده مع عدم حصول شىء من هذا مطلقا ، ومن الأمراض التى تصيب شاربى الخمور الصرع كذلك .

والجنون الكحولى المزمن هو السبب المباشر لجميع الجرائم الجنسية المتسببة عن الغيرة وهذه الجرائم تكون فى الغالب قتل الأبرياء وتنشأ الحالة بأن يحسب المعتاد على الخمر أن امرأته تحب سواه وتنشأ فى فكره أشياء خيالية تثبت لديه ما يجول بخاطره من الأوهام ويذهب إلى امرأته ليرغمها على الاعتراف باستعمال القوة ، وبعد مشاجرات وتخيلات ينتهى الأمر بقتل الزوجة دون العشيق وقد يقتل هذا المعتوه

اولاده انتقاماً إذ يخيل إليه أنهم ليسوا بنيه بل جاءت بهم امرأته من عشيقها لموهوم .

## الخمر والأخلاق :

والخمر هى الدافع الأساسى لجميع الموبقات والعامل الوحيد فى سقوط الذكور والإناث كالحمل سفاحاً واليأس وحوادث الانتحار ، وقد أثبتت الإحصائيات التى جمعها باير فى ألمانيا أن ٥٠ – ٧٠ فى المائة من حوادث الاعتداء الإجرامى تقع تحت تأثير الخمر وأن ٧٥ – ٨٠ فى المائة من الحوادث الظهور بمظهر مناف للآداب إنما تقع كذلك بسبب الخمر ( فوريل ) وقد ذكرنا ما تحدثه الخمر من هذيان الغيرة عند الكلام عن الجنون الكحولى والتسمم المزمن للخمر .

ويجب أن تعرف أن الزنا والخمر صنوان وتحف بهما كل الرذائل المعروفة فى العالم كالدعارة والقوادة والفحش والفجور وضعف الخلق وفساد النفس والخبث والغدر والنفاق والخديعة والرياء إلى غير ذلك من الصفات الخلقية الدنيئة وأنك لا تجد مجرماً لا يسكر ولا تجد سكيراً غير مجرم وهل تجد فى العالم من سبب لجمع الموبقات غير الخمر ؟ وقال الضحاك بن مزاحم يوماً لرجل يسكر : ما تصنع بالنبيذ ؟ فقال إنه يهضم طعامى ، قال إنه يهضم من دينك وعقلك أكثر . وقيل للعباس ابن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد فى سماحتك فقال : أكره أن اصبح سيد قومى وأمسى سفيههم . وقد علمت أن الخمر لا تهضم الطعام أو تزيد السماحة . والعاقل من لا يصاحب شارب الخمر

ولا يخالطه ولا يرتبط معه بصلة ، إذ تكفى سفالة وسطه وفساد نفسه وانهيار أخلاقه وتوقع غدره وفقد الثقة به وحيوانيته وما فيه من الشذوذ والأمراض النفسية والجنسية .

**الخمر وشذوذ العاطفة الجنسية :**

ويكفى أن تعرف أن الخمر تقتل العواطف السامية فى الإنسان كالحنان والعطف والواجب ، وتعمل الخمر كذلك على إضعاف الإرادة وتعطيلها وتسلب قوة السيطرة على النفس ، وهذا يعلل ما نشاهد من حالات الاعتداء على الفتيات والعربدة فى المواخير والاتصال بنساء الطبقات الدنيا من العاهرات والمومسات والزانيات والقوادين وذوى الأخلاق الساقطة من الشبان والرجال والفحش فى الحديث والسماجة وغيرها من الصفات الدنيا التى يتصف بها شاربو الخمر .

بل إن الخمور تحيي فى شاربها لوثات وراثية قديمة فى العاطفة الجنسية كمرض الكشف التناسلى وعشق الجنس واللواط وجماع الحيوان وغير ذلك من أمراض العاطفة الجنسية ، ويذكر فوريل أنه لاحظ أن عدداً كبيراً من العاديين من حيث العاطفة الجنسية وقد تحولوا إلى ذلك الشذوذ عن العاطفة الجنسية بعد تناولهم أقل كمية من الخمور . بل إن الخمر تحدث شذوذاً فى العاطفة الجنسية من أى نوع ، فتجد شارب الخمر عاهراً أو مصاباً باللواط أو محباً لوطء الحيوان أو مصاباً بأحد الأمراض النفسية كمرض سادى أو سوشر ماسوك وغيرها ، وقد يكون مصاباً بأكثر من مرض واحد : كالزنا واللواط وتحمل الأذى وهكذا .

بل تحدث الخمر شذوذاً أكبر من ذلك وهو الفجور فى القرابة والزنا بإحدى الأقارب ، وقد روت كتب التناسليات كثيراً من هذه الفظائع والمصائب التى تنجم عن شرب الخمر ، وقد روى عن قيس بن عاصم فى الجاهلية أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له : أو ما علمت ما صنعت البارحة ؟ فأخبر بالقصة فحرمها على نفسه وكان ممن حرمها على نفسه قبل الإسلام .

ويعجبنى قول الشاعر :

وكل أناس يحفظون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريم
فإن قلت هذا لم أقل عن جهالة ولكننى بالفاسقين عليم

ويروى فوريل حادثة امرأة سلمت لزوجها السكير ابنته ليعبث بها ، ويروى عن رجل فى سن الخمسين متزوج وأب لستة أبناء تتراوح سنهم من ٦ — ٢٤ سنة اعتدى عليهم جميعاً ذكوراً وإناثاً . ووطأ ابنه وهو فى سن الثامنة عشرة أمه وأخته . وكان الأب يطأ كذلك الكلاب والقطط ، وهذا راجع طبعاً لفساد النطفة بالخمر ، وراجع كذلك لما تسببه الخمر من الضعف العقلى وإفساد العاطفة الجنسية ، وهنالك أمراض كثيرة تصيب شاربى الخمر كاغتصاب الأطفال بالقسوة والتعذيب التناسلى والهستيريا التناسلية وغيرها من العواطف الجنسية الشاذة التى لا سبيل إلى حصرها والتى تسببها الخمر . وذكر فوريل أنه فى بعض نواحى بلجيكا حيث يكثر شرب الخمور قد ترى أحياناً بعض كائنات بشرية تجامع بعضها جهراً فى الشوارع كالحيوانات .

**تأثير الخمر على الأعضاء التناسلية :**

إن الكثيرين من ضعاف العقول يحسبون أن الخمر مقوية للناحية الجنسية ، ومن هذا الطريق يدخل إليهم الشيطان ليستدرجهم ( وما يعدهم الشيطان إلا غروراً ) والحقيقة أنه ليس للخمر تأثير طيب من هذه الناحية ، واما ما يشاهد من تنبه بعض الناس فى المراقص جنسياً بشرب القليل من الخمر فليس هذا يرجع إلى تنبيه الخمر للباه ولكنه يرجع إلى تأثير الخمر على المخ ولا يتعدى هذا التأثير إمالة ميزان العقل والشعور بعدم الحياء أو المبالاة ، فيشعر الشارب بأنه لا بأس من أن يطأ المرأة التى تصاحبه وتراقصه . ولقد ثبت علمياً أن كمية الخمر التى يأخذها الذكر فى المرقص وهو مع إحدى الساقطات لا تحدث عند نفس الشخص تأثيراً إذا أخذها وحده بعيداً عن النساء .

وهنالك حقيقة علمية خطيرة يجب أن يعلمها الناس جميعاً ، وهى أن شارب الخمر ينتهى أمره عادة بالارتخاء التام وذلك نتيجة رد فعل شديد فى أعصاب المراكز العليا والسفلى فى الجسم ولقد ذكرنا آنفاً فعل الخمر فى هذه الأعصاب ويقول شكسبير شاعر الإنجليز عن الخمر فى حديث العهد بشربها إنها تثير الشهوة ولكنها تعطل العمل .

ومن المعروف كذلك علمياً أن البيرة بما تحدثه من إدرار البول تعوق كذلك الانتصاب وتسبب العنة ، والخمر بجانب ذلك تحدث سرعة الإنزال وهو ما يضر المتزوج ضرراً بالغاً بما يحدثه من التأثير فى الزوجة

مما لا مجال لبيانه هنا . ولقد دعانى لذكر هذه الحقائق ما أراه من رجوع سبب الإدمان فى معظم حالات الشاربين إلى طلب الحصول على اللذة الجنسية بالخمر ، فتصبح أبعد ما يكون منهم ولا يلبثون أن يقعوا فى هاوية الإدمان .

ويجب بجانب ذلك أن نذكر أن العملية الجنسية لا تتوقف على الجهاز التناسلى فحسب ، بل إن أى ألم يحدث لجسم المرء أو مرض يصيب أى عضو من أعضائه كالقلب والكبد والكليتين والمخ وغيرها تسبب للمصاب ضعفاً جنسياً ظاهراً يشتد باشتداد وطأة المرض عليه ، ولهذا الضعف كذلك ارتباط وثيق ببعض غدد الجسم . كالغدة الدرقية والنخامية وغيرها إذ تؤثر فيها الخمر تأثيراً سيئاً فيترتب على ذلك حدوث الارتخاء . وسأبين بعد ذلك الأمراض الفتاكة التى تسببها فى الأعضاء الهامة فى الجسم كالقلب والكبد والكليتين وغيرها فإن « سروسز » الكبد مثلاً يجعل المرء غير قابل للزواج مطلقاً وكذلك أمراض القلب مما يضع الخمر موضع أكبر عدو لسلامة الأبدان لخطورة العلل التى تحدثها ولاستحالة علاج أكثرها .

وبذلك تعتبر الخمر طبياً خطراً عظيماً على الوظيفة الجنسية بتأثيرها السيئ فيها مباشرة وللآفات التى تحدثها فى المراكز العصبية وللاضطرابات التى تسببها فى وظائف الأعصاب ولرد الفعل الشديد الذى تفعله فيها ، وللهبوط الأخير المترتب على ذلك ، وأما تأثير الخمر غير المباشر على هذه الوظيفة فهو عملها الهدمى فى الأعضاء الحيوية فى الجسم وسيأتى بيان ذلك فى موضعه .

## تأثير الخمر فى النسل :

يجنى شارب الخمر على ذريته جناية لا تغتفر ، فإنه يتسبب فى وجود أطفال معرضين لتشوهات خلقية وخلقية قبيحة ، وذلك لأن الخمر تتغلغل تغلغلاً سحيقاً فى جميع خلايا الجسم خاصة العصبية منها ولا تخلو منها الحيوانات المنوية ، إذ تنتقل إليها الإصابات بواسطة التلقيح إلى بويضة الأنثى فتصبح العلقة مريضة . وأبين هذا التأثير فيما يلى ( وصفى ) :

١ – **الخمر والإجهاض** : تعتبر الخمر من أهم العوامل الرئيسية المسببة للإجهاض ، والإجهاض هو ولادة الطفل قبل بلوغه كمال النمو الطبيعى أو لفظ الجنين من الرحم قبل ميعاد الوضع ، الأمر الذى يسبب للأم متاعب جمة هى فى غنى عنها ومضاعفات خطيرة تودى بحياتها ، ولقد صدق المثل العامى القائل « ولادة كل يوم ولا سقطسنة » .

٢ – **الخمر والطفل بعد الولادة** : وإذا نجا الطفل من الموت وهو فى الرحم جنيناً فليس معنى ذلك أنه تخلص من أضرار الخمر التى سممه بها أبواه ، بل سوف يجنى الثمرة الخبيثة التى هيآها له ويرزح تحت عبء الأمراض المضنية والعلل المميتة التى أرادا أن يصيباه بها ، وهو المسكين الذى لم يرتكب إثماً ولم يشرب سماً ، بل ذنبه الوحيد أنه وجد من والدين عديمى الحكمة والتدبير ظلما أنفسهما وحملاه جريرتهما وسببا له نكد العيش وأهدياه مصيبة لا سبيل إليه لرفعها عن كاهله وقد

صدق المعرى حين قال :

هذا جناه أبي عليّ     وما جنيت على أحد

وإنى لست أعجب ممن لم يرشده دينه إلى ما فيه صلاح جسمه وسلامة بدنه ، فلهذا بعض العذر فى ركوب متن الشطط وولوجه أبواب الظلمة والضلال لكن عجبي ممن أرشده دينه إلى سبيل السلام فحاد عن طريقها وركب رأسه وتوغل فى الفساد والمعصية .

إن أقل الناس إدراكاً وأفسدهم رأياً لا يصح أن يجنى على أطفاله فيورثهم عللاً يقاسون منها ما يقاسون ويلاقون من صعابها مالا قبل لهم بها .

تؤثر الخمر تأثيراً خاصاً فى نطفة الرجل إذ تفسد بروتوبلازم الخلايا التناسلية أو تشوهها وتجعل كروموزوماتها الاضطرابات المرضية من المورث إلى نسله سواء كانت تلك الاضطرابات خِلْقِية أو خُلُقِية وعندما تصل النطفة إلى بويضة الأنثى تعديها فتنتج العلقة حاملة نواة الضعف العصبي والتشويه الخلقى والخلقى وقد يكون السبب فى ذلك بويضة الأنثى إذا كانت هى الجانية .

وربما كانت الإصابة مزدوجة وموجودة فى النطفة والبويضة نتيجة شرب الرجل والمرأة جميعاً لهذا السم الزعاف فتعد النكبة أشد والمصيبة أكبر وأعظم .

وعلى أى الحالات إذا سلم الجنين من الموت كان الطفل عرضة له وإذا عاش هذا الأخير كان عرضة للإصابة بالسقوط العصبي الشديد الذى يودى بحياته سريعاً أو يصاب بسقوط عصبي لا يحدث الموت ولكنه يجعله عرضة للتشنجات العصبية وسرعة التهيج ، وتراه بجانب ذلك

ضعيف الجسم خائر القوى واهى الأعضاء مما يجعله هدفاً لشتى الأمراض التى تجد فى جسمه مرتعاً خصباً لها كالنزلات المعوية والالتهابات الرئوية وغيرها .

ثم إنه لا يأمن كذلك من أن يشتد به المرض العصبى فيصاب بالعته والجنون أو يصاب بالشلل العام حيث ينتهى أمره طبعاً بالموت . وقد ذكر فوريل أن أبحاث ( بزولا ) الحديثة تثبت الرأى القديم القائل بأثر الخمر فى إضعاف النسل . وقد راجع الإحصاء الذى تم فى سويسرا سنة ١٩٠٠ فوجد تسعة آلاف معتوه قد حملت فيهم أمهاتهم فى الموسمين اللذين يفرط فيهما الناس فى تعاطى الخمور وهما عيدا الكرنفال والكروم .

ويذكر كذلك أنه يلاحظ كثرة الحمل بالبلهاء فى مواسم الكروم فى البلاد التى تكثر فيها زراعته بينما يكاد ينعدم العته فى المحمول بهم فى غير هذه المواسم وبجانب ذلك فإن الإحصاء يدل على أن الحمل أقل فى الموسمين المذكورين .

ومعظم أولاد الجهلاء من شاربى الخمور يصابون بتشوهات خلقية نتيجة فعل سم هذه المادة الخبيثة فى أجسامهم طوال مدة الحمل فيخرجون إلى العالم مرضى ناقصى الخلقة ، فترى نقصاً واضحاً فى تركيب مخهم أو تراهم مصابين بالكريتيسزم ( مرض الطفولة ) حيث لا تنمو عظامهم ولا عضلاتهم ولا تنمو أعضاؤهم التناسلية إلى غير ذلك مما يتبع هذا المرض .

ويصاب أولاد شاربى الخمر كذلك بتشوهات خلقية أخرى كفقد تناسب عظام الجمجمة أو بأمراض أخرى مميتة كاستسقاء الرأس ، وغيرها .

ويرث الطفل بجانب ذلك الأخلاق الشاذة التى يتصف بها

شاربو الخمور ويصاب بضعف الأعصاب وضعف الذاكرة وسرعة التهيج وشدة الانفعال وتعتريه أعراض الهستيريا ويكون عرضة بين حين وآخر للتشنجات العصبية الشديدة وسائر الاضطرابات العقلية المختلفة .

ويمتاز بجانب ذلك أولاد شاربي الخمر بفساد الأخلاق وضعف النفس والميل إلى الإجرام والشذوذ التناسلي ونقص القدرة على الإرضاع . . إلخ

٣ – **الخمر والعقم** : ولقد ثبت طبياً أن الخمر تؤدى إلى انقراض عائلات برمتها فى العقب الأول أو الثانى أو الثالث . فأما فى العقب الأول فهو قتل الجنين أو الفتك بالطفل بعد الوضع . وأما انقراض العائلة فى العقب الثانى فهو أنه إذا سلم الابن الأول يكون عقيماً أو قد تخرج منه أطفال لا تلبث أن تقضى نحبها كما بينا أو يموتوا أجنة .

أما إذا ولد أبناء للعقب الثانى وعقب هذا الأخير فلا شك أن العقب الثالث يولد عقماً أو لا يعيش أبناؤه ، وبذلك تنقرض الأسرة .

ولقد ثبت طبياً وعملت تجارب كثيرة انتهت كلها بإثبات فعل الخمر الهدمى للأسرة والعمران ، ومن هذه التجارب أن سممت كلبة بالخمر وأطلق عليها كلب سليم فولدت ١٢ كلباً ففنيت كلها فى بحر ٦٧ يوماً ولم يكن سبب موتها إلا التسمم الكحولى الذى ورثته عن أمها .

وذكر بارتوهوليات أن ٨٦ ٪ من شاربى الخمر تنعدم فيهم الحيوانات المنوية فلا يعقبون نسلاً ، وهناك بعض أمراض أخرى تسببها الخمر يمتنع فيها الزواج مطلقاً للبكر ويحرم فيها طبياً حمل الثيب ومثل هذه الأمراض « سروسز » الكبد ويجب على المصاب بإحداها أن يمتنع عن الزواج مطلقاً وإلا جنى على نفسه .

وهذا ما دعا ( بتر ) أن يقرر أن البكر إذا كانت مصابة ببعض أمراض القلب أو الكليتين ، فيجب ألا تتزوج مطلقاً وإذا أصيبت بأحدهما وهى ثيب يجب ألا تحمل وإذا حملت يجب ألا تضع وإذا وضعت يجب ألا ترضع فإن الموت يلاحقها فى أية فترة من هذه الفترات وسيأتى الكلام على هذه الأمراض فى حينه .

**الكبد الكحولية ( الكباد المزمن ) :**

هذا المرض هو من العلل المزمنة ويسمى ( سروسز الكبد ) ويسمى أيضاً مرض ( شاربى الجن ) والجن نوع من الخمور – كما قدمنا – والغالبية العظمى من المرضى بهذا الداء هم شاربو الخمور .

وتسبب الخمر هذا المرض بما تحدثه من الالتهابات أثناء مرور سمها فى القنوات المرارية أو فى الكبد نفسها مع الدورة الدموية والمرض عبارة عن زيادة إنتاج أنسجة خاصة ( نسيج ضام ) فى الكبد خلاف نسيجها الأصلى .

ومن مصائب هذا المرض أن هذه الأنسجة الغريبة تنمو على حساب النسيج الأصلى ويصحب هذا الإنتاج ضمور بارنكيما الكبد ويتوقف كذلك على ما إذا كانت الأنسجة الجديدة قد تم انكماشها أو لم تزل على حجمها الأصلى .

ولا أريد هنا أن أذكر التغيرات الجسمية التى تطرأ على هذا العضو سواء الظاهرية منها أو المكروسكوبية ، ولكنى سأبين تأثير المرض على الوظيفة الحيوية للكبد وكيفية هدمه لكيان الجسم .

هذا المرض معناه تعطيل توزيع الحرارة على جميع أنحاء البدن أو بطريق أوضح الإخلال بوظيفة الكبد التى هى من أهم الأعضاء الرئيسية التى عليها مدار الحياة . وسأذكر هنا ما يقتضيه المقام عن أهم وظائفها ، لتسهل معرفة خطورة المرض الذى يسبب ولو بعض الإخلال بإحدى وظائف الكبد .

ينظم الكبد توزيع ما تحتاج إليه العضلات من الجلوكوز ( سكر العنب ) إما بإخراجه من البروتين إن كانت كمية الكربوهيدرات غير كافية أو بتخزينه على هيئة ( جليكوجين ) إذا كانت كميتها كبيرة ثم توزيعه بعد ذلك على جميع أجزاء البدن حسب الحاجة .

ولو علمت أن السكر هو مبعث الحرارة فى الجسم ومبعث الحياة ، ولو علمت أن الكبد هى التى تقوم بتوزيع هذه الحرارة لسهل عليك معرفة الخطب العظيم الذى يترتب على المرض الذى يصيب الكبد ولو كان تافهاً !

ومن وظائف الكبد استهلاكها للمادة الحمراء فى الدم واستيلاؤها عليه من كرات الدم الحمراء القديمة المتعبة واستغلالها لما به من الحديد لأعمال تالية ذات شأن خطير .

والكبد تقوم بوظيفة لا غنى عنها ، ولولاها لعانينا الآلام التسممية الخطرة ، بل لتعرضت أجسامنا للموت فى كل لحظة ، وتلك الوظيفة هى حماية الجسم ضد كثير من السموم السابحة فيه وإرسالها إلى المرارة ، ومثل هذه السموم أملاح الأحماض المرارية ومشتقاتها والكالويدر والأمينز المكون من البروتينات المتعفنة المتخلفة فى الجهاز الهضمى ويموت

نصف المصابين بالكباد إذا وقع لهم أى حادث لفقد الجسم تلك المناعة التى تكسبها بالكبد السليم .

وهنالك وظائف أخرى للكبد كتنظيم إيراد البروتينيات والدهن نكتفى بالإشارة إليها . وهذا مثل لخطر شرب الخمور بالمقادير الصغيرة التى يدعى بعض الجهلاء عدم تأثيرها على عقولهم وهى تسلبهم هذه العقول وتنخر فى أجسامهم كما ينخر السوس فى الخشب ، ولا أجد مجالاً للخوض فى هذا ، ويكفى اللبيب أن يعرف بما ذكرت مدى ما يلاقيه المريض بالكبد وفقده لوظيفته . وأحيل القارئ إلى كتب الطب إذا أراد التوسع فى معرفة الداء .

**التحول الدهنى للكبد :**

وهذا المرض عبارة عن تحويل النسيج الكبدى إلى مادة دهنية على حساب بروتوبلازم الكبد ، وترى فى هذه الحالة العضو وقد غدا دهنياً كبير الحجم أصفر اللون ، وهذه الحالة تعد مميزة لكبد شاربى البيرة وهذا المرض يفقد عمل الكبد كذلك كالكباد .

**الخمر والكلى :**

وقد يحدث الخمر كذلك تحولاً دهنياً ونخراً فى ايبثلوما الكلى وتعد الخمر كذلك بلا شك عاملاً هاماً فى إحداث الامتلاء الحشوى والخللى المزمن .

## الخمر والنسيج العصبى :

والتغيرات الأثيرومية فى الأوعية المخية التى تحدث من شرب الخمر تؤدى إلى تغيرات استحالية ( فساد ) فى خلايا المادة السنجابية فى المخ . وذلك بجانب ما للخمر من التأثير المباشر عليها ، فتجد بذلك الخلايا العصبية فى الغلاف المخى وقد ظهرت عليه علامات التسمم كورم الخلايا العصبية مع تكون فجوات فى الأنسجة الممروضة مع التلوين وتحلل اللون مع ظهور تحول كبير كذلك فى الزوائد الرأسية . . إلخ .

## إصابة الأوعية الدموية والقلب :

وتصيب الخمر الأوعية الدموية باثيروما وتصيب الشرايين بالتصلب الذى يؤدى إلى ضيق الأوعية الدموية وانسدادها ومنع التغذية عن العضو الذى تغذيه تلك الأوعية وبذلك يصاب العضو بالغنغرينا الجافة .

وتحدث الخمر كذلك مرضاً يسمى الروية الوريدية ( ثرومبوسز ) وينشأ هذا المرض مما تحدثه الخمر من الالتهابات الوريدية التى تسبب موت بعض الخلايا المبطنة للأنابيب الدموية فتتجمع هذه البقايا وتسافر فى الوريد ثم تصل إلى الشريان الرئوى فتسده ويحدث موت الفجاءة وقد يكون الموت الفجائى ناجماً عن تعرض هذه البقايا أوالدمة المتكونة فى البواب الذى يصل بين البطين القلبى والأذنين وقد تعترض الدمة فى أحد شرايين المخ فيحرم هذا الجزء من غذائه فيتعطل العمل وينشأ بسبب ذلك شلل العضو الذى تغذيه أعصاب هذا الجزء وقد تكون الإصابة هامة فى

المخ فتحدث الوفاة .

وتصيب الخمر القلب كذلك بالتحول الدهنى والالتهاب الليفى نعضلة القلب نتيجة الأثيروما فيحدث انسداد فى الشرايين الاكليلية وتتمدد عضلات القلب كذلك ، إما للتغيرات التى طرأت عليه أو لحدوث الأورام الهلامية المصراعية . ولا يخفى الخطر العظيم الذى يحدث من إصابة القلب وهو ذلك العضو الأساسى فى الجسم .

### تأثير شرب القليل من الخمر :

وهكذا رأينا أن شرب القليل من الخمر فى كل دفعة هو السبب فى كل من العلل والأمراض ، إذ تؤثر الخمر فى الجسم شيئاً فشيئاً حتى تذره ضعيفاً موبوءاً مصاباً بأخبث العلل والأمراض التى بينا أمثلة لها فيما تقدم .

### عقاب شارب الخمر فى الإسلام :

حرم الإسلام الخمر واعتبر شاربها فاسقاً مطعوناً فى رجولته لا تقبل شهادته فى المحاكم ، وأمر الدين بجلده ثمانين جلدة لعله يتوب إلى الله ويقلع عن شربها قبل أن يغدو مدمناً ويصبح الأمل فى إصلاحه طفيفاً ويمسى عالة على المجتمع حتى يموت أو يقضى باقى حياته فى مستشفيات الأمراض العقلية .

### آفات أم الخبائث فى الأدب العربى :

قيل إنها سميت أم الخبائث لأنه أتى رجل فقيل له إما أن تمزق هذا

الكتاب وإما أن تقتل هذا الصبي وإما أن تسجد لهذا الوثن وإما أن تشرب هذه الكأس وإما أن تقع على هذه المرأة ، فلم ير شيئاً أهون عليه من شرب الكأس فشرب ، فوقع على المرأة وقتل الصبي وخرق الكتاب وسجد للوثن .

وقد وصف العرب آثارها فى العقل والجسم وخبثها وأذاها فى الفرد والنسل كما يتضح من الأقوال التى نأتى على ذكرها تباعاً .

قال فيها أحمد بن الفضل :

تركت النبيـــد وشرابـه وصرت صديقاً لمن عابـه
شراب يضل طريق الهدى ويفتـح للشر أبـوابه

قيل للعباس بن مرداس فى جاهليته لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد فى جرأتك فقال ما أنا بآخذ جهلى بيدى فأدخله فى جوفى وأصبح سيد قومى وأمسى سفيههم .

وكان قيس بن عاصم المنقرى يأتيه فى جاهليته تاجر خمر فيبتاع منه ولا يزال الخمار فى جواره حتى ينفد ما عنده من شراب فشرب قيس ذات يوم فسكر سكراً قبيحاً فغمز عكنة ابنته أوأخته فهربت منه وتناول ثوبها ورأى القمر فتكلم بشىء ثم نهب ماله ومال الخمار وهو يضربه وأنشأ يقول :

من تاجـر فاجـر جاء الإله به كأن لحيته أذناب أجمـال
جاء الخبيث ببيسانية تـركت صحبى وأهلى بلا عقل ولا مال

فلما صحا أخبرته ابنته بما صنع وما قال فآلى على نفسه ألا يذوق الخمر أبداً وقال :

وجدت الخمر جامحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريما
فلا والله أشربها صحيحاً ولا أشفى بها أبداً سقيما

ولا أعطى لها ثمناً حياتى ... ولا أدعو لها أبداً نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها ... وتجسمهم بها أمراً عظيما
إذا دارت حماها قد تجلت ... طوالع تسفه الرجل الحليما

ومنهم عثمان بن مظعون حرم الخمر فى الجاهلية وقال :

لا أشرب شراباً يذهب بعقلى ويضحك بى من هو أدنى منى وأزوج كريمتى من لا أريد . وقال ديك الجن وهو عبد السلام بن رغبان الحمصى مشيراً إلى أثر السكر فى الإجرام :

أستغر الله لذنبي كله ... قتلت إنساناً بغير حله
وانصرف الليل ولم أصله ... والسكر مفتاح لهذا كله

قيل لأعرابى أتشرب النبيذ فقال لا أشرب ما يشرب عقلى ، قال العتبي شعراً ذكر فيه كثيراً من مقابح السكر :

دع النبيذ تكن عدلاً وإن كثرت ... فيك العيوب وقل ما شئت يحتمل
هو المشيد بأسرار الرجال فما ... يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا
كم زلة من كريم ظل يسبرها ... من دونها ستر الأبواب والكلل
أضحت كنار على علياء موقدة ... ما يستسر لها سهل ولا جبل
والعقل علق مصون لو يباع لقد ... ألفيت بياعه يعطون ما سألوا
فاعجب لقوم مناهم فى عقولهم ... أن يذهبوها بعل بعده نهل
قد عقدت لخمار السكر ألسنتهم ... عن الصواب ولم يصبح بها علل
وازورت بسنان النوم أعينهم ... كأن إحداقها حول وما حولوا
تخال رائحة من بعد غدوته ... حبلى أضر بها فى مشيها الحبل
فإن تكلم لم يقصد بحاجته ... وإن مشى قلت مجنون به خبل

قالوا وإنما قيل لمشارب الرجل نديمه من الندامة لأن معاقر الكأس إذاسكر تكلم بما يندم عليه . وقد قالت العرب في عشرة الشريبين : شهر المتعاشرون على الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وأنهم صديقك ما استغنيت حتى تفتقر وما عوفيت حتى تنكب وما غلت دنانك حتى تنزف وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك قال الشاعر :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفاً ورحبوا وإن غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهم ما دامت الكأس بينهم وكلهم رث الوصال سئوم
فهذا بياني لم أقل بجهالة ولكنني بالفاسقين عليم

قالوا وشراب النبيذ والخمر والمسكر يحملهم الكأس على المجون ويحملهم المجون على ركوب الكبائر معلنين وإتيان الفواحش مجاهرين ويرون في هتك الستر لذة قال شاعرهم :

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات دونها ستر

وقد جاء في أمثال العرب «أهلك الرجال الأحمران اللحم والخمر وأهلك النساء الأصفران الذهب والزعفران» .

وقال أبو زبيدة ربما طمس الخمار على العقل وأودى بالمال ، وقال عامر بن الظرب العدواني في الخمرة :

سآلة للفتى ما ليس في يده ذهابة بعقول القوم والمال

وربما ذهب الخمر بالبيان وغير الخلقة .

قال جرير في الأخطل حين رأى أن أنفه عظم وخمر وترهل من كثرة الشرب كما هو حال المدمن :

وشربت بعد ظهير وابنه شربة     سكر الدنان كأن أنفك دمل

شبهه بالدمل لحمرته وورمه وهذا عرض من أعراض الخمار المزمن وقد أشار عبد الله بن عبد الله بن عتبة إلى أذاها فى أعضاء الأنبوب الهضمى بقوله :

وشربك من مـــاء الكـــروم كأنه     إذا مج صرفاً فى الإناء خضاب
صريع مدام والنـــدامى يلـــونه     وفى الشـــدق فيـــه سائل ولعـــاب

وقد أحسن زيد بن ظبيان فى وصف أثر الخمرة فى الجسم وفى الجسد بقوله :

بئس الشراب شراب حين تشربه     يوهى العظام وطوراً موهن العصب
إنى أخاف مليكى أن يعذبنى     وفى العشيرة أن يزرى على حسبى

وقد قال يحيي بن نوفل الحميرى واصفاً أثر الشرب فى بلال بن أبى بردة معرضاً بمشية الشارب وضعفه واضطرابه وولعه بالشراب :

وأما بلال فذاك الذى     يميل الشراب به حيث مالا
يبيت يمص عتيق الشراب     كمص الوليد يخاف الفصالا
ويصبح مضطرباً ناعساً     تخال من السكر فيه احولالا
ويمشى ضعيفاً ، كمشى النزيف     تخال به حين يمشى شكالاً

وقد قال العرب عن شرب الخمر : إن كل شارب يصبر على شرابه غير الخمر فإن لها ضراوة اللحم ، وهناك حكايات وروايات عن ولع الشاربين بالشرب وعدم استطاعتهم التعفف عنه وتضحيتهم بأعز ما لديهم فى سبيله منها القصة الآتية :

كان رجل من خزاعة يقال له أبو غبشان يلى سدانة الكعبة وهو أعظم

ما تفتخر به العرب فاجتمع مع قصي بن كلاب بالطائف على الشراب فلما سكر اشترى منه قصي ولاية سدانة الكعبة بزق من خمر وأخذ منه مفاتيح البيت العتيق وسار بها إلى مكة وقال : يا قريش هذه مفاتيح أبيكم إبراهيم قد ردها الله عليكم من غير غدر ، وأفاق أبو غبشان من سكرته فندم غاية الندم . قال الشاعر يهجوه :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت بزق خمر فبئست صنعة البادى
باعت سدانتها بالخمر وانقرضت عن المقام وظل البيت والنادى

وأما ولع الشارب بشرب الخمر فقد عبر عنه عمرو بن معدى كرب بقوله :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفنى فى الفلاة فإننى أخاف إذ مامت أن لا أذوقها

ومثله قول أحدهم :

إذا جاءت وفاتى فادفنونى بكرم واجعلوا زقا وسادى
وإبريقا إلى جنبي وكأسا يروى هامتى ويكون زادى

قال عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح : هل لك فيما يثمر المحادثة ؟ يريد المنادمة فقال : أصلح الله الأمير : الشعر مقلقل واللون مرمد ولم أقعد إليك بكرم عنصر ولا بحسن منظر وإنما هو عقلى ولسانى فإن رأيت ألا تفرق بينهما فافعل .

ودخل نصيب هذا على عبد الملك بن مروان فأنشده فاستحسن عبد الملك شعره فوصله ، ثم دعا بالطعام فطعم منه فقال له عبد الملك . هل لك أن تنادم عليه ؟ قال يا أمير المؤمنين تأملنى فقال : قد أراك .

قال يا أمير المؤمنين ، جلدى أسود وخلقى مشوه ووجهى قبيح ولست فى منصب وإنما بلغ بى مجالستك ومؤاكلتك وأنا أكره أن أدخل عليه ما ينقصه فأعجبه كلامه وأعفاه .

وقال الحسن لو كان العقل عرضاً لتغالى الناس فى ثمنه فالعجب لمن يشترى بماله شيئاً ليشربه فيذهب عقله .

وقد سمى العرب الخمر الإثم لما فى شربها من الإثم ولما ينتج عن شربها من آثام قال الشاعر :

شربت الإثم حـتى ضل عقلى كذاك الإثم يفعـل بالعقول

ولا ينكر المبتلون بشربها والمولعون حتى الموت بها أذاها ، ويحكى فى هذا الصدد أن مسلم بن الوليد عاتب أبا نواس وقال : يا أبا نواس : قد خلعت العذار وأطلت الإكباب على المجون حتى غلب على لبك وما كذلك يفعل الأدباء ، فأطرق ثم قال :

فأول شربك طرح الرداء وآخر شربك طرح الإزار
وما هنأتك الملاهى بمثل إماتة مجد وإحياء عـار
وما جاد دهر بلذاته على من يضن بخلع العذار

ولم يخف أبو نواس ( الحسن بن هانئ ) آفاتها فى العقل مع شدة ولعه بها كما هو مشهور ويستدل على ذلك من أقواله الآتية :

اسقنى حتى ترانى حسنا عندى القبيح

وهو يصور بذلك شعر أقوال العرب فيها بأنها تذهب بالعقل فتحسن القبيح وتقبح الحسن وقال أيضاً :

اسقني صرفا حميا تترك الشيخ صبيا
وتريه الغي رشدا وتريه الرشد غيا

ومنها أيضاً قول أبي الطيب :

رأيت المدامة غلابة تهيج للمرء أشواقه
وقدمت أمس بها ميتة وما يشتهي الموت من ذواقه

وكان ممن تركها لما بدر منه مالا يرتضيه لنفسه عبد الله بن جدعان التيمي وكان سيداً جواداً من سادات قريش ، وسبب تركه أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فأصبحت عين أمية مخضرة فخاف عليها الذهاب ، فسأله عبد الله ما بال عينك ؟ فقال أنت صاحبها أصبتها البارحة قال : وبلغ مني الشراب ما أبلغ معه من جليسي هذا المبلغ وقال : الخمر عليّ حرام لا أذوقها أبداً .

هذا وقد قال أبو العلاء المعري جل ما كتبه شعراء العربية عن الخمر حتى أصبح أعلم الناس بها دون أن يذوق طعمها وقد ذمها لإفسادها العقل فقال :

لوكانت الخمر حلا ما سمحت بها لنفسي الدهر لاسرا ولا علنا

ويقول ذاماً لها معرضاً بمادحها :

هي الراح أهلاً لطول الهجاء وإن خصها معشر المدح
فلا تعجبنك عروس المدام ولا يطربنك مغن صدح
ومن يفتقد لبه ساعة فقد مات فيها بخطب فدح

وقد شرح في الأبيات التالية ما ينجم عن الخمر في نفوس الشاربين فقال :

البابلية باب كل بلية فتـوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجرته وأذى النديم وفرقـة الأحباب
وتوهم الشيب المدلف أنهم لبسوا – على كبر – برود شباب

ويمكن القول بأن أبا العلاء أكثر من ذكر الخمر والتشنيع عليها فى أشعاره حتى يمكن أن تؤلف ديواناً فى ذمها .

**حكايات ونوادر عن السكارى :**

روى أن أبا نواس رأى رجلاً سكران فصار يضحك عليه فقيل له ما يضحكك منه وأنت كل يوم مثله ، قال ما رأيت سكران قط . قيل وكيف ذلك قال لأنى سَكِرٌ قبل الناس ولا أفيق إلا بعدهم .

ومنها أنه انصرف من بعض المواخير سكران فمر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة فدخل فقام فى الصف الأول فقرأ الإمام « قل يـأيها الكافرون » فقال أبو نواس لبيك فلما قضيت الصلاة لببوه .

وكتب ابن الكلبى صاحب الخبر إلى المتوكل أن المعروف بأبى المغربى القائد اجتاز البارحة بالجسر سكران فشخر ونخر وبربر وزوجر وجرجر وبأبأ بفيه وخرق الشريحة ومر منصلتاً وقال : أنا الكركدن فاعرفونى . فضحك المتوكل حتى استلقى . وقال : قد عرفنا ما كتبه إلا حرفاً واحداً فعلىّ به فلما جاء قال : ما معنى قولك بأبأ بفيه ؟ قال يا مولاى لما توسط الجسر قال بفيه : بب ، بب فقال له المتوكل : انصرف فى غير حفظ الله .

وهناك حكاية مشهورة فى الشام خلاصتها : شرب شريب مساء ربيع زاهر ثم قصد داره فضل الطريق ثم خارت قواه وصور له سكره أنه بين البساتين

والحقول وأنه بين حوريتين تغنيانه بأعذب الألحان فأخذ يبثهما الشوق والأشجان حتى إذا انهزم الليل وجاء الصباح وذهب من جسمه فعل الراح نظر إلى ما هو فيه فرأى ما يبكيه ويشجيه ، رأى نفسه فوق ركام من الدمن يداعبه كلبان وتفوح من المزبلة التى توسدها رائحة الصنان فأقسم على نفسه ألا يعود إلى الشراب وأن يسدى النصيحة إلى كل مدمن ومصاب .

ومن الحكايات الغريبة المشهورة قصة الوزيرين بت وفوكس ويقال إن الوزير بت دخل مجلس النواب مرة وهو يترنح فقال لرفيقه أين رئيس المجلس فإننى لا أراه فقال رفيقه : كيف لا تراه وأنا أراه اثنين وقد نظم بعضهم هذه الحكاية شعراً ليكون فيها عبرة طريفة عن أثر السكر فى ضلال العقل .

وإنه لمما يؤلم ويحز فى النفس بالأسى أن يرى الباحث فى بطون التاريخ العربى الإسلامى خلاعة وتهتكاً وإدماناً على الشراب أصاب الأمراء والزعماء والرؤساء والأدباء والكتاب والشعراء ولم ينج منه إلا العمال وبعض العلماء والفضلاء هذا الوليد من فتيان بنى أمية فكان لا يمسى إلا سكران ولا يصبح إلا مخموراً وقد شب الوليد مستهتراً عرف باتخاذ الندماء من الظرفاء والخلعاء ، وقد ولاه هشام المشهور بالعفاف والحلم والجد الحج سنة ست عشرة ومائة فظهر منه تهاون بأمور الدين أغاظ هشاماً فقال له يا وليد والله ما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب له الوليد وكان شاعراً :

أيا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبى شاكر

نشربها صرفاً وممزوجة ... بالسخن أحياناً والفاتر

ولما ولى الخلافة إثر موت هشام لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة فقال :

طاب يومي ولذ شرب السلافة ... إذ أتانا نعى من بالرصافة
وأتانا البريد ينعى هشاماً ... وأتانا بخاتم للخلافة
فاصطبحنا بخمر عانة صرفاً ... ولهونا بقينة غرافة

وازداد بعد بيعته تمادياً بشرب الخمر واللهو واللذة ومنادمة المجان وتقريب المغنين ، ومما روى عنه أنه أحب فى ولاية عهده جارية نصرانية يقال لها سفرى فجعل يراسلها وتأبى عليه وقد قال فيها :

أضحى فؤادك يا وليد عميداً ... صبا كليما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة ... برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
مازلت أرمقها بعيني وامق ... حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسى من رأى ... منكم صليباً مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه ... وأكون فى لهب الجحيم وقودا

وبلغ من استهتاره بحب الخمر أن ذهب من دمشق إلى الحيرة لأنه بلغه خبر خمار جيد الخمر فشرب من شراب الحيرة وانصرف . .

ويروى أنه قال لندمائه أن يشربوا نخبه وأن يعنوا شعره الآتى فى جمع من الظرفاء والخلعاء — والجوارى والأعيان والوجوه .

كللانى توجانى ... وبشعرى غنيانى
عللانى واسقيانى ... من شراب أصبهانى
من شراب الشيخ كسرى ... أو شراب القيروانى
إن فى الكأس لمسكاً ... أو بكفى من سقانى
إنما الكأس ربيع ... يتعاطى بالبنان
وحميا الكأس دبت ... بين يتعاطى ولسانى

يتضح من ذلك على ما يروى أن الوليد كان ماجناً خليعاً متهتكاً .
وقد يكون للسياسة دخل فى تعظيم أخبار سكره ومجونه فإن خصومه الذين ثاروا عليه وخلعوه وقتلوه نسبوا إليه كل نقيصة ، على أنه مهما تثبت الإنسان فى أخبار مجون الوليد وشك فى بعضها فإنه لا يستطيع أن ينفى عنه اللهو والخلاعة والتهتك حتى قيل إنه كانت تملأ له بركة من الخمر فإذا طرب رمى نفسه فيها وقد غاظت هذه الأعمال مؤدبه يزيد بن أبى مساحق السلمى فبعث إليه بقوله :

مضى الخلفاء بالأمر الحميـد ... وأصبحت المذمـة للوليـد
تشاغل عن رعيته بلهـو ... وخالف فعل ذى الرأى الرشيد

فكتب إليه الوليد :

ليت حظى اليوم من كل معاشى لى وزاد
قهوة أبذل فيها طارفى ثم تلادى
فيظل القلب منها هائماً فى كل واد
إن فى ذاك صلاحى وفلاحى ورشـادى

ويعزى القول الآتى إليه إشارة إلى استهتاره بأمور الدين ، على أننا نشك فى أن يكون وصل به استخماره إلى هذا الحد :

تلعب بالنبـوة هاشمى ... بلا وحى أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعنى طعامى ... وقل لله يمنعنى شرابى
يذكرنى الحساب ولست أدرى ... أحق ما يقول من الحساب

قال ذلك بموضع حول دمشق يقال له البحرا فقتل بها .
ويعزى إليه قوله مخاطباً المولى عز وجل والقرآن .

أتوعد كل جبـــار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يارب مزقني الوليد

هذا هو الوليد كان دهره بين سكر وخمّير .

وقد جاء فى كتاب حلبة الكميت لشمس الدين بن محمد بن الحسن ما تحمر منه وجنة الأدب ، والفضل فى ذلك ما روى عن حماد الراوية قال : كنت محبا للوليد بن عبد الملك فلما تولى أخوه الخلافة هربت إلى الكوفة وحملت إليه فلما دخلت عليه رأيته جالساً فى دار دمشقية مبلطة بالرخام الأحمر وفيها سرادق خز أحمر فى وسطه قبة حمراء وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد كل واحدة إبريق وفى يد واحدة نبيذ أحمر والأخرى نبيذ أبيض .

وقد ابتلى بالخمرة جماعة من أكابر الأعيان والخلفاء نمسك عن ذكر أخبارهم لأن إدمانهم لم يفتضح أمره .

ولم تكن الخمرة مقصورة على أهل المشرق بل شاعت عند أهل المغرب أيضاً وقد أقبلوا عليها إقبالاً كثيراً كما يستدل من الأبيات الآتية :

فــدى أسماء من نديــم ملازم للكؤوس راتب
قد عجبوا فى السهاد معها وهى لعمرى من العجائب
قالوا تجافى الرقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكب

وقصة هذه الأبيات أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبى عامر بن المظفر بقرطبة فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ولم تزل تسهر على خدمتهم إلى أن هم جند الليل بالانهزام وكانت تسمى أسماء فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها على صغر سنها فسأله المظفر

وصفها فصنع هذه الأبيات ارتجالاً وهى لعمرى دليل على أنهم كانوا يشربون الراح من المساء إلى الصباح .

وقد جاء فى نفح الطيب أيضاً أن الوزير أبا العلاء دخل على الأمير عبد الملك بن رزين فى مجلس أنس وبين يديه ساق يسقى خمرين من كأسه ولحظه ويبدى درين من حبابه ولفظه .

وقد جاء فيه أيضاً أن عبد الله بن عاصم صاحب الشرطة بقرطبة دخل على الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموى ملك الأندلس وبين يديه غلام حسن المحاسن فقال الأمير يا ابن عاصم ما يصلح فى يومنا هذا ، فقال عقار يونس الغزلان فاستضحك الأمير ثم أمر بمراتب الغناء وآلات الصهباء .

وفى هذا دليل أيضاً على أن العظماء الذين كانت بيوتهم عامرة بالجوارى والوصائف لم يكونوا يمتنعون عن الراح بل كانوا يشربونها ويصفونها لإخوانهم كما وصفها الصفى الحلى بقوله :

خذوا فرحة اللذات قبل فواتها وإذا دعتك إلى المدام فواتها
وإذا ذكرت التائبين عن الطــلا لا تنس عشرتهم على أوقاتها

هذه نماذج من عقلية الكبار والعظماء فى ذلك العهد وهذه أعمالهم ، وذلك هو تأثير الراح فيهم فما زال متفشياً بينهم حتى أهلك الدول العربية والإسلامية الواحدة تلو الأخرى كما أهلك الرومان واليونان من قبل .

# تحريم الخمر فى الأديان

## لماذا حرم الإسلام الخمر؟

الخمر فى الإسلام ما خامر العقل وهى حرام . وقد جاء تحريمها فى الإسلام بصورة تدريجية ، فأول ما أنزل فيها بمكة قوله عز وجل ( ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسنا ) فكان المسلون يشربونها يومئذ ثم أنزل الله عز وجل بالمدينة ( ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ) فكانت هذه الآية بدء تحذير من شربها جعل الصحابة يتساءلون فسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقال « إن ربكم تقدم فى تحريم الخمر » فتركها قوم للإثم الكبير وقالوا : لا حاجة لنا فى شربها ولا فى شىء فيه إثم كبير . وشربها قوم لقوله تعالى (ومنافع للناس) وكانوا يستمتعون بمنافعها ويتجنبون مآثمها إلى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعا أناساً من الصحابة وأتاهم بخمر

فشربوا وسكروا وحضرت الصلاة فقدموا بعضهم ليصلى بهم فقرأ ( قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ) إلى آخر السورة يحذف لا ( فى لا أعبد ) فأنزل الله عز وجل ( يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ) فحرم السكر فى أوقات الصلاة فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله عز وجل تقارب فى النهى عن شرب الخمر وما أراه إلا سيحرمها . فلما نزلت هذه الآية الكريمة تركها قوم وقالوا لا خير فى شيء يحول بيننا وبين الصلاة . وقال قوم نشربها ونجلس فى بيوتنا فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها فى غير حين الصلاة إلى أن شربها رجل من المسلمين فجعل ينوح على قتلى بدر فبلغ بذلك الرسول فجاء فزعاً يجر رداءه حتى انتهى إليه فلما عاينه الرجل : قال أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله والله لا أطعمها أبداً . ثم نزلت آية التحريم وهى قوله عز وجل ( إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ) وبذلك تم التحريم فى شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة .

ثم سئل الرسول عن شراب الذرة المعروف بالمزة فقال : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » ويقول ابن قتيبة عن الأشربة فى صدد تحريمها : قد أجمع الناس على تحريم الخمر بكتاب الله عز وجل إلا قوماً من مجان أصحاب الكلام وفساقهم لا يعبأ الله بهم فإنهم قالوا : ليست الخمر بكتاب الله محرمة وإنما نهى الله عن شربها تأديباً – إلى أن يقول وليس للشغل بهؤلاء وجه ولا لتشقيق الكلام بالحجج عليهم معنى إذ كانوا ممن لا يجعل حجة على إجماع .

يتضح من ذلك أن الإسلام لم يفاجئ الناس بالتحريم بل دعاهم إليه بالتدريج كما هو الرأى المرغوب فى تطبيقه فى كافة أنحاء الدنيا. على أنه إذا كانت عوامل عديدة حالت دون تنفيذ التحريم وهو التشريع الصحيح فى كثير من الأقطار فإن الجرأة الفذة والرأى السديد والوطنية الصادقة التى تتجلى بها بعض الحكومات الأوربية أقرت التحريم فألفته خير معين لمحاربة العوز والفقر والمرض والإجرام وضعف النسل وسوء الأخلاق وفساد الضمير وغير ذلك من آفات مجتمعنا البشرى .

**أحاديث شريفة فى تحريم الخمر :**

لقد جاء تحريم الخمر من الله تدريجياً نظراً لأن السكر والإدمان كانا من العادات التى عمت المجتمع العربى منذ الجاهلية الأولى وبهذا النوع من التحريم يكون من الميسور الإقلاع عنها ومقاومتها لما فيها من رجس وخبث . ثم جاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مفسرة وموضحة النهى عن الخمر والأضرار الناجمة عنها . ومن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فى هذا الاتجاه :

« حرم الله الخمر وكل مسكر حرام » .

عن ابن عمر رضى الله عنه .

« أتانى جبريل فقال : يا محمد ، إن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومسقاها »

عن ابن عباس .

« اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر » .

عن ابن عباس .

« أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ، والعاق لوالديه » .

عن أبى هريرة .

« إن الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه » .

عن أبى هريرة رضى الله عنه .

« إن ملكاً من ملوك بنى إسرائيل أخذ رجلاً فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يأكل لحم خنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وأنه لما شرب الخمر لم يمتنع عن شيء أرادوه منه » .

عن ابن عمر .

« نهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة » .

عن أبى موسى رضى الله عنه .

« أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره » .

عن سعد رضى الله عنه .

« لا تشربوا الخمر فإنه مفتاح كل شر » . عن أبى الدرداء .

**تحريم الخمر والمنهج الإسلامى للتربية :**

ويمكن إجمال الآيات القرآنية التى نزلت فى الخمر فيما يلى ( يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ) ثم ( إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ) ثم ( إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ) ثم ( وأنهار

من خمر لذة للشاربين ) ثم ( قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً ) وكذلك ( يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمراً ) وقد نلاحظ فى هذه الآيات الكريمة ذكر الخمر مصحوباً بالميسر وكلتاهما لـذة من اللذائذ التى كان العرب غارقين فيها يوم أن لم تكن لهم اهتمامات عليا ينفقون عليها فيقول سبحانه وتعالى : ( قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ) . وإلى ذلك الوقت قد نزل تحريم الخمر والميسر ولكن نصاً فى القرآن كله لم يرد بحلهما . إنما كان الله يأخذ بيد جماعة العرب الناشئة خطوة خطوة فى الطريق الذى أراده لها . وهذا الدور العظيم لا تتلاءم معه تلك المضيعة فى الخمر والميسر ولا تناسبه بعثرة العمر والوعى والجهد فى عبث الفارغين الذين لا تشغلهم إلا لذائذ أنفسهم . أو الذين يطاردهم الفراغ فى الخواء فيفرقونه فى السكر بالخمر وكذا الانشغال بالميسر . أو الذين تطاردهم أنفسهم فيهربون منها إلى الخمر والقمـار كما يفعل كل من يعيش فى الجاهلية . إلا أن الإسلام على منهجه فى تربية النفس البشرية كان يسير على هينة وفى يسر وتؤدة .

وهنا يبدو لنا جانب من منهج التربية الإسلامى القرآنى الربانى الحكيم . وهو المنهج الذى يمكن استقراؤه فى الكثير من شرائعه وفرائضه وتوجيهاته . وهناك قاعدة من قواعد هذا المنهج - بمناسبة الحديث عن الخمر والميسر - وهى عندما يتعلق الأمر أو النهى بقاعدة من قواعد التصور الإيمانى ، أى بمسألة اعتقادية ، فإن الإسلام يقضى فيها قضاء حاسماً منذ اللحظة الأولى . ولكن عندما يتعلق الأمر أو النهى بعادة أو تقليد أو توضيح اجتماعى معقد فإن الإسلام يتريث به ويأخذ المسألة - مسألة التوحيد أو الشرك - أمضى

أمره منذ اللحظة الأولى فى ضربة جازمة لا تردد فيها ولا مجاملة ولا مساومة ولا لقاء عند منتصف الطريق . لأن المسألة هنا مسألة قاعدة أساسية للتصور لا يصلح بدونها إيمان ولا يقام إسلام . فأما فى الخمر والميسر فقد كان الأمر أمر عادة والعادة تحتاج إلى علاج . فبدأ بتحريك الوجدان الدينى والمنطق التشريعى فى نفوس المسلمين بأن الإثم فى الخمر والميسر أكبر من النفع . وفى هذا إيحاء بأن تركهما هو الأفضل ثم جاءت الخطوة الثانية ( يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ) . والصلاة فى خمس أوقات معظمها متقارب لا يكفى ما بينها للسكر والإفاقة . وهذا تضييق لغرض المزاولة العلمية لعادة شرب الخمر وكسر لعادة الإدمان التى تتعلق بمواعيد التعاطى . إذ المعروف علمياً أن المدمن يشعر بالحاجة إلى ما أدمن عليه من مسكر أو مخدر فى الموعد الذى اعتاد فيه تناوله . فإذا تجاوز هذا الوقت وتكرر هذا التجاوز فترت حدة العادة وأمكن التغلب عليها . حتى إذا تمت هاتان الخطوتان جاء النهى الحازم الأخير بتحريم الخمر والميسر ( إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ) منبها المؤمنين إلى أن الخمر والمقامرة وعبادة الأصنام أمور كلها قذرة دفعكم الشيطان إليها فباعدوه لعلكم تفوزون برحمة الله . وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على خطورة الخمر وعقاب مدمنيها من ذكر الخمر فى مقدمة الآية تسبق فى ذلك عبادة الأوثان . وفى هذا توجيه إلى تربية إسلامية تقود صاحبها إلى الكمال وتحقق للمجتمع الإسلامى عزته وتقدمه .

**التكوين العضوى للجسم وأثر الخمر فيه :**

إن الإسلام فى مجال التربية الإسلامية يكشف عن البواعث الفطرية الخفية التى من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تضبط باليقظة الدائمة وإذا لم تتطلع النفس إلى آفاق أعلى وإذا لم تتعلق بما عند الله وهو خير وأذكى . فإن الاستغراق فى شهوات الدنيا ورغائب النفوس ودوافع الميول الفطرية هو الذى يشغل القلب عن التبصر والاعتبار ويدفع بالناس إلى الغرق فى لجة اللذائذ الغريبة المحسوسة ويحجب عنهم ما هو أرفع وأعلى . فيغلظ الحس فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة الغريبة ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللائقة بدور الإنسان العظيم فى هذه الأرض واللائقة كذلك بمخلوق يستخلفه الله فى هذا الملك العريض . فكيف إذاً تضبط النفس بيقظة دائمة وفكر سليم وتتطلع إلى ما هو أسمى فى مجتمع تسوده الجاهلية . مجتمع قائم على عادات وتقاليد تبعد هذا المجتمع عن الوصول إلى الكمال والرقى . مجتمع يعيش بدون فكر ووعى يقع تحت طائل الخمر التى تذهب من الإنسان عقله وهو تلك الجوهرة التى كانت نعمة من الله للإنسان وأهداها له ليستخدمها فى تطويع النفس الجامحة والوصول بها إلى الله وعظمته وقدرته . فسبحان الله خالق كل شىء الذى خلق الإنسان وميزه عن باقى المخلوقات بالفعل الواعى الذى يؤهله لأن يكون خليفة الله فى الأرض . فواجب العبد إذاً أن يحفظ نعمة الله عليه ( وأما بنعمة ربك فحدث ) . ويحافظ على هذه الجوهرة من كل ما يؤثر فيها بالضرر حتى لا تبعد المرءَ عن الفكر فى ربه الخالق الأعظم وفى مخلوقاته التى أوجدها الله وأعدها له

نعمة منه وفضلاً . وحفاظاً على الإنسان وفكره حرم الله عليه الخمر التى تمحو فى الإنسان إنسانيته وتحل محلها الميول الحيوانية . فقد ميز الله الإنسان بالعقل وجعله آلة تميز النافع الصالح من الضار الطالح كما جعله وسيلة إلى ضبط النفس ويقظتها وتطلعها إلى آفاق أرقى وأعلى . ومن أجل الارتقاء بالفكر الإنسانى فقد لجأ الإنسان إلى تنمية عقله وتفكيره بالتهذيب كما لجـأ إلى حفظ صحته بالغـذاء المقبول . ولكن كثيراً من البشر لم يقتصر على هذه المقومات فتعاطى أسباباً تعاكسها تضعف العقل رائد الجسم وحركته فتحدث الرزايا والسقم والبلايا ومن جملة هذه الأسباب المسكرات الفتاكة والخمور المهلكة التى تتصف باحتوائها على سم قاتل سمى الغول ( الكحول ) لأنه يغتال العقل والصواب ويحدث فى الجسم المرض والداء ، ولكى يكون الإنسان مالكاً لعقله وفكره متصرفاً فيها لا أن تكون مالكة له متصرفة فيه . ولكى تقوى روح التسامى والتطلع إلى ما هو أعلى ، فقد أمر الله الإنسان أن يبعد بفكره وجسده عن كل ما يؤثر فيهما بالانحلال والاختلال فحرم عليه الخمر لما فيها من ضرر محقق .

إن الذى يتأمل فى التكوين العضوى للإنسان والحيوان يجد أنه يشمل أجهزة مختلفة مهمتها المحافظة على الجسم سليماً . فمنها الجهاز التنفسى مثلاً يستقبل الأكسوجين فى عملية الشهيق ليستخدم فى عمليات الاحتراق فى أنسجة الجسم وخلاياه ثم يطرد ثانى أكسيد الكربون وهو من نفايات الخلايا وذلك بطريق الزفير. والجهاز الهضمى الذى يتولى هضم الطعام ثم تحويله إلى مواد يسهل امتصاصها لتقوم بدورها فى تغذية الجسم ثم طرد البقايا الغذائية التى تبقى من الغذاء وتتراكم فى الأمعاء . والجهاز الدموى

الذى يتكون من القلب والأوعية الدموية والدم يقوم بتوزيع عناصر التغذية عن طريق الدم على جميع أنسجة الجسم وأعضائه وخلاياه كما يقوم الدم وما به من كرات بيضاء بالدفاع عن الجسم ويقاوم أى عدوان عليها مما عسى أن يتسربِ إليها من الجراثيم ومسببات الأمراض . والجهاز البولى الذى يقوم بفصل سموم الدم ونفايات الجسم من الأملاح الزائدة والمواد السامة ويلقى بهـا فى المثانة ومنهـا إلى الخارج مع البول . ثم هناك غير هـذه الجهاز العصبى وأجزاؤه وأعضاؤه مثل المخ والنخاع الشوكى والأعصاب الحسية والحركية وجهاز الحواس الخمس . وهذه تختلف اختلافاً بيناً فى الإنسان والحيوان .

وهذه الأجهزة العضوية تعمل بحركة آلية صرفة لا يتدخل الإدراك أو الإرادة فى توجيهها وهى فى الإنسان والحيوان على السواء، إلا أن الحيوان ليس له إدراك اختيارى حر من نوع ما هو موجود فى الإنسان ، وهو الإدراك الاختيارى الحر الذى ميز الله به الإنسان عن الحيوان وهـو القوة الذهنية التى جعلته يستطيع تمييز المتشابه والمتضاد من الأشياء والموازنة والاستنتاج وتكييف نفسه أمام مشكلات الحياة تكييفاً ملائماً وجعلت لذلك الإنسان مسئولاً عن أعماله . أما الموجود فى الحيوان فهو الإدراك الغريزى الذى تعمل على أساسه جميع الأجهزة . فالأجهزة العضوية قادرة لذلك على العمل تلقائياً دون تدريب أو تعلم ودون أن تتغير وظيفتها ، فى حين أن الإدراك الاختيارى الذى يتميز به الإنسان وحده دون باقى الكائنات الحية يولد معه خالياً من المعلومات ثم يملأ عن طريق الحواس بصنوف المعرفة تدريجيًّا . وعلى هذا يتميز إدراك الإنسان بازدياد

حصيلته من المعرفة باستمرار وباتساع الأفق بمقدار ما يعيه من ألوان هذه المعرفة وتفاعلها فيه وانفعاله بها .

وبجانب كل ما سبق من الأجهزة هناك جهاز الغدد الصماء وهى التى تفرز إفرازات داخلية تسمى الهرمونات . وهذه الهرمونات تعتبر العامل الأساسى لاستمرار الوظائف الجسمانية من نمو وتمثيل للغذاء وحفظ النوع إلخ . حتى إذا ما قلت هذه قلت وانعدمت فى الجسم وظائفه وصار غير قادر على الحياة . وأهم هذه الغدد . الغدة النخامية التى تسيطر على الأعضاء الجسمانية ووظائفها ، والغدد الجنسية وهى المبيض فى الإناث والخصية فى الذكور وهذه تقوم بالدور الهام فى حفظ النوع . والغدة الدرقية وهى قوية المفعول فى التمثيل الغذائى . . إلخ ذلك من الغدد الصماء . ولكل من هذه الغدد إفرازات ( هرمونات ) تفرزها لهدف معين تقوم به فى الجسم .

فهذا هو جسم الإنسان وما فيه من أجهزة وأعضاء تسير بنظام دقيق يدل على قدرة الله فى خلقه . وهذا النظام وتلك الدقة التى يعمل بها الجسم يجب أن يصونها الإنسان ويحميها بحماية العقل وعدم تعرضه إلى كل ما يؤثر فيه بالخلل والضعف . والخمر والمسكرات أكثر ما تؤثر فى الجسم والعقل فيخل بوظائفهما واتزانهما .

**الروح والعقل وأثر الخمر فيهما :**

ولما كان للخمر أثر هدام على العالم فقد حرمها الله تحريماً باتًّا فى قوله تعالى ( يسـألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ) وعند ذلك

ترك بعض المؤمنين استعمال الخمر ولم يجد الآخرون العزيمة القوية على تركها . فنزل الوحي ثانياً بالإنذار التالى ( يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ) ثم نزل التحريم صريحاً رادعاً فى قوله تعالى ( يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ) ، ثم فى قوله تعالى ( إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) . فهذه هي الخمر ذلك الداء الفتاك الذى كان وما زال فى أمسنا ويومنا أحد الأمراض الوبيلة الذى أثر فى الأفراد والمجتمعات . ولذلك فإن الله العليم الحكيم كان رحيماً بعباده فحرم عليهم الخمر حفاظاً على فكرهم وأفئدتهم وأجسادهم ليكونوا بذلك مجتمعات صالحة سليمة البنيان قادرة على عبادة الديان ومنفذة ما أمر به وبعيدة عما نهى عنه . وفى تحريم الله للخمر إشارة واضحة إلى أن الله سبحانه وتعالى يريد للإنسان سلامة الروح والبدن فيسموا بفكره ويقوى بجسده . ومن هنا اهتمت العلوم الحديثة بصحة البدن ليكون مستقراً صالحاً للروح الخالدة التى خلقها الله وأسكنها هذا الجسد وبتكامل الجسد والروح يصير جسم المؤمن واعياً وسامياً وداعياً لما فيه خير الإنسان . أما مجتمع المخمورين فهو مجتمع هزيل لا يرجى منه نفع ، إذ قد عرف السكر بأنه غيبوبة العقل وفتور الجسم ووهن الأعضاء . ومجتمع يسود فيه السكر يمثل الضعف والفساد والفسوق وكلها رذائل تدعو إلى التدهور والانحطاط . ولذلك فإن حماية الروح والفكر والبدن أمر واجب لسلامة الفرد وقوة المجتمع .

فالروح فى الخلية الحية تعمل بتوجيه عقل منظم . ويذكر ( على نصوح الطاهر ) فى كتابه الروح الخالدة أن الروح الإنسانى فى الجرثومة الأولى هو عقل بدائى خفى مقدر له أن ينمى نفسه بنفسه ابتداء من بيئته البدائية الأولى المقصورة على بحثه عن المواد اللازمة لتكونه فى قرار مكين هو رحم المرأة . وهو بذلك ينمى ممكناته الوجودية حسب ما يتوافر له ؛ هذه البيئة من العناصر اللازمة لتكوين أجزائه بالشكل الذى قدر له أن يكون فيه . وهو بذلك يبقى فى حدود عقلية حيوانية أى فطرية ضعيفة ولكنها مناسبة لوضعه الجنونى حتى يكتمل تكون جسمه . وهو فى تلك الأثناء يتطور تكوين جهازه العاقل الخفى مع تطور بنائه لبدنه ويستمر هذا التطور ما دام البناء مستمراً . وبعد ولادته يتطور من دور الطفولة ( أى الاعتماد على عقل واع آخر هو عقل والديه الذى يعتبر أهم عناصر بيئته التربوية الجديدة التى تنمى مداركه ) إلى أطوار الحياة الأخرى . وهكذا تطور الروح نفسها حسب بيئتها من جرثومة إلى مضغة إلى علقة إلى طفل إلى ولد بالغ إلى رجل إلى كهل حتى تصل إلى أسمى مراحلها وهى المرحلة التى تصل فيها إلى اكتمال بنائها الجسمى وكمال بلوغها الفكرى . ثم تنحل بعد ذلك تدريجياً أو غير تدريجى فتعود إلى الأرض التى نشأت منها وذلك متى وقفت حيويتها وشل نشاط أعضائها عن عمله وفقد التوازن بين ما تنتجه للمحافظة على كيانها وما تفقده من العناصر المكونة لحيويتها . وهذا يقودها إلى نهايتها أى موتها . ويبدو لنا أن هذا التطور فى الجهاز العاقل المشار إليه وهو الذى أشار إليه الفلاسفة فى تقسيماتهم المختلفة كالعقل الهيولانى والعقل المادى والعقل بالفعل والعقل الفعال إلخ . .

يتضح مما تقدم أن العقل هو المعبر عن الروح في الكائن الحي والغالب أنه هو أداة الروح ومركزها وبغيره لا يمكن أن تكون حياة في الكائن الحي فالعقل هو لذلك فما تعددت تسمياته وتجزيئاته وآليته هو ممثل الحياة في كافة أطوارها في الكائن الحي وهو منظمها ومكيفها ومبدعها فلا غرو إذا رأينا العقل الإنساني يشعر بقدرة مبدعة ويستبعد أن يكون هو مبدع نفسه ذلك لأنه يشعر بضعف الكبير البادي في عدم استطاعته أن يدرأ عن نفسه الجنون والقبح والمرض والموت ، ولو كان ذلك لكان قد قدر أحكم تقدير نشأته وطاقته فتحاشى أن يمر في هذه السلسلة الطويلة من التطور من الرضاعة إلى السمو والرفعة بل لكان قدر الخلود لنفسه فإذا علمنا أن الكون بأسره يسير ضمن نظام عاقل غير مختل أدركنا أن مصدره مصدر الكمال في العقليات . ولا غرو بعد ذلك إذا قدرنا أن مدبر الحياة في الكون – هو مع فارق التشبيه – عقل واجب الوجود مبدع موجود بنفسه ومنه تستمد كافة القوى طريقها في الحياة ضمن النظام الذي فرضه لكل منها . وبما أن الكون قديم ومستمر في سيره المنظم العامل هذا منذ أبدع ، فالعقل وهو الذي يدبر لابد أن يكون لذلك قديماً ومستمراً وخالداً ، أي أبدياً .

إن ما سبق يقودنا لأن نعتبر الجبر للمخلوقات هو بالنسبة للنظام الذي أراده الله للوجود ونشأته بما فيه من الكائنات الحية . ونعتبر أن الأخيرة تتصرف بحرية ضمن النظام الذي نعيش فيه وتتطور ضمنه غير أن تطورها خاضع للنظم التي تسيطر على البيئة التي تنمو فيها والتي يلعب الإنسان – من بين الكائنات الحية – دوراً كبيراً لتكييفها في كثير من الحالات لمصلحته

التطورية التقدمية أو الهدمية إن أساء استعمال هذه العناصر المكيفة للبيئة .
وبطبيعة الحال لم يصل الإنسان إلى ما وصل إليه فى عصرنا الحاضر إلا بفعله المتدرج المتمتع بما وهبه الله من طاقة هو وحده أعلم بمدى مكانتها لأنه هو الذى أبدعها ، ذلك العقل الذى هو ممثل الحياة فى الكائن الحى والذى نرى أنه موطن الروح إن لم يكن هو الروح لكل معنى الكلمة ويميل الطاهر صاحب الروح الخالدة إلى القول بالكائن الحى فقط دون تفريق بين الروح والجسد . ويعتبر الكائن الحى عبارة عن اتحاد الذرة المجهولة وهى ذرة الحياة بذرة أو ذرات المادة اللازمة لنموه واطراد ذلك النمو بالتعايش المنسجم بين المادة والحياة وأندماجهما إندماجا كلياً فى بعضهما البعض . وليس من السهل تصور تغيب ذرة العقل فى الذرة الحية الأولى فى خليته لأنها دونه لا يمكن أن يكون لأيهما وجود ونقول إن المادة إطلاقاً لا وجود لها إلا بالعقل الذى تخيلها أولاً وهو العقل الذى أبدعها . ذلك لأن تكوينها يدل على أنها ذات صفات أصيلة خاضعة لأحكام نظام جبرى قدر صفاتها تقديراً محكماً وليست هى التى قدرته . إن العقل الذى أبدعه واجد الوجود وموجود بنفسه مبدع بنفسه أبدى الوجود مستمراً أبدياً أى أنه حى خالد وأنه المثل الأعلى فى الكمال العقلى وأنه هو الله وأن القرآن عبر عن ذلك أحسن تعبير فى قوله تعالى : ( ولله المثل الأعلى ) ، وقوله تعالى ( الذى خلق الموت والحياة ) أى خلق المادة وخلق الحياة ممثلة فى الروح ومنهما يتكون الكائن الحى فى أوسع معانيه والكائن الحى يموت ، أى يتحول إلى مادة بحتة بعد نفاذ طاقتها فى دورتها الحياتية .

يتضح مما سبق أن العقل هو ممثل الروح والمعبر عنها فى الإنسان ومعنى

ذلك أن الإنسان بعقله وبفكره وأن عقل المرء هو المحرك للبدن والمسيطر عليه يحميه من الزلل ويقيه من الفساد ويسمو بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال والعقل جهاز دقيق رقيق تؤثر فيه البيئة بما ينقل إليه من الحواس الخمس : الحس والذوق والسمع والبصر والكلام فيطور نفسه ويهيئها لتلائم الظروف والأحوال . وبجانب ذلك فالعقل يحوى مراكز للحس والحركة وأخرى للفكر وتجمع المعلومات وغيرها من المراكز الراقية التى تعطى الإنسان إنسانيته وتميزه عن الحيوان كمراكز الوقت والمسافات ومراكز الإرادة وضبط النفس ومراكز الخجل والإحراج وكذا مراكز الوعى والنباهة وغيرها فالإنسان باحتواء مخه على هذه المراكز يمكنه أن يقدر الوقت ويحسب المسافات ، كما يمنعه الخجل وضبط النفس من أداء ما يمس إنسانيته ويجعله دائماً يقظاً ملماً بما حوله وما يدور فى فلكه ، وهذه الدقة فى التكوين هى من أسرار الله فى خلق الإنسان لتحفظ للإنسان إنسانيته وتجعله فرداً عاملاً فى مجتمعه . والواجب يحتم على المسلم المؤمن أن يحفظ ما وهبه الله له وخصه به ألا وهو العقل والروح والجسد . وذلك بأن يبتعد عن كل ما قد يؤثر فى هذه النعم حيث إنه إذا ما تأثر العقل والفكر تأثر معه الجسم وأتى بما لا يليق بالإنسان أن يأتى به ويفعل مالا يناسب الإنسان أن يفعله وبالتالى تنقلب إنسانيته إلى حيوانية . فالخمر التى حرمها الله تفعل كل ذلك حيث تثبط مراكز المخ الراقية وهى مراكز الإنسانية والإرادة وهذه إذا ما ثبطت اختلت وفترت فى الوقت الذى فيه تنشط المراكز المخية الأخرى التى يشترك فيها الإنسان والحيوان ومعنى هذا أن الخمر بفعلها على المخ ذلك الفعل التدريجى إنما يبتدئ بزوال الإرادة وضبط النفس ليحل محلها الفسوق ومجاراة الحيوان

فى تصرفاته وحركاته . حتى إذا ما أسرف فى الخمر اهتزت هذه الحركات وضعف وصار الجسم غير قابل للحركة وغير قادر على التعبير . وغير قادر على المواجهة فيرتمى أرضاً ضعيفاً غارقاً فى بوله وإفرازاته يضحك منه بعض الناس ويرثى لحاله بعضهم الآخر – فهذه حال مدمن الخمر التى لا يرضاها مؤمن لنفسه أو لعشيرته أو لأى شخص آخر . إذ من الذى يرضى للإنسان أن يتمرغ فى الوحل والدنس ويؤدى بالإنسانية إلى الحضيض . هذا ومن جانب آخر فإن مؤثرات العقل ومثبطاته وأولها الخمر تضعف فى الجسم قدرته وتضطرب الأعضاء الجسمانية فيختل هضم الغذاء وتمثيله ويضعف الكبد ويتليف ويصير مصدراً للألم والمرض وهكذا تتأثر العضلات القلبية التى لا تقوى على الانقباض وتوزيع الدم فى الجسم . هذا ويدعى المدعون نتيجة لتخيلات السكارى منهم – أن الخمر منشطة للباه وتقوى فى الرجال رجولتهم . وحقيقة الأمر أن الخمر تثير التخيلات وتضعف العقل الرادع وضبط النفس وتظهر ما كمن من الغرائز الحيوانية التى صارت فى مأمن من سيطرة العقل عليها . وقد يعقب كل ذلك شعور بالرغبة يصحبه فى كثير من الأحوال – خاصة فى حالة السكر – ضعف المقدرة على إتمام العملية الجنسية . وبتوالى هذا فى الرجل أو المرأة تفقد الأعضاء التناسلية قدرتها الطبيعية ويحل الضعف الجنسى وتنهار العلاقة الجنسية الروحية ويعقب ذلك انهيار عائلى وتدهور صحى ودمار اقتصادى . وذلك لأن الخمر أم الخبائث وكان من فضل الله على الإنسان أن حرمها عليه حفاظاً له ومحافظة عليه « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وهناك من يدعى أن الخمر غذاء ويبرر شربه وإدمانه لها والحقيقة أن المشروبات الكحولية بالقدر اليسير سريعة الامتصاص وتصل إلى الأنسجة فى وقت ضئيل وهناك يسهل احتراقها مما قد يؤدى إلى بعض النشاط الوقتى الذى يعقبه الفتور والخمول . وليس بمبرر إطلاقاً أن يتناول المرء خمراً لكونها غذاء وقد خلق الله له من الطيبات ما يمكن أن يحصل منها على كل متطلبات جسمه من العناصر الغذائية . إذ هناك اللحوم والفواكه والخضراوات وكلها نعم أنعم الله بها على الإنسان فكيف يتركها العاقل مع ما فيها من قوة ولذة ويلجأ إلى الخمور مع ما فيها من ضعف جسمانى وغيبوبة عقلية . فالخمر تزيل من الإنسان وعيه وتضعف تفكيره وتصيره أقرب إلى الحيوان لا يمكنه التغيير أو الالتزام ولا يحسن القول ، أو العمل ، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » وذلك توجيهاً لقوم أدوا الصلاة وقرأ إمامهم الآية « قل يأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون » بحذف لا فى لا أعبد وفى هذا يتفق العلم والدين فى كون الخمر تذهب العقل والوعى وتضعف التفكير والحفظ لأنها رجس وفيها إثم « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير » ، صدق الله العظيم .

**تحريم الخمر محافظة على الجسم والعقل :**

اهتم الإسلام بسلامة الجسم والعقل فأمرنا بالمحافظة عليهما ونهانا عن تعريضهما لما يضرهما فقال سبحانه وتعالى « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » وقال « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً » . ولذلك جعل الإسلام

من القواعد المقررة أن كل ما أضر بالجسم أو العقل فهو حرام . وعلى هذا المبدأ حرم الإسلام الخمر كما حرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وذلك حتى لا يضر العقل والجسم ويضعف فيهما وظائفهما المقررة لهما فتعود على الإنسان بالانحراف والضعف . فإذا كانت سعادة الإنسان - كما تقضي به طبيعته وكما قرره الإسلام - لا تكمل إلا باستكمال الجسم والروح معاً . وإن الروحية البحتة أو المادية البحتة لا تصلح واحدة منهما سبيلاً للسعادة أخذاً من واقع الحياة البشرية فإن الإسلام يرى أن الروحية المهذبة أساس للمادة المهذبة وإن منهما ينبع الروح المهذب للمادة . وبتهذيب الروح المهذب للمادة تكمل للإنسان سعادته فى دنياه وأخراه وفى فرده ومجتمعه . ومن هنا جاء تحريم الخمر حتى لا يتأثر الجسم والعقل بها فيفرق بين الروحية المهذبة الصالحة والمادية المهذبة القوية وفى ذلك حماية لخطر الجسم والروح معاً . ولقد عنى الإسلام بتهذيب الروح وطالب به حتى إذا ما تم على الوجه الذى يحفظ للإنسان قلبه وروحه وجسده ويربطه بخالقه المنعم عليه انتقل به إلى المرحلة الأخرى وهى مرحلة التنظيم المادى الذى يكون التهذيب الروحى من أهم عوامل قدرته فى الحياة والذى يكون أثراً للضمير الحى المهذب الذى يقدر الخير ويحمى الحق اذ أن الضمير هو من قدرة الله فى داخل الخلق

وللوصول إلى هدف الضمير الحى وضع الإسلام للتهذيب الروحى جملة من الوسائل تتلاقى كلها عند غرض واحد وهو تنقية الضمير والفطرة والبشرية من معانى الشرك والبعد عن معانى الإسلام الداعية لله خالق الكون ومبدعه . وبهذا التفكير الإسلامى تعرف الآثار الدالة على جلال

مصدرها وعلى كماله فى العلم والقدرة وعلى عموم رحمته وسلطانه فتخضع النفس لإرادته وتنشط فى طاعته وتتعرض فى حياتها إلى ما يرضيه ويقرب إليه . ومن هنا كان ذكر الله والتفكير فى آثار قدرته جناحين يرتفع بهما الإنسان عن المادة المظلمة إلى الروحية المضيئة التى تنير الطريق أمام القلوب المؤمنة لتسلك سبلها إلى الله فاطر السموات والأرض وخالق كل شىء . وبذلك يصل المؤمن إلى كون العالم وحدة قوية تتجلى فيها وحدة الخالق وسلطانه القوى الرحيم . وإن تقليب النظر فى الأرض وما حوت وفى السموات وما اشتملت لوسيلة للتهذيب الروحى السامى وهو التفكير المصحوب بالتذكر الذى يطبع فى النفوس صور الجلال والجمال الربانى وكيف يصل الإنسان إلى هذا الهدف الأسمى بدون جسم سليم يحميه عقل سليم ليكون الوصول إلى الله وعبادته قائمة على سلامة العقل والبدن ونقاء الضمير وتهذيب الفكر . ولا يمكن لشارب الخمر أن يصل إلى هذه الدرجات التى تقربه إلى الحق سبحانه وتعالى إذ عقله يصير غير واع وجسمه غير قادر حيث يكون تحت تأثير عقل منحرف معه وينغمس فى ملذاته وشهواته . ومجتمع يكثر فيه شاربو الخمر ومدمنوه لمجتمع هزيل تتفشى فيه الفردية والانعزالية وينتشر فيه الفسق والفجور وتسوده الفوضى والارتجال حيث إن العقل الذى وهبه الله للإنسان يصير تحت تأثير الخمر التى تخرج العقل عن وظيفته التى خلق من أجلها وهى قيـادة الجسم إلى الكمال والوصول به إلى خير الأعمال التى رسمها الله للإنسان للارتقاء بنفسه والنهوض بالمجتمع الذى يعيش فيه . ولقد حرم الله كذلك الخمر خوفاً على عبده الإنسان الذى خلقه ليستخلفه فى الأرض حتى لا يفسد فيها . وفى ذلك يجب

أن يعلم الإنسان أن الإسلام يحارب الروحية البحتة كما يحارب المادية البحتة ورأى أن الروحية البحتة سبيل التعطل وإهمال لقوى العمل المودعة فى الإنسان وتقوى قدرة الإنتاج المودعة فى الكون وأن المادية البحتة سبيل لقتل المعانى الفاضلة وتدفع بالإنسان إلى جوانب الطغيان المفسدة للحياة . ولذلك فالإسلام ينظم دائماً بأحكامه واقع الإنسان بما يقف به فى الحد الوسط الذى لا إفراط فيه ولا تفريط ، والإنسان فى واقعه جسم وروح وللجسم حظ ومتعة وللروح مثل ذلك وكمال سعادته إنما يكون باستكمال حظ الجسم والروح معاً . إلا أننا نرى أنه بالخمور تنهار العلاقة بين الروح والجسد إذ يفقد العقل قدرته وسيطرته على الجسد فيأتى بأفعال تتنافى مع ما أحله الله للإنسان من الطيبات وتتمشى مع ما حرمه الله وتدفعه إلى الانغماس فيه حيث لا سلطان عليه ولا رادع من عقله وضميره . ولذلك فإن فى تحريم الخمر تنظيماً لفعل المرء وسؤدداً للمجتمع الذى يعيش فيه . والله فى ذلك رحيم بعباده إذ وهبهم العقل ليسمو بهم إلى الدرجات العليا من الكمال . وواجب أن يحمى الإنسان عقله من الفتور والضياع حتى يستمتع بحياته القائمة على التوازن بين الروح والجسد والعقل والبدن . والخمر من هذه الناحية مضعفة لهذا التوازن وعليه أن يحرر الجسم من سيطرة العقل ويبعد المادة من تحكم الروح فينطلق إلى الآفاق الوعرة سالكاً الطريق الذى يقود إلى الفساد والبعد عن الله وعدم التدبر والتفكر فى نعمه عليه . إن الله سخر للإنسان هذا الكون وأعطاه القدرة والقوة وسهل له الوسائل العلمية لاكتشاف أسرار هذا الكون واستخراج كنوزه التى خلقها الله له وجعلها فى قبضة

يده ومتناول عقله « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » . هذا ويوجه الله نظر الإنسان وذكره إلى الثروات التى خلقها له وتتكون منها الاقتصاديات الضرورية فى حياة الأمم ونهضتها . وذلك ليعمل فى مجالها ويحصل عليها ويستفيد منها ، ففى الثروة الحيوانية يقول سبحانه « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » وفى الثروات النباتية يقول سبحانه « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات . والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه » . وفى الثروات المائية يقول « وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها » وفى الثروات الجبلية يقول « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » فهذه كلها من نعم الله وواجب الإنسان أن يستغل العقل الذى وهبه الله له لاستخدامها ووسيلته فى ذلك هى حماية عقله وبدنه من كل عبث كالخمور التى تزيل فكر العقل وقوة البدن . وتجعل الإنسان عاجزاً عن البحث واكتشاف هذه المصادر الطبيعية التى أوجدها الله له فى الأرض والسماء وفى الماء والفضاء وفى الحيوان والنبات والجماد . فلنبعد عن الخمر التى حرمها الله والتى تعوقنا عن واجباتنا الدنيوية والأخروية ولنقدم بجسمنا وعقلنا إلى العمل المتواصل بقوة الجسم ولحكمة العقل لنصل إلى أسرار الله فى خلقه ونستخرج من هذه المخلوقات كنوزها المودعة فيها لتكون للإنسان خير وسيلة لحياته فالخمر مبعدة عن العمل وداعية إلى الفرقة ، مفرقة بين الإخوة والأصدقاء ومضيعة للوقت والمال . ويقول سبحانه فى تحريمها « إنما يريد الشيطان أن يوقع

بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر » فإذا ما شرب الخمر حلت العداوة والبغضاء وكانت نتيجتها الفرقة والتشاحن وعدم التعاون وكلها وسائل تقود إلى التدهور والإفلاس .

فإذا كان الإسلام هو دين العقل والعلم وكان موقف القرآن فى الحث على التفكير فى ملكوت السموات والأرض لكان واضحاً أمامنا المكانة الكبيرة للعلم والعقل فى نظر الإسلام . إذ نجد أن العقل هو آلة التفكير والعلم ثمرته . وإذن يكون كل ما ورد فى القرآن حثًّا على التفكير هو إعلان على العقل وإيماء بالعمل على تربيته وتقويته حتى يكون مقراً صالحاً للعلم . وبذلك كان الإسلام دين الفكر ودين العقل ودين العلم . وقد ارتفع القرآن بالعقل وسجل أن إهماله فى الدنيا سيكون سبباً فى عذاب الآخرة . فقال سبحانه حكاية لما يجرى على ألسنة الذين ضلوا وأهملوا عقولهم ولم يستعملوها فى معرفة الحق والعمل به « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » ثم ارتفع بالعلم وجعل أهله فى المرتبة الثالثة بعد الله والملائكة « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط » ثم جعلهم سبحانه وحدهم هم الذين يخشون الله من عباده بما أدركوا من آثار قدرته وعظمته فقال بعد أن لفت الأنظار إلى نعم الله وآياته « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فكيف السبيل لنصل بعقولنا وأفئدتنا إلى هذا السمو وخير وسيلة أن ندرك بالعلم غايتنا ونحفظ العقل مقر العلم والفكر ونحافظ عليه من أن يفقد قدرته فينحاز عن الطريق السوى الذى يوصلنا بالعلم إلى الله . إن الله لم يخلق الإنسان عبثاً بل خلقه ليستخلفه فى الأرض ويتدبر ويتفكر فى خلق نفسه وفى المخلوقات الأخرى التى هى آيات من

آيات الله وفضله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . فصحة البدن وسلامة العقل وسمو الروح لا يصل إليها الإنسان إلا إذا ابتعد عن النواهى وبعد عن المحرمات التى نهى الله عنها وحرمها وأولها الخمر المذهبة لقوى العقل والمضعفة للفكر والوعى والباعثة إلى الفسق والدافعة إلى الفجور ، فخير للإنسان أن يبقى واعياً بعقل سليم يقربه إلى الحق من أن يعاقر فتذهب منه العقل وتبعد بينه وبين الله خالقه ورازقه وراعيه . وننشر العداوة والحقد والبغضاء بين الناس وما كنا فى حاجة إلى كل ذلك « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر » .

### تحريم الخمر فى الديانة المسيحية

ولقد رأينا أن الديانة الإسلامية حرمت الخمر وجاء تحريمها تدريجيًّا وقاطعاً وأن الله الذى حرم الخمر فى الإسلام لهو سبحانه وتعالى الإله الأوحد والرب الأمجد الذى حرمها فى الديانة المسيحية حبًّا فى عباده وحفاظاً على الإنسان من عبث الدنيا الذى يجىء نتيجة للخمر .

ففى كتاب بعنوان « كأس الخمر حلال أم حرام » للقس لبيب ميخائيل فى فصله الأول يتساءل ويجيب على الأسئلة بإجابات دينية مقنعة ويثبت فيها أن الخمر محرمة تماماً فى الديانة المسيحية ، وذلك ردًّا على القائلين بأن المسيحية تجيز شرب الخمر نظراً لما ذكر فى بعض آيات الكتاب المقدس التى أسىء فهمها وحددت معانيها والديانة المسيحية بمعانيها ومفهومها تحرم الخمر وتنذر بعقاب مدمنيها .

يسأل الكتاب : هل كأس الخمر حلال أم حرام – وهل يبيح الكتاب المقدس شرب الخمر – وما الرأى الواضح الأكيد بخصوص الخمر فى الكتاب المقدس ؟ وهذه أسئلة طالما ترددت على شفاه الكثيرين ، والمؤلف يجيب عليها إجابة وافية نتيجة درس دقيق فى ثنايا كلمة الله ويقول سيكون مرجعنا فى كل ما نكتب هو الكتاب المقدس الذى يحوى الحق دون أى خلط أو امتزاج بالخطأ .

**آيات تدفعنا إلى التفكير :**

ويقيناً أن الكتاب المقدس ملىء بالآيات التى تدفعنا إلى التفكير والبحث الدقيق ، وهذه الآيات تتحدث عن الخمر حديثاً مزدوجاً ، فمرة يبارك الله الخمر ومرة يصب الويل على من يقدمها لصاحبه .

فتعال معى لنقلب صفحات السجل المقدس ونتابع قراءة بعض هذه الآيات :

ها نحن نسمع صاحب المزمور يقول « باركى يا نفس الرب . . المنبت عشباً للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض وخمر تفرح قلب الإنسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت .

وها نحن نسمع صاحب الأمثال يقول « لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة . فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان .

وها هو موسى يتكلم إلى شعب الله القديم قائلاً « يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان . ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك

وثمرة أرضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك .

ومرة ثانية يقول صاحب الأمثال « لا تكن بين شاربي الخمر المتلفين أجسادهم .

وها نحن نسمع بولس الرسول يوصى تلميذه تيموثاوس قائلاً « لا تكن في ما بعد شراب الماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك » .

ثم نقلب صفحات النبوة فنسمع حبقوق قائلاً : ويل لمن يسقى صاحبه سافحاً حموك ومسكراً أيضاً .

وأمام هذه الآيات لنا أن نسأل : هل يناقض الكتاب المقدس نفسه حتى إنه يبارك الخمر ثم يلعنها ، ويشجع الإنسان على شربها ثم يحذره من النظر إليها ؟ أم أن هذا التناقض الظاهر دليل على نقص معرفتنا ودافع إلينا على ضرورة دراسة كتابنا ؟

يقيناً أن الكتاب المقدس لا يناقض نفسه لأن كل الكتاب هوموحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر لكى يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح .

إذن ما وراء هذا التناقض الذى يبدو للقارئ السطحى ؟

إن الحقيقة التى يجب أن يعرفها كل دارس للكتاب المقدس هى أن الكلمة « خمر » فى النسخة العربية للكتاب المقدس هى ترجمة ثلاث كلمات عبرية مختلفة ذكرها خادم جليل فى مقال له عنوانه « المسيحية تحرم الخمر » .

**الكلمة العبرية الأولى هى « وين » ومعناها « عصير » :**

وترينا هذه الكلمة أن هناك نوعاً من الخمر كان شائعاً فى العهد القديم ، وهى الخمر غير المختمرة التى كانت تؤخذ من العنب رأساً وتقدم عصيراً طازجاً للتحية أو مع الطعام ، ويؤيد ذلك ما جاء فى سفر التكوين عن ساقى فرعون ، إذ يقول الساقى ليوسف وهو فى السجن « كنت فى حلمى وإذا كرمة أمامى . وفى الكرمة ثلاثة قضبان وهى إذا أفرخت طلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنباً وكانت كأس فرعون فى يدى . فأخذت العنب وعصرته فى كأس فرعون وأعطيت الكأس فى يد فرعون فقال له يوسف هذا تعبيره . الثلاثة قضبان هى ثلاثة أيام . فى ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك . فتعطى كأس فرعون فى يده كالعادة حين كنت ساقيه .

ومن هذه الآيات يتبين أن القدماء اعتادوا أن يشربوا عصير العنب الطازج وهذا العصير يسميه الكتاب خمراً ، بل يبارك هذا النوع من الخمر .

وهناك نوع آخر من الخمر كان شائعاً فى العهد القديم ، فقد اعتاد القدماء أن يأخذوا السائل الذى يجرى فى معصرة العنب وقت ما تنضج الكروم ويغلونه على النار ويضعونه فى أوعية من الخزف أو الجلد ويبردونها فى أماكن بعيدة عن الحرارة أو بوضعها تحت الماء فتعزل النار الخميرة التى فى العصير وتتلف قوتها ويخزنون هذا العصير لتقديمه فى غير وقت العنب وكان هذا العصير معروفاً بأنه « الخمر الجيدة غير المختمرة » فإذا رأى

أنها مركزة كانت تخفف بالماء كما نفعل بعصير الفواكه المركز اليوم . . من البرتقال والمانجو والتفاح وما إليها .

ونستطيع القول بكل اليقين أن هذا النوع هو الذى استخدمه الرب يسوع المسيح ليلة عشاء الفصح ، ودليلنا على ذلك أن الشرط الأساسى للاحتفال بعشاء الفصح هو « نزع الخمير » من البيت كما نقرأ س سفر الخروج عن وصية الرب بهذا الخصوص فى الكلمات « سبعة أيام تأكلون فطيرا . . اليوم الأول تعزلون الخمر من بيوتكم فإن كل من أكل خميراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل . « ولا يؤكل خمير . . ولا يرى عندك مختمر ولا يرى عندك خمير فى جميع تخومك » .

وإذن فليس من المعقول أن تكون الخمر التى أجرى بها السيد له المجد فريضة العشاء « مختمرة » ولكنها قطعاً كانت من النوع الذى عزلت خميرته بالنار والتبريد لأنه لو كانت هذه الخمر مختمرة لجلبت لعنة ، ولما استخدمها الرب يسوع كأساً للبركة .

وإذا اتفقنا على هذه الحقيقة وهى واضحة لكل ذى عين اتضح أمامنا موقف الرب له المجد فى عرس قانا الجليل حين حول الماء إلى خمر شهد عنها رئيس للمتكأ إذ قال للعريس « وأما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن » وقد قلنا فيما سبق إن الخمر الجيدة هى مجرد عصير العنب الباقى المركز الصافى المغلى بالنار لعزل الخميرة منه « فكأن ما فعله الرب يسوع المسيح ، هو أنه قام بتحويل الماء الذى تحوله الكرمة إلى عصير عنب فى أسابيع وشهور إلى عصير عنب جيد فى لحظة ، ليظهر مجده كالإله الخالق القادر على كل شيء ، وهذا ما سجله البشير يوحنا ...

فى الكلمات » هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل « وأظهر مجده فآمن به تلاميذه » فبواسطة هذه المعجزة معجزة تحويل الماء إلى عصير عنب مركز جيد أظهر المسيح مجده كخالق فآمن به تلاميذه وما كان له وهو القدوس أن يحول الماء إلى مسكر وهو الذى كتب رسوله بولس الكلمات « لا تسكروا بالخمر التى فيها الخلاعة بل امتلئوا بالروح .

ولقد أطلق الرب له المجد على محتويات الكأس التى استخدمها ليلة عشاء الفصح اسم « نتاج الكرمة » وهو نتاج كان يلزم قطعاً أن يكون غير مختمر لاستخدامه كما أوضحنا فى عيد الفصح وهذه هى الخمر التى باركها الكتاب ، بل هذه هى الخمر التى طلب بولس من تيموثاوس أن يشربها قائلاً « لا تكن فى ما بعد شراب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة . فهو هنا يوصى تيموثاوس بنصيحة لوقا الطبيب الحبيب أن يستعمل عصير العنب الطازج أو العصير المعزول الخمير من الماء الذى يؤذى معدته وعصير العنب معروف بغناه فى النواحى الغذائية الحيوية والحرارية ، إذ أنه يحتوى على سكر الجلوكوز المفيد ومثله عصير البرتقال والتفاح والمانجو والطماطم فكلها عصائر تحوى كميات من الفيتامينات الضرورية لصحة الجسم وسلامة المعدة ، ومن مراجعة مؤلفات أرسطو طاليس ويوسيفوس وبلوتارك نجد أن القدماء قد عرفوا عدة عمليات لحفظ العصائر والفواكه من التحلل والاختمار والفساد وهذه العصائر هى الخمر التى باركها الكتاب المقدس وأباح شربها . حسب معنى الكلمة العبرية .

**الكلمة العبرية الثانية هى « تيروش » ومعناها « ثمر » أو « نتاج » :**

وقد ذكرت كلمة « تيروش » التى ترجمت فى النسخة العربية إلى خمر – ٣٢ مرة فى الكتاب المقدس ، وهى تعنى ثمار الحنطة والزيت وقطعان الغنم وسائر الغلات ومع أنها ترجمت إلى كلمة خمر فى الترجمة العربية للكتاب المقدس إلا أنها لا تعنى السائل المعروف بهذا الاسم بل تعنى شيئاً يجمع ويؤكل ، ومن الواضح أن ثمار الكرمة من عنب طازج أو زبيب مجفف تقع تحت مدلول الكلمة . وهذا النوع من الخمر مباح وغير محرم . ولكى نؤكد ما قلنا بصفة قاطعة نذكر آية وردت فيها كلمة « تيروش » وترجمت فى النسخة العربية إلى كلمة « خمر » وهى تقول « جمعوا خمراً وتيناً كثيراً جداً » والمقصود بكلمة خمر فى هذه الآية هو ثمار العنب ، الذى قال عنها صاحب المزمور « باركى يا نفسى الرب . . . المنبت عشباً للبهائم . . . وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خبز من الأرض وخمر تفرح قلب الانسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت » ويبدو واضحاً فى هذه الكلمات أن الخمر التى تنبت من الأرض هى ثمار العنب وليس السائل المعروف بهذا الاسم والذى يسكر شاربيه . ولقد بارك الرب « الخمر » التى تعنيها كلمة « تيروش » فى كل أجزاء العهد القديم بقوله « ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وخمرك » .

يقيناً ما أحوجنا أمام عمق الكتاب المقدس إلى صلاة الرسول بولس التى رفعها لأجل كنيسة فيلبى قائلاً . وهذه أصلية أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر فى المعرفة وفى كل فهم حتى تميزوا الأمور المتخالفة لكى تكونوا مخلصين بلا عثرة إلى يوم المسيح .

**الكلمة الثالثة العبرية هي « شيكار » – ومعناها « مسكر » :**

ترجم المترجمون كلمة شيكار – العبرانية إلى مسكر فى الترجمة العربية وهى تعنى الخمر المسكرة التى تحوى المادة الكحولية . والكحول هو نتيجة التخمر الذى يحدث فى بعض المواد القابلة للتخمر وهو عنصر خام فى الخمر « المسكرة » .

ولقد ميز الكتاب المقدس بين الخمر بمعنى « وين أى عصير » والخمر بمعنى شيكار أى مسكر فى كثير من آياته ونرى هذا بوضوح حتى فى النسخة العربية للكتاب المقدس إذ يقول الرب لموسى « كلم بنى إسرائيل وقل لهم . إذا تفرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير لينتذر للرب . فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب **خل الخمر ولا خل المسكر** ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل من كل ما يعمل من جفنة الخمر من العجم حتى القشر .

ونقرأ فى سفر القضاة كلمات ملاك الرب لمنوح بعد أن بشره بولادة شمشون حين سأله منوح « عند مجيء كلامك ماذا يكون حكم الصبى ومعاملته ؟ فقال ملاك الرب لمنوح . من كل ما قلت للمرأة فلتحتفظ من كل ما يخرج من جفنة الخمر **لا تأكل وخمراً ومسكراً لا تشرب** .

فالمسكر وهو الكلمة المترجمة عن كلمة « شيكار » العبرية يعنى أى نوع من المشروبات المختمرة حتى من غير العنب وتناول هذه المشروبات التى يطلقون عليها ظلماً اسم « المشروبات الروحية » محرم تحريماً باتاً مطلقاً فى الكتاب المقدس والذى يشرب المسكرات له الويل والشقاوة وازمهرار العينين والجروح بلا سبب ، بل إن هناك ويلاً صريحاً لمن يسقى صاحبه مسكراً .

**الأدلة الكتابية على تحريم الخمر المسكرة :**

إن الخمر المسكرة والتى وردت فى اللغة العبرية باسم « شيكار » محرمة كل التحريم فى ثنايا الكتاب المقدس بكلا عهديه القديم والجديد.

فاليهودية تحرم فى مفهومها الصحيح هذا النوع من الخمر والمسيحية تحرم المسكرات بآيات تلمع كنور شمس النهار المشرق .

وقد يتساءلون : لماذا يحرم الكتاب المقدس المسكرات وأين نجد الآيات الصريحة بخصوص هذا الموضوع الخطير ؟

ونجيب على أساس واضح أن كلمة الله قائلين إن الكتاب المقدس يحرم الخمر المسكرة للأسباب الآتية :

١ – الخمر محرمة لأنها مستهزأة .

٢ – الخمر محرمة لأنها تقود إلى الويل والشقاوة .

٣ – الخمر محرمة لأنها تتلف صحة الجسد .

٤ – الخمر محرمة لأنها تفسد الحكم على الأشياء .

٥ – الخمر محرمة لأن السكارى لن يرثوا ملكوت الله .

٦ – الخمر محرمة لأنها تضل شاربيها .

٧ – الخمر محرمة لأن الويل لمن يسقى صاحبه منها أو يشربها .

**زعم أن الخمر عطية من الله لبنى إسرائيل :**

وفى كتاب تحريم الخمر فى الديانة المسيحية يقول الشماس صادق

إلياس رداً على هذه المزاعم – زعم محللو شرب الخمور أن الخمر كانت في العهد القديم من العطايا التي وعد الله أن يعطيها لشعبه بني إسرائيل . ولا يزال ( على زعمهم ) يعطيها لخلقه أجمعين . ودليلهم على ذلك آيات واردة في التوراة لا تفيد أن الخمر منحة حسب زعمهم وإنما جهلهم معناها الحقيقي وتفسيرهم إياها حسب ظاهر معناها الحرفي الذي يتبادر إلى ذهنهم . هو الذي حدا بهم إلى القول إن المسكرات عطية من العطايا التي يمن بها الله عليهم . وهذه الآيات كثيرة منها قول إسحق لابنه يعقوب عند مباركته إياه فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر . وقول موسى الوارد في البركة التي بارك بها بني إسرائيل تكون عين يعقوب إلى أرض حنطة وخمر وسماؤه تقطر ندى وقول الله لهم ( أي لبني إسرائيل ) فإذا سمعتم لوصاياي التي أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم أعطي مطر أرضكم في حينه المبكر والمتأخر فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك . وقوله تعالى أيضاً عنهم عند إرجاعه إياهم من سبيهم فيأتون ويرنمون في مرتفع صهيون ويجرون إلى وجود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت وعلى أبناء الغنم والبقر وتكون نفسهم كجنة ريا ولا يعودون يذوبون بعد ، وبناء على هذه الآيات يقولون لو كانت الخمر من المحرمات لما طلب إسحق من الله لأجل ابنه يعقوب أن يعطيه ( كثرة حنطة وخمر ) ولما بارك موسى بني إسرائيل بقوله لهم ( تكون عين يعقوب إلى أرض حنطة وخمر ) ولما وعدهم الله أنهم إن أحبوه وأظهروا محبتهم له بعبادتهم إياه وحفظهم وصاياه يعطي أرضهم مطراً في حينه المبكر والمتأخر فيجمعون حنطتهم وخمرهم وزيتهم .

ولما أنبأهم أيضاً تعالى أنهم عند إرجاعه إياهم من سبيهم ( يأتون ويرنمون فى مرتفع صهيون ويجرون إلى وجود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت ) وعليه فهذه النصوص ( على زعمهم ) من أوضح الأدلة على تحليل ارتشاف الخمور .

وجواباً على ذلك أقول : إن لفظة خمر الواردة فى الكتاب المقدس لم ترد فيه بمعناها الحقيقى فقط . ولكنها وردت بمعان أخرى كثيرة أيضاً . ( فقد وردت أولاً ) بمعناها الحقيقى كقول سليمان الحكيم . لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان ( ثانياً ) وردت بمعنى تعاليم الإنجيل كقوله تعالى أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذى ليس له فضة . تعالوا اشتروا وكلوا . هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً والذى يدلنا على أن المراد بالخمر اللبن هنا التعاليم الإنجيلية كون السيد المسيح استعار الخمر لتعاليمه وذلك بقوله . بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً . وقد استعار بولس الرسول أيضاً اللبن لكرازته بقوله . وإنها أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال فى المسيح سقيتكم بنا لا طعاما وردت الخمر بمعنى التعاليم الفاسدة التى تعلم الكنيسة ( المعبر عنها ببابل الزانية ) الناس بها وتضلهم بواسطتها كقوله . سقطت ببابل المدينة العظيمة لأنها سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها . وردت الخمر بمعنى القصاصات التى يجلبها الله على الخطأة ويعاقبهم بها على جميع ذنوبهم فى هذه الحياة كقول النبى لا فى يد الرب كأساً وخمرها مختمرة ملآنة شراباً ممزوجاً وهو يسكب منها لكن عكرها بمصه

يشربه كل أشرار الأرض . ( ثالثاً ) وردت الخمر بمعنى السعادة الأبدية وذلك كقول السيد المسيح لرسله . أقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذه إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى ( ومن المعلوم أن القديسين فى السماء لا يجوعون ولا يعطشون ولا يأكلون ولا يشربون وإنما الخمر التى يعد السيد المسيح رسله . أن يشربها جديدة معهم فى ملكوت أبيه . هى كناية عن السعادة الأبدية التى يتمتعون بها فى ملكوته العلوى حيث يحبون معه فى مجده وهو يفرح بهم وهم يفرحون به لمشاهدتهم فى كل حين مجده . كما نسمعه له المجد يقول . أيها الأب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى . ( رابعاً ) وردت الخمر بمعنى عنب كقول يوحنا الرائى ولما فتح الختم الثالث سمعت الحيوان الثالث قائلاً هلم وانظر فنظرت وإذا فرس أسود وجالس عليه معه ميزان فى يده وسمعت صوتاً فى وسط الأربعة الحيوانات قائلاً ثمنية قمح بدينار وثلث ثمانى شعير بدينار أما الزيت والخمر فلا تضرهما . فالجالس على الفرس الأسود وما قيل عنه هنا كناية عن ضربة أرسلها الله إلى أشجار الأرض ونباتاتها ولكنه تعالى أمر الضارب أن يضرب كل المزروعات إلا أشجار الزيتون والعنب بقوله ( أما الزيت ) والخمر ( أى العنب ) فلا تضرهما وورود لفظة خمر فى الكتاب المقدس بمعنى عنب هو من باب تسمية الشيء باسم ما يكون منه . ويقال لهذه التسمية فى اللغة العربية المجاز المرسل . فقد ورد فى كتاب قواعد اللغة العربية فى تقسيم المجاز المرسل صفحة ١٢٧ سطر ٧ ما نصه ( واعتبار ما يكون فى قوله تعالى أرانى أعصر خمراً أى عنباً ) انتهى .

وإذ قد عرفت ان لفظة خمر الواردة فى الكتاب المقدس لم ترد فيه بمعناها الحقيق فقط ولكنها وردت بمعان مجازية كثيرة أيضاً . وقد وردت ضمناً بمعنى عنب . فاعلم إذاً أن الآيات الواردة فى العهد القديم التى يتبين منها أن الخمر عطية من العطايا التى وعد الله أن يعطيها لشعبه بنى إسرائيل المراد بالخمر المذكورة فيها العنب . ينتج من ذلك أن قول إسحق لابنه يعقوب ( فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر ) أى كثرة حنطة وعنب . وقول موسى عن بنى إسرائيل ( تكون عين يعقوب إلى أرض حنطة وخمر ) أى إلى أرض حنطة وعنب . وكذلك قول الله لهم ( فإذا سمعتم لوصاياى التى أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم . أعطى مطر أرضكم فى حينه المبكر والمتأخر فتجمع حنطتك وخمرك وزيتك ) أى فتجمع حنطتك وعنبك وزيتونك . وكذا إنباؤه إياهم تعالى أنهم عند رجوعهم من سبيهم ( يأتون ويرنمون فى مرتفع صهيون ويجرون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت إلخ . . ) أى على الحنطة وعلى العنب وعلى الزيتون . وعليه فهذه الآيات لا تفيد تحليل شرب الخمور كما يزعم المعترضون .

هذا ونفس الآيات الواردة فيها لفظة خمر . بمعنى عنب يفهم منها بواسطة قرائن هذه اللفظة سواء كانت السابقة أو اللاحقة لها أن المراد بها العنب . ومثال ذلك ( أولا ) قول موسى النبى لبنى إسرائيل . ومن أجل أنكم تسمعون الأحكام وتحفظونها وتعملونها يحفظ الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك ويحبك ويباركك ثمرة بطنك وثمرة

أرضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض التى أقسم لآبائك أن يعطيك إياها والقرينة الموجودة هنا هى التى يتبين منها أن المراد الخمر المذكورة فى هذه الآية العنب هى قوله ( ثمرة أرضك إذ أن موسى يعد إسرائيل أنه إذا أطاع الله بسماعه لأحكامه وحفظه وصاياه يبارك ضمناً ثمرة أرضه قمحاً وخمره وزيته . ولا يخفى أن الأرض تثمر قمحاً ولكنها لا تثمر خمراً ولا زيتاً وإنما تثمر عنباً وزيتوناً دعاهما الوحى هنا خمراً وزيتاً مجازاً وذلك من باب تسمية الشىء باسم ما يكون منه ( ثانياً ) قول موسى أيضاً . تعشيراً لعشر كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة وتأكل أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره ليحل اسمه فيه . عشر حنطتك وخمرك وزيتك وأبكار بقرك وغنمك لكى تتعلم أن تتقى الرب إلهك كل الأيام ، والقرينة الموجودة هنا التى يتبين منها أن المراد بالخمر المذكورة فى هذه الآية العنب هى قوله ( تعشيراً تعشر كل محصول زرعك الذى يخرج من الحقل سنة بسنة عشر حنطتك وخمرك وزيتك ) ومن المعلوم أن الحنطة محصول الزرع الذى يخرج من الحقل ولكن الخمر والزيت ليسا كذلك . إذ أن الحقل لا يخرج خمراً ولا زيتاً وإنما يخرج عنباً وزيتوناً دعاهما الكتاب هنا خمراً وزيتاً مجازاً وذلك من باب التسمية للشىء باسم ما يكون منه ( ثالثاً ) قول موسى أيضاً . تكون عين يعقوب إلى أرض حنطة وخمر وسماؤه تقطر ندى والقرينة الموجودة هنا التى يتبين منها أن المراد بالخمر المذكورة فى هذه الآية العنب هى قوله أرض حنطة أى أرض تنبت الحنطة .

لكن ما معنى قوله « وخمر » أى « وأرض خمر » هل يمكننا أن نقول

وأرض خمر . وأى أرض تنبت خمراً . تغل خمراً ؟ كلا لأن الأرض لا تغل خمرًا وإنما تغل عنباً دعاه موسى هنا خمرا مجازاً . وذلك من باب تسمية الشيء باسم ما يكون منه ( رابعًا ) قول الله على لسان هوشع النبي والأرض تستجيب القمح والمسطار ( أى الخمر ) والزيت والقرينة الموجودة هنا التى يتبين منها أن المراد بالخمر المذكورة فى هذه الآية العنب هو قوله تعالى ( والأرض تستجيب ) أى تعطى وبديهى أن الأرض تعطى قمحاً ولكنها لا تعطى خمراً ولا زيتًا . وإنما تعطى عنباً وزيتوناً دعاهما الله هنا خمراً وزيتاً مجازاً وذلك من باب تسمية الشيء باسم ما يكون منه وقس على ذلك .

ومما يؤيد أيضًا أن المراد بلفظة الخمر المذكورة فى مثل تلك الآيات العنب . كون كلمة الخمر الواردة فى التوراة العربية مترجمة عن كلمتين فى اللغة العبرانية لغة التوراة الأصلية الكلمة الأولى يين . وهى الخمر المختمرة التى تسكر . والكلمة الثانية ( تيروش ) وهى الخمر غير المختمرة التى لا تسكر شاربها . وكل الآيات التى تبين لنا أن الخمر عطية من العطـايا التى يمن بها الله على شعبه وتبين أيضاً من قرائنها أن المراد بها العنب مترجمة ترجمة خمرها هذه عن كلمة ( تيروش ) وهى الخمر غير المختمرة التى لا تسكر . ولكن الآيات الواردة فيها لفظة خمر بمعناها الحقيقى ويتبين منها أن الخمر مؤذية وتعاطيها خطيئة مترجمة عن كلمة ( يين ) وهى الخمر المختمرة التى تسكر .

فالخمر التى وعد الله أن يعطيها لشعبه بنى إسرائيل بقوله فإذا سمعتم لوصاياى التى أنا أوصيكم بها اليوم لتحبوا الرب إلهكم وتعبدوه من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم أعطى مطر أرضكم فى حينه المبكر والمتأخر فتجمع

حنطتك وخمرك وزيتك . مترجمة عن كلمة ( تيروش ) الخمر غير المختمرة التى لا تسكر . ولكن الخمر التى كان بنو إسرائيل يشربونها فى زمان ضلالهم وقد توعدهم الله بالحرمان من ارتشافها وذلك بقوله كروماً تغرس وتشتل وخمراً لا تشرب ولا تجنى لأن الدود يأكلها . وبقوله اصحوا أيها السكارى وابكوا وولولوا يا جميع شاربى الخمر على العصير الذى انقطع عن أفواهكم . مترجمة عن كلمة ( يين ) الخمر المختمرة التى تسكر .

الخمر التى طلب إسحق من الله أن يعطيها لابنه يعقوب بقوله . فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخمر مترجمة عن كلمة ( تيروش ) الخمر غير المختمرة التى لا تسكر . ولكن الخمر الواردة فى قول الله لهرون خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكى لا تموتوا فرضاً دهرياً فى أجيالكم . مترجمة عن كلمة ( يين ) الخمر المختمرة التى تسكر .

الخمر التى أنبأ موسى بنى إسرائيل بأن الله سيعطيهم إياها بقوله ( تكن عين يعقوب إلى أرض حنطة وخمر وسماؤه تقطر ندى ) . مترجمة عن كلمة ( تيروش ) الخمر غير المختمرة التى لا تسكر . ولكن الخمر التى حذر الوحى منها الإنسان بقوله ( لا تنظر إلى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان . مترجمة عن كلمة ( يين ) الخمر المختمرة التى تسكر .

الخمر الواردة فى قوله تعالى . ويجيب الرب ويقول لشعبه هأنذا مرسل لكم قمحاً ومسطاراً ( أى خمراً ) لتشبعوا منها ولا أجعلكم أيضاً عاراً بين

الإثم . مترجمة عن كلمة ( تيروش ) الخمر غير المختمرة التى لا تسكر.
ولكن الخمر الواردة فى قوله سبحانه . ويل للمبكرين صباحاً يتبعون
المسكر للمتأخرين فى العتمة تلهبهم الخمر . مترجمة عن كلمة ( يين)
الخمر المختمرة التى تسكر . فلماذا يا ترى كل الآيات التى يتبين منها
أن الخمر عطية من العطايا التى وعد الله أن يعطيها لشعبه ويفهم من القرائن
أن المراد بها العنب . خمرها فى اللغة الأصلية ( تيروش ) أى الخمر غير
المختمرة التى لا تسكر ؟ ألا يدل ذلك دلالة واضحة على أن المراد بهذه
الخمر المذكورة فى هذه الآيات العنب حقًّا كما بينا آنفاً .

**الخلاصة** : لقد حرمت الأديان الخمر كما هو واضح من الآيات
البينات من القرآن الكريم والكتاب المقدس وكما هو ظاهر من أقوال
الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام . إن بعث الأنبياء جاء لترشيد العباد
إلى ما فيه صالحهم وسلام عقولهم وأبدانهم ليكونوا قادرين على التفكير
فى الكون وخالقه وعلى إثبات وحدانية الله وعظمته والوصول إلى الله خالق
كل شيء الذى خلق الإنسان ليستخلفه فى الأرض . ومن أجل ذلك
حرم سبحانه وتعالى الخمر حتى لا تضر هذا الإنسان الذى خلقه ونفخ
فيه من روحه ليسبح بفضله ويعبده . ولا يمكن للإنسان أن يكون إنساناً
إلا إذا حافظ على جسمه بشقيه الجسد والعقل . والخمر أول هادم لهما
إذ يحول الإنسان إلى جسم حيوانى يأتى بالأفعال الحيوانية إذ أن هذا
الجسم صار حرًّا طليقاً بدون عقل يردعه نتيجة للخمر أم الخبائث .

# الفصل الثاني

# المكيفات المخدرة

المواد المخدرة عديدة ولكن غالباً ما يقصد بالمخدرات الحشيش والأفيون والكوكايين والقات . والحشيش هو المخدر المستخرج من نبات القنب الهندى ويسمى مدمن الحشيش حشاشاً . والأفيون تلك الخلاصة التى تستحضر من ثمار نبات أبو النوم ويسمى مدمنه بالأفيونجى نسبة لمادة الأفيون نفسها . أما الكوكايين فهو شبه قلوى أبيض مستحضر من أوراق نبات الكوكا ولقد سمى مدمن الكوكايين بالشمام نظراً لانتشار استعماله بطريق الشم . أما القات فهو نبت تمضغ أوراقه للكيف ويسمى مدمن القات بالمخزن نظراً لتخزينه فى الفم .

**لمحة تاريخية :**

ظهر استعمال الحشيش من آلاف السنين بالهند والعجم ولكن انتشاره بالصين كان قليلاً وربما لاعتياد الصينيين استعمال الأفيون . ولقد انتشر الأفيون بمصر واليونان وتركيا فى القرن الخامس عشر ثم دخل العراق قادماً من الفرس . ولقد انتشر الأفيون ومشتقاته من مئات السنين ، وزاد انتشاره بعد الحرب العظمى الأولى حيث سئم الناس حياة الجد والعمل فى أيام الحرب المفزعة فأدمنوا الأفيون والهيروميين ملتمسين الراحة والخمول وعدم التفكير فى سوء حالتهم ، فجعلوا المخدرات غذاء لنفوسهم ودواء لأمراضهم وإكسيراً لحياتهم . أما أوراق نبات الكوكا فكانت معروفة عند هنود أمريكا منذ عهد قديم ، وكان أول استعمالها عام ١٨٥٩ . ولم يقتصر استعمال المخدرات فى بلدان الشرق . فقد تبين كذلك أن الحشيش انتشر فى أمريكا وأوربا من قديم الزمن وقد استعمله أدباء الغرب منهم بودلر ( ١٨٧٢ ) الذى وضع كتاباً فى الحشيش بعنوان الجنة المصطنعة . وجوتيه ( ١٨٨٣ ) الذى وضع كتاباً بعنوان نادى الحشاشين . وهذان قد صورا النعيم الذى يزعمه الحشاش أحسن تصوير .

وإلى أوائل الحرب العالمية أى ١٩١٤ كان الحشيش والأفيون المادتان المستعملتين من المخدرات ، وقد زرع الأفيون فى صعيد مصر بكميات كبيرة ، أما الحشيش فكان يرد لها من البلاد الأخرى كاليونان . كما أدخل الكوكايين كذلك فى أواخر الحرب العظمى وأقبل عليه أفراد عديدون من جميع الطبقات . وأما الهيرومين وهو أحد مشتقات المورفين

المستخرج من الأفيون فقد عرف حوالى عام ١٩٢٥ واستعمل علانية وانتشرت تجارته لدرجة كبيرة . وفى عام ١٩٢٩ أنشئ مكتب مخابرات للمواد المخدرة إثر هذا الانتشار الفظيع لهذه المخدرات البيضاء ( الكوكايين والهيروين ) لشدة أثرهما على القوى الجسمانية والأخلاق . وكان لمعاهدة منترويال بين مصر وبريطانيا أثر كبير فى تمكين مصر من مكافحة انتشار المخدرات حيث ألغيت الامتيازات الأجنبية ، مما سهل للمصريين طرق تفتيش الأجانب الذين دأبوا على تهريب المخدرات مسترين تحت راية جنسيتهم التى كانت تحميهم من التفتيش . ثم عام ١٩٤٦ نقل اختصاص عصبة الأمم فى المخدرات إلى هيئة الأمم المتحدة .

كان من أسباب انتشار المخدرات بمصر عدم وجود قوانين صارمة فى العهد الماضى فقد كان الدكريتو الصادر فى مارس ١٨٨٤ يعتبر الاتجار فى الحشيش جنحة بسيطة . أما القانون الصادر فى عام ١٩٢٢ فكان يعتبر الاتجار فى المخدرات مخالفة وغرامتها من خمسة قروش إلى جنيه والحبس من يوم إلى سبعة أيام ، وفى مارس سنة ١٩٢٥ صدر مرسوم بقانون ينظم الاتجار فى المخدرات وطرق استعمالها واعتبرها جنحاً يعاقب عليها القانون من شهر إلى ثلاث سنوات وبغرامة من عشرة إلى ثلثمائة جنيه . وفى مايو سنة ١٩٢٦ منعت الحكومة زراعة الأفيون منعاً باتاً بقانون سن لذلك ، إذ كان يزرع فى مديريات الوجه القبلى فى نحو خمسة آلاف فدان . ثم صدر القانون رقم ٢١ فى أبريل ١٩٢٨ بشأن وضع نظام للاتجار بالمخدرات واستعمالها ، وكان هذا القانون أكثر صرامة من سابقيه إذ جعل العقوبة من ستة شهور إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من مائة جنيه

إلى ستمائة للمتعاطين وسنة إلى خمس وبالغرامة ألف جنيه للتجار والمستوردين . وأخيراً صدر قانون رقم ٦٧ لسنة ١٩٢٨ الخاص بالعقوبات وتنظيمها ثم شكلت لجنة فى نفس السنة لتعديل هذا القانون حيث أسفر تطبيق أحكامه عن عيوب كثيرة وقد جاء هذا التعديل منظماً للاتجار والاستعمال . وهناك مرسوم بقانون رقم ٣٥١ لسنة ١٩٥٢ بمكافحة المخدرات وتنظيم استعمالها والاتجار فيها به عشرة أبواب لهذا الغرض .

**أقوال القدماء فى المخدرات :**

للمخدرات آثار سيئة وتأثير أسوأ على الأجسام وهذا مما دعا الكثيرين للكتابة عن هذه المساوى ويصفونها بما أحسوا به ولاحظوه من فعلها . وقد وصف المقريزى سيطرة الحشيش وتأثيرها وخواصها فذمها ذماً شديداً وعدد قبائح مدمنيها ومستعمليها وما فعل بعض الملوك فى شأن إبطالها ، ومما يثبت قدمها استعمال الحسن بن الصباح إياها لأصحابه وأتباعه الذين سموا بالفداوية وكانوا من شر القتلة نتيجة لتأثير الحشيش . أما ابن البيطار فذكر فى مفرداته أن القنب الهندى الذى يسمى بالحشيشة يسكر جداً حتى إنه يخرج الإنسان إلى حد الرعونة ، وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال إلى الجنون والقتل . ولقد ذكر الإمام ابن تيمية أن الحشيشة الملعونة تورث الخيالات وتضل العقل والدين والخلق وهى من أعظم المنكرات . وهى مع أنها تسكر فآكلها يبقى مصطولاً وتورث التخنث وتفسد المزاج وتوجب كثرة الأكل وتورث الجنون وقليلها يدعو إلى كثيرها والمعتاد لها يصعب فطامه . وقال إن هذه الأسباب تدعو إلى تحريم الحشيش

الذى أدخل فى سوريا فى العصر السادس من الهجرة ويرى أن الحشيش أشد خبثًا وأكبر ضرراً وأكثر إيذاء للفرد والمجتمع من الخمر ، لذلك يجب أن تكون مكافحته وحدها أعنف من حد مستعمل الخمر . واستكمل فقال إن الحشيش يبذل العقل دون أن يجلب اللذة ويرى أن آكلى هذه الحشيشة معرضون لسخط الله ورسوله وعباده المؤمنين ، لأنها مشتملة على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه وتورث الخيالات الفاسدة والجنون وهى محرمة بمنزلة غيرها من المسكرات . وقال الشطى إن الأفيون يستعمل فى الطب لتسكين الآلام وتوقيف الإسهال وهو خطر فى الأطفال والكهول . يستنشق المدمنون عليه دخانه طلباً للنشوة التى تتجلى فيهم بتنبيه الدماغ والملكات العقلية تتلوها سلوى ونوم عميق ويستيقظ المدمن من خدره محطماً قليل القوى فاقد الشهية مخبولاً غير قادر على العمل ميالاً للإجرام . وقد وصف أحد المبتلين الذين أنقذوا من بلواهم مضار الأفيون بقوله : إذا اعتاد المرء على الأفيون أصبح أسير قيوده قليل الأكل بحيث يعود أكله أقل مما يجب ويعتاد التقاعد والكسل بحيث لا يعود فى وسعه العمل .

ولقد تساءل رسل باشا فى أحد تقاريره « لماذا سقطت مصر فريسة للإدمان على المخدرات بهذا الشكل الذى يستدعى النظر والبحث فى ذلك الوقت » . ولقد رد الدكتور عبد الوهاب الطبيب بسجن مصر العمومى عام ١٩٢٨ على هذا التساؤل قائلاً إن الأسباب المهمة تتلخص فى :

١ – كثرة وصف الأفيون ومركباته ومشتقاته فى الأدوية نظراً لسرعة تأثيرها فى تخفيف الآلام .

٢ – كثرة إقبال الناس رجالاً ونساء على استعمال المخدرات حبًّا

فى الظهور والتقليد الأعمى .

٣ – تناول الجهلة المخدرات هرباً من تناول الخمور التى حرمها الله .

٤ – إن الضائقة المالية وسوء الأحوال الاقتصادية هزت أصحاب البيوت المالية والتجارية وعائلى الأسر الكبيرة مما جعلهم يلجأون للهـرب من ضائقتهم وهمومهم .

٥ – كثرة استعمال المخدرات فى الحالات البسيطة الآلام والأوجاع مما جعل مستعملها مدمناً .

٦ – إن زراعة الأفيون بالوجه القبلى سابقاً وبكثرة سهل الطرق أمام الناس لتعاطيه وإدمانه .

٧ – سهولة تهريب الحشيش من اليونان وتركيا وغيرها من مدمنيه ، ولما أحكمت الرقابة على التهريب لجأ الناس لإدمان غيره من المخدرات .

٨ – كان إدمان المخدرات بمصر بشكل يدعو للتساؤل بعد الحرب العظمى الأولى التى بعدها ذاق الناس الشدة والحرمان مما زاد فى همومهم وبأسهم فلجأوا للمخدرات هروباً من العمل طلباً للراحـة والكسل هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد أقبل الناس عليها إرضاء لشهواتهم بعد أن ذاقوا الهوان فى حرب أثرت كثيراً فى أعصابهم وأخلاقهم .

٩ – كان الاستعمار سبباً فى الإدمان ، فالامتيازات الأجنبية كانت تحول بين تفتيش المهربين من الأجانب مما سهل عليهم مهمة تهريب المخدرات التى اكتسبوا منها الأموال الطائلة .

١٠ – كانت قيود المخدرات وقوانينها غير صارمة مما سهل انتشارها فى التجارة والاستعمال ، ومن هذا جاء الإدمان بشكله المخيف .

١١ - لجأ الكثيرون للمخدرات استجابة للشهوات البهيمية واعتقاداً خاطئاً فى استعمالها لإطالة المتعة والترف .

### أنواع المخدرات :

سبق أن ذكرنا أن أكثر المخدرات انتشاراً الحشيش والأفيون ، واللذان ما زال استعمالهما منتشراً فى جميع أنحاء العالم ، أما الهروين وهو أحد مشتقات المورفين العامل الفعال فى الأفيون والكوكايين وهو العامل الفعال من أوراق نبات الكوكا ، فقد قل استعمالهما كمخدر بين الناس ولكنهما ما زالا يستعملان فى الطب والعلاج ، ولذلك سنحصر القول عن الحشيش ثم الأفيون وننوه عن القات الذى انتشر استعماله باليمن ويهدد صحة مدمنيه . وفى الصفحات التالية وصف مختصر لكل منها .

### الحشيش

### وسائل استعماله وملخص تأثيره :

يصنع الحشيش المعروف من القمم النامية لنبات القنب الهندى التى تحوى الأوراق والزهور والبراعم والبذور وغيرها . وهذه تعجن جيداً وتحول إلى كتل صلبة مختلفة الأشكال أو تسحق جيداً بعد جفافها وتستعمل بشكل مسحوق أخضر . ومن مستحضرات الحشيش الطبية الخلاصة المائية أو الكحولية وهى ما تستعمل فى التطبيب والعلاج ، وتؤخذ بالفم وحدها أو مع غيرها من المركبات الطبية كعلاج لبعض الآلام ، ويحتوى الحشيش من الأسس الفعالة على صمغ راتنجى يسمى كتابينين الذى

يحتوى على زيت مخدر يسمى كنابيتول كما يحتوى على شبه قلوى وبعض المواد النباتية الأخرى. وإذا ما أخذ الحشيش طبياً فيستعمل بشكل مستخلص أو صبغة كحولية التى تعطى بمقدار نصف إلى سنتيمتر مكعب منها وقد يؤخذ منقوع الحشيش فى الماء بشكل مشروب للتخدير وإحداث النوم . وقد يمزج المسحوق بالعسل أو محلول السكر أو يستنشق ممزوجاً مع التبغ فى السجاير أو فى النرجيلة ( الجوزة ) . ونظراً لتحريم الحشيش فإن المدخنين يتخذون لهم أوكاراً وأماكن سرية يجتمعون فيها على شكل حلقة ثم يطاف عليهم بالجوزة فيدخن ما بها من حشيش وتمتص محتوياته فى الأبدان وتعمل مفعولها السريع فى الجسم والخلق والطباع .

فإذا أخذ الحشيش أو أحد مركباته بكميات متوسطة فإنه يحدث خمولاً فى مراكز المخ العصبية وتكون نتيجة ذلك قلة الوعى وعدم أصالة الفهم . كما يحدث خمولاً فى الغدد والمراكز العصبية المتعلقة بالحواس الخمس ومناطق الحس بالمخ . وخصوصاً فيما يتعلق بالزمن والمسافات والحساسية ، وهذا يؤدى إلى عدم الشعور وفقدان الحساسية وعدم القدرة على تقدير الوقت والمسافة مما يجعل متعاطى الحشيش مبالغاً ومخطئاً فى تقديراته للوقت الذى استعمله والمسافة التى قطعها . وفى بعض الأحيان وخصوصاً فى مدمنى الحشيش عن طريق الجوزة قد يشعرون بأحلام لذيذة وتخيلات لطيفة تنسيهم همومهم مع هلوسة فى الكلام والحركة مما قد يجعلهم فى حالة مضحكة . وإذا كانت الجرعات أو الكميات المأخوذة كبيرة فقدت العضلات قوتها على النشاط والحركة وضعفت الأطراف وقل الحس والاستجابة للمنبهات ؛ وبعدها يقع الشخص فى حالة نوم عميق

لا شعور فيه . ومن الملاحظ أن المبتدئ فى تعاطى الحشيش يشعر عند استعمال كميات بسيطة بالميل للقيء وثقل فى الرأس وصداع شديد وضعف الأطراف مع اضطراب فى السمع وجفاف فى الفم . كما يشعر بشعور غريب بالعظمة والقوة والمرح فيجعله يهذى بنكاته وسفاهاته . وفى هذا قد يصور له الحشيش حوادث الماضى فيرويها وقد يصعب عليه ذلك . وقد تستمر هذه الحالة مدة وجيزة ، وقد تظهر بعدها غرائزها النفسية البهيمية الخبيثة فيضل الحشاش ويصير كالبهائم فيأتى بالمنكرات بعد تلاشى قوى العقل الحاسمة التى تسيطر على الشخص فى حركاته وتصرفاته ، ومن ثم قد تأتى بعد ذلك فترة يصعب فيها على العقل تقدير الزمان والمكان والمسافة والأحجام والشكل والهيئة فيتصور القريب بعيداً ويتوهم الدقائق ساعات وأياماً ، وهكذا يختل تقديره وحكمه على الأشياء ثم قد يتوهم بعظمته الزائفة أنه قوى وقادر على كل شيء . هذا وتختلف الاضطرابات الناتجة عن الحشيش باختلاف الشخص فهى فى النساء والأولاد أشد منها فى الرجال وهى شديدة فى العصبيين والصغار . وقد تختلف الأعراض كذلك فى الأشخاص أنفسهم ويكون بعضها مضحكاً والآخر مزعجاً ومخيفاً على أنه قد يلحق هذه الفترة الهدوء والسكينة أو الاضطراب تقطعه أحلام مزعجة وكابوس ثقيل . ويستيقظ الحشاش بعد بضع ساعات هادئاً أو مضطرباً ذاكراً كل ما رآه من الأشباح متصوراً حقيقة ما مر به من هواجس وأحلام . أما الحشاش المزمن الذى قد اعتاد الحشيش بواسطة التقليد والعشرة السيئة مما قد يجعل الشخص مدمناً . فمتى أدمن المصاب صعب عليه التخلص منه . وفى هذه الحالة قد يشعر

المصاب بالإدمان بادئ ذى بدء بنشوة دائمة تشبه نشوة المسكرات ولكن سرعان ما يحوله الإدمان إلى عبوس وبلادة وحمق ورعونة ، وقد يكون ساهياً غارقاً فى أحلامه وأفكاره بطيء الحركة متردداً ضعيف البنية قليل العمر غير مكترث بما يجرى حوله ومضطرباً فى جميع وظائف الجسم فتضعف عضلاته ويبطئ الهضم وتضطرب الشهية للطعام كما يضطرب القلب والتنفس وينحل الجسم ويهزل البدن ويقل الإحساس والحس ويفقد المروءة وتسوء أخلاقه وتنحدر إلى السفالة والرعونة وقد تنتابه ثورات من الجنون والهذيان مما قد يدفعه إلى الإجرام أو الانتحار ، وتضعف قواه الجسمانية والعضلية مما قد يجعله يصاب بالجنون .

**التسمم من الحشيش :**

يختلف تأثير الحشيش فى الإنسان بالنسبة إلى الاعتياد عليه أو عدمه ويطلق على مجموع الأعراض الناتجة من استعماله قبل الاعتياد عليه اسم التسمم الحاد بالحشيش ، وأما إدمانه فيعرف بالتسمم المزمن .

**التسمم الخفيف الحدة بالحشيش :**

يشعر الحشاش المبتدئ باستعمال مقادير قليلة منه باستعداد للحركة وتنبه فى المعدة وميل إلى الغثيان والقىء ويصاب بانقباض الصدر وثقل الرأس وضغط الصدر وخدر عضلات الأطراف ومذلها أو تنملها ووخزها . ويضطرب سمعه وقد يعتريه طنين فى الآذان يحاكى لحنه لحن الماء العالى وتعتريه وعكة وانقباض وثقل عام ويبس فى الفم والحلق والبلعوم .

ويتشوش الدماغ فتتنبه ملكاته تنبهاً يخدع المحشش حتى أنه يخيل إليه أنه عظيم فى جسمه كبير فى نفسه قوى قادر مرح فيهذى هذياناً كله لغو وهذر وخطل وحشو ويختلف هذا الهذيان باختلاف ذكريات المحشش وثقافته ، وقد يصور له الحشيش حوادث الماضى وقائع آتية وتتوالى عليه الأفكار والهواجس بسرعة غريبة وتصدم وتتعاقب بشكل عجيب تظهر آثارها فى حركات المحشش وسكناته وقوله وكلماته ، غير أن خيال العظمة النفسانية يزول فى برهة وجيزة تستيقظ بعدها غرائز النفس البهيمية الخبيثة وتتلاشى قوى العقل اللاجمة للنفس الأمارة بالسوء فيصبح الحشاش أضل من البهيمة رشداً فيأتى بكل منكر . وتقاطع نوب الهذيان والأحلام فترات هدوء على أنها لا تلبث أن تعود شديدة يضل فيها العقل عن تقدير الزمان والمكان والمسافة والحجم والشكل والهيئة ، فيتصور الأشياء القريبة بعيدة والبعيدة قريبة ويتوهم الثوانى القصيرة شهوراً طوالاً وقد يخيل إليه إذا أمسك بآنية مدورة أنه قبض على القمر ، وقد يحدثك بحكاية له مع نوح أيام الطوفان . وقد يتوهم أن له من القوة ما ليس لغيره فيرى نفسه حاملاً جملاً على أصبعه وقد يتصور أنه يلبس فى يده خاتم مارد يأمر به المردة والجان فينفذون أوامره طائعين ويجيبونه إلى رغباته خاضعين وقد يخيل إليه أنه أخف وزناً من الريشة فيطير فى مهب الرياح .

تختلف الاضطرابات الناتجة من الحشيش باختلاف مزاج المحشش ، على أنها فى النساء والأولاد أشد مما فى الرجال وهى شديدة أيضاً فى العصبيين والضعفاء ، على أنه إذا كان بعضها مضحكاً فإن بعضها مزعج ومرعب ومخيف ومرهب ويلحق بزمن التنبه هذا نوم هادئ أو ساكن

أو مضطرب مشوش تقاطعه أحلام مزعجة وكابوس ثقيل . ويستيقظ الحشاش بعـد بضع ساعات هادئاً أو مضطرباً ذاكراً ما رآه من أشباح وأجرام متصوراً حقيقة ما مر به من هواجس وأحلام .

مضغ طبيب الحشيش لاختبار آثاره النفسية فقال : رأيت أن أهدابى نمت حتى بلغ طول كل منها ذراعاً كاملاً ولاح لى أصحابى حولى كأنهم حيوانات نصفها نبات فانتصب من بينها كركى على ساق واحدة وأخذ يحاضر باللغة الإيطالية عن الموسيقى وزعم أن كلامه يفعل فى الأبنية فعل القنابل الهدامة وظهر له أنه مرت عليه وهو فى هذا الحال ثلثمائة سنة فى حين أن نوبة هذيانه لم تستمر أكثر من ربع ساعة .

ويتضح مما مر أن الحشاش مضطرب الأفكار ، متناقض الخيالات كثير الأحلام صامت أو ثرثار يتبدل شأنه فى أبسط جزء من الزمان من حال إلى حال ، وكثيراً ما يكون أضحوكة لمن حوله أو سخرية لمن يراه .

**التحشيش المدمن :**

تنتقل عادة استعمال الحشيش الخبيثة بالقدوة والتقليد والعشرة السيئة ومتى أدمن المصاب صعب عليه التخلص . يشعر المدمنون على الحشيش فى بدء زمانتهم بنشوة دائمة تحاكى نشوة السكر ، ولكن سرعان ما يجعل الحشيش مدمنه ذا وجه عبوس ، سوداوى المزاج ، بليداً أبله وأحمق ، أرعن أو غبياً خاملاً غارقاً فى أحلامه . بطىء الحركات ، متردداً ، ضعيف البنية غير قادر على العمل ، لا يكترث مما يجرى حوله ، مضطرباً فى جميع أجهزته ، منحل العضلات بطىء الهضم مضطرب

الشهية للطعام ، مشوش القلب ، ضعيف النفس ، نحيل الجسم ، هزيله ، قليل الحس ، فاقد المرءوة ، سافلاً فى أخلاقه لا ينفع نفسه ، ولا ينتفع منه أبناء جنسه ، لا بل هو عالة على المجتمع تنتابه على رأى مونبيه . سورات جنون وهذيان تدفعه إلى الإجرام أو الانتحار ثم تضعف قواه ويصاب بالجذب والجنون فيحشر فى زمرة المجاذيب والمجانين أو ينتابه المرض المزمن فيقضى نحبه لانحلال وسائل دفاع جسمه غير مأسوف عليه .

### مقارنة بين خطر الحشيش والغول :

قارنا علميًّا واستقراءاً بين خطر الحشيش وخطر الأشربة الروحية كالعرق وما شاكله ، فرأينا أن خطر الحشيش يفوق خطر السكر فى كثير من الأحيان إذ لا يؤثر فى السكران ما كان حوله من الناس بقدر ما يستطيعون التأثير على الحشاش وما ذلك ، إلا لأن الحشاش يصاب بضلالة الحواس من سمع وبصر وشم ولمس وذوق وبضعف التفكير فيصبح قابلاً للتلقن من نفسه أو من غيره كما بينا ، فيتأثر من محيطه ومن الحوادث المارة عليه ومن فرحه وترحه ومن ماضيه وحاضره ويجسم الأمور تجسيماً كبيراً يدفعه إلى التعدى على الغير والإجرام ، وإننا لا نشك بأن كثيراً من حوادث الإجرام التى ترتكب فى ديارنا لأسباب تافهة جدًّا ترتد إلى الحشيش ، مع أن الذائع بين المسئولين اتهام الأشربة الروحية فى توليدها . ولعل المسئولين ينتبهون إلى هذا الأمر فيبحثون عن أثر الحشيش فى الجنايات .

لقد تحققنا ذلك من بضع حوادث استقرأناها ولا سيما من استفزاز

حشاش مزمن وسكير مزمن فى سجن القلعة فكانت الخبائث على اختلافها مجتمعة فيهما ، ولكنها كانت فى الحشاش أوضح وأبرز خاصة فيما يتعلق بالتعدى خلافاً لما هو ذائع ومشهور ومتناقل مأثور عن الحشيش والحشاشين .

**صور من استعمال الحشيش فى الشرق :**

يظهر أن استعمال الحشيش قديم فى آسيا – الهند والعجم – وقد عرفه الصينيون قبل ألفى سنة ، ولكن انتشاره لم يدع بينهم كثيراً ، ولعل سبب ذلك اعتيادهم على استعمال الأفيون . ويرى بعض المؤلفين أن فى إلياذة الشاعر اليونانى هوميروس ذكراً للحشيش باسم ببيانتس ، ولقد انتشر الحشيش فى مصر واليونان وتركيا فى القرن الخامس عشر . ورويت أحاديث شتى عن أول من عرفه ومنها رواية المقريزى . وقد جاء فيها : كان شيخ للفقراء إسمه حيدر كثير الرياضة قليل الطعام نشأ بخراسان واتخذ زاوية بأحد جبالها ومعه جماعة من الفقراء وأقام أكثر من عشر سنين لا يدخل عليه إلا رجل واحد منهم ، ثم خرج إلى البرية فى يوم شديد الحر وعاد وقد علا وجهه نشاط وسرور فأذن لأصحابه بالدخول عليه فسألوه عن هذا الحال الذى صار إليه ؟ فقال خطر ببالى الخروج إلى الصحراء فخرجت فوجدت كل شىء من النبات ساكناً لا يتحرك لعدم وجود الريح ومررت بنبات مورق فرأيته يميس بلطف ويتحرك كالثمل النشوان فجعلت أقطف منه أوراقاً وآكلها ، فحدث عندى من الارتياح ما ترون فأكلوا من أوراقها فحصل عندهم من السرور والطرب ما عجزوا

عن كتمانه فأمرهم الشيخ بكتمان السر إلا عن الفقراء . وقد توفى سنة ستمائة وثمانى عشرة للهجرة وكان قد أوصى أصحابه أن يوقفوا ظرفاء خراسان وكبراءهم على هذا النبات فأعلموهم بسره فاستعملوه وشاع أمر الحشيشة فى بلاد خراسان وفارس . ولم يكن أهل العراق يعرفون سرها حتى ورد إليها صاحب هرمز ومحمد بن صاحب البحرين وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس أيام الملك المستنصر بالله سنة ٦٢٨ هـ. فحملها أصحابها معهم فاشتهرت فى العراق ووصل خبرها إلى الشام ومصر والروم فاستعملوها ، وفى نسبتها إلى الشيخ حيدر يقول محمد بن على ابن الأعمى الدمشقى أبياتاً منها :

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر     معنبرة خضراء مثـل الزبرجد

وفيها معـان ليس فى الخمر مثلها     فلا تستمع فيهـا مقـال مفنـد

هى البكر لم تنكح بماء سحابة     ولا عصرت يوماً برجل ولا يـد

وكفَّ أكف الهم بالكف واسترح     ولا تطرح يـوم السرور إلى غد

وقال بعضهم : لم يأكل الشيخ حيدر الحشيشة وإنما أهل خراسان نسبوها إليه لاشتهار أصحابه بها ، وإن إظهارها كان قبله بزمان طويل. فى بلاد الهند وقد ذكرها ونسب إظهارها إلى أهل الهند على بن الشاعر بقصيدة جاء فيها :

ألا فاكفف الأحزان عنا مع الضر     بعذراء زفت فى ملاحفها الخضر

تجلت لنا لما تحلت بسندس     فجلت عن التشبيه فى النظم والنثر

فقم فانف جيش الهم واكفف يد العنا     بهندية أمضى من البيض والسمر

بهندية فى أصل إظهار أكلها     إلى الناس لا هندية اللون كالسمر

تزيل لهيب الهم عنا بأكلهـــا … وتهدى لنا الأفراح فى السر والجهر

ويروى أن أول من أظهرها لأهل الهند بيرطن ثم شاع أمرها فى بلاد الهند فنى اليمن وبلاد الفرس ثم فى العراق والشام والروم ومصر وكان بيرطن فى زمان الأكابرة وأدرك الإسلام وأسلم

والواقع أن الحشيشة معروفة منذ القديم وتسمى بالكف ، وعلى ذلك أنشد تقى الدين الموصلى :

كف كف الهموم بالكف فالكيف … شفاء للعاشـــق المهمـــــوم

بابنة القنب الكريم لا بابنة كر … م بعـــد النبت الكـــروم

وقال فيها بعضهم :

يا ساقى القـــوم أدر بينهم … خضراء تغنيهم عن الخمـــر

حشيشة تجعـــل كل امـــرئ … منهم حشيشاً ولا يـــــدرى

وقال آخر :

رب ليـــل قطعته ونـــديمى … شاهدى وهو مسمعى وسميرى

مجلسى مسجد وشربى مـــن خض … راء تزهى حسناً بلـــون نضير

قال لى صاحبى وقد فاح منهـــا … نشرها مزريا بنشر العبيـــر

أمن المسك ؟ قلت ليست مـــن … المسك ولكنها من الكافـــور

وقد بين المقريزى خواصها وذمها ذماً شديداً وعدد قبائح مستعملها وما فعل بعض الملوك فى شأن أبطالها . والذى يثبت أنها قديمة ، استعمال الحسن بن الصباح إياها لأصحابه وأتباعه الذين سموا بالفداوية وكانوا من شر القتلة .

عرفت كلمة الحشاشين فى فرنسا بعد عودة المحاربين إليها من الشرق

أيام الحروب الصليبية ، وقد زعم بعضهم أن كلمة الحشاشين الفرنسية محرفة عن حسن المذكور وعلى كل حال فإن إغراء حسن بن الصباح لأتباعه بالحشيش أمر مرجح وسواء ردت الكلمة إليه أم إلى الحشاشين فإن عمل رجاله قام على الإرهاب بتأثير الحشيش . يقول ماركوبولو : أوجد حسن بن الصباح هذا بمعاونة زمرة من الجماعة سماهم الفداوية وجعل منهم القتل والسلب والاستيلاء على قلاع عديدة فى أماكن من بلاد فارس وما جاورها ولم يزل على هذه الحال حتى توفى سنة ١٥٨ هجرية . كان يعد تابعيه بالجنة فى الحياة الدنيا فيصفها لهم بما أوتى من حسن بيان وقوة إفتاء ثم يعطيهم الحشيش فيصور لهم أنفسهم كما يلقنهم فى جنات عدن أو فى الجحيم ، لذلك صار إيمانهم به قوياً واعتقدوا أنه يدخل الجنة من يشاء ويدخل النار من يشاء ، وقد جاء فى كتاب مسالك الأبصار أن راشد الدين سنان كان فى قلعة بأعمال طرابلس من البلاد الشامية فى زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وأنه كان رجلا صاحب سيميا فأراهم بها ما أضل عقولهم من تخيل أشخاص من مات منهم على طاعة أئمتهم فى جنات النعيم ، وأشخاص من مات منهم على عصيان أئمتهم فى النار الجحيم فثبت ذلك عندهم واعتقدوه حقا ، ويعتقد أنه كان يستعمل الحشيش لهذا الغرض ، فلم يتردد أحد من تابعيه عن القيام بالأعمال الإرهابية التى كانت تطلب منه فقتلوا فى آسيا الغربية بين سنى ١٠٩٠ ، ١٢٥٦ خلقاً كثيراً من المسلمين والنصارى بجرأة غريبة .

ذكر ابن البيطار الحشيش فى مفرداته ومما قاله فيها : ومن القنب

نوع ثالث يقال له القنب الهندى يسمى بالحشيشة المسكرة يسكر جداً حتى أنه يخرج الإنسان إلى حد الرعونة وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال إلى الجنون والقتل .

تمكن الحشيش فى مصر إلى أن جاء الأمير سودون الشيخونى فدمر مزارع الحشيشة وشدد عليها العقاب .

وقد وضع ابن تيمية الإمام الفقيه الفاضل رسالة فى الحشيشة ومما جاء فيها .

وهذه الحشيشة فإنه أول ما بلغنا أنها ظهرت بين المسلمين فى أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة حين ظهرت ثورة التتار وكان ظهورها مع ظهور سيف جنكيزخان ثم قال تورث هذه الحشيشة الملعونة الخيالات وتضل العقل والدين والخلق وهى من أعظم المسكرات وهى شر من الشراب المسكر من بعض الوجوه والمسكر شر منها من وجه آخر ، فإنها مع أنها تسكر آكلها حتى يبقى مصطولاً وتورث التخنث واليانة وتفسد المزاج وتوجب كثرة الأكل وتورث الجنون وكثيرون من الناس صاروا مجانين بسبب أكلها وقليلها يدعو إلى كثيرها والمعتاد لها يصعب فطامه عنها أكثر من الخمر ، ولهذا قال الفقهاء يجب فيها الحد كما يجب فى الخمر ، على أن ابن تيمية يرى أن قصاص مستعمل الحشيش يجب أن يكون أشد من قصاص شارب الخمر .

**صور من انتشار الحشيش فى الغرب :**

ظن زمن طويل أن المزاج الغربى من أمريكى وأوربى لا يقبل الحشيش

ويقبل الغول ولذلك نرى الأشربة الغولية منتشرة فى أوربا وأمريكا على أن بعض الباحثين أثبتوا إنتشار الحشيش فى بعض عواصم أوربا كما تبين انتشاره فى أمريكا باسم ماريهوانا حتى أن بعض الولايات اضطرت إلى اتخاذ تدابير صارمة للقضاء على انتشاره . وذاع بصورة خاصة بين أدباء الغرب .

استعمل الحشيش من أدباء الغرب بودلر وغوتيه وصورا النعيم الذى يزعمه الحشاش أحسن تصوير . واختبر موروديتور العالم النفسانى أثر الحشيش فيه .

ولقد تناولت إحدى النساء الأديبات جرعة كبيرة من الحشيش وكتبت ما شعرت به ، قالت .

لم يمض على أكثر من ثلث ساعة حتى أغمى علىّ وتكررت نوب الإغماء ثلاثاً فدعى الطبيب إلى إسعافى فسمعته يسأل أهلى هل تناولت شيئاً غير عادى فقال واحد إننى تناولت الحشيش . فسألنى عن مقدار الجرعة التى تجرعتها وسمعت كلامه جيداً ولكننى لم أستطع أن أجيبه ، ولابد من أنه لحظ أننى أريد الجواب على سؤاله لأنه حنى رأسه إلىّ ولم أعد أشعر بشيء سوى أننى أحنيت رأسى وبقيت كذلك سبع ساعات متوالية بحسب تقديرى ، ثم رفعت رأسى ورأيت الطبيب يجس نبضى ويقول أظنها حركت رأسها مجيبة على سؤالى ، ولذلك فإن المدة التى حسبتها سبع ساعات لم تكن سوى ثوان تعادل الوقت اللازم لإحناء رأسى . ثم ترددت النوبات علىّ ، وقصرت الفترات بينها وقام فى نفسى أننى ميتة لا محالة وأن عذاب النار يتهددنى ، ثم شعرت كأنى فارقت

الجسد ولكنني كنت عازمة على العودة إليه . ولما فارقته لم أصعد إلى السماء كما كنت أتوقع ولا بقيت فى الأرض حول الجيران والأقارب ، بل غصت فى الفراش وأرض الغرفة التى كنت فيها ثم هبطت واستمررت هابطة كأنى قطعة من الزجاج ألقيت فى لجة البحر ، وخرقت كرة الأرض والهواء الذى تحتها وبقيت نازلة إلى ما لا نهاية له ولم أنزعج حينئذ بل كنت حائرة فى أمرى كيف خرقت كرة الأرض ولم أفصل أجزاءها بعضها عن بعض ولم تزد سرعتى باستمرار الهبوط كالأجسام الهابطة ثم رأيت أننى صرت شفافة ولم تعد لى إرادة ولا شيء ، ولما طال الأمر علىّ تولانى الرعب الشديد وحسبت أننى صرت وحيدة شريرة ، وسأبقى كذلك إلى أبد الآبدين لا قرار ولا راحة ، وحينئذ قلت فى نفسى : أين الشفيع الذى يخلص خاصته وحاولت أن أتذكر آية من الكتاب المقدس تزيل ما بى من الخوف والكرب وتنجينى من الهلاك ، وبذلت الجهد فى تذكرها فاستنارت الظلمة التى كنت أتخبط فيها بنور ساطع وانشق الهواء وظهرت فيه هاوية عميقة فهويت فيها وإذا بصوت ينادينى من أعلى عليين قائلاً :

من يؤمن بى فله حياة أبدية ، فطفح السرور على نفسى وشعرت كأنى ملكت مفتاح السماء وتغلبت على الموت والجحيم ، ولكن لم ألبث طويلاً حتى نزعت هذه الآية منى فعدت إلى الهاوية وبلغت جهنم مقر الأشرار وإذا أنا بعاصف شديد وبأصوات المعذبين تمزق كبد الجو وتمازجها قهقهة الأبالسة . وجعلت أبكت نفسى على ما فعلته من المعاصى وكبرت ذنوبى فى عينى وصارت كشوك ينخس جانبى وكوحش مفترس ينهش عظامى .

ثم أخذت أصعد بالسرعة التى هبطت فيها وجسمى كما لو كان على الفراش تماماً حتى أن طيات ثيابى لم تتبدل مع أننى خرقت كرة الأرض وسرت ما لا يحصى من الأميال وفيما أنا صاعدة سمعت أصواتاً تخاطبنى عن بعد شاسع جداً وتقول لى : لقد كفرت بالله وصرفت وجهك عنه فى الحياة فصرف وجهه عنك فى الممات فاهبطى اهبطى وابقى وحدك إلى الأبد . وسمعت صدى الكلمات الأربع الأخيرة متردداً من كل الجهات وحينئذ علت الغوغاء والضوضاء وسمعت ما لا يعبر عنه لسان كأنه صوت شلال عظيم كشلال نياغارا تمازجه ألوف من أصوات المدافع والصواعق والبحار وفوقها كلها صوت تلك الكلمات الأربع وهى :

ابقى وحدك إلى الأبد ، وتردد صداها فى الكون كله .

ثم استولت علىّ السكينة واحمر النور وأومضت البروق من كل الجهات وأطبقت الهاوية على ولكننى كنت لم أزل صاعدة مع ما كان يعترضنى من العوائق والموانع الشديدة التى كادت تطحن جسمى وتقطع أنفاسى ودامت السكينة مدة طويلة ولم أكن أسمع إلاّ صوت مدفع كبير لم أسمع فى حياتى صوتاً أقوى منه ، وكان كأنه ينطلق على مرة بعد أخرى فى أوقات متساوية بينها فترات طويلة وكان صوته يمزق جسمى تمزيقاً ثم يزول رويداً رويداً لكن يبقى أثره فى نفسى ويزيدنى غماً وألماً وتكرر على سمعى مراراً لا تحصى وهو فى كل مرة يزيدنى ألماً وكآبة ثم أخذت أصواته تتردد على مسامعى بأكثر سرعة إلى أن دنوت من الأرض وشاهدت غرفتى عن بعد وجسدى ملقى على سريرى وهو فى حالة النزع وحوله الأهل والأصدقاء وعلمت حينئذ أننى سأعود إلى هذا الجسد ودخلت الغرفة وعدت

إلى نفسي وأنا خائرة القوى . وحاولت بكل جهدى أن أتكلم وأشير إشارة يفهمها الذين حولي فلم أستطع وكنت أسمع كل كلمة تقال على مسامعى ولكننى كنت أحسب الصوت بعيداً جداً ، وحينئذ سمعت الطبيب يقول قد أفاقت ثم إنه فتح أجفانى ونظر فى عينى وحاولت جهدى أن أراه وأريه أننى رأيته ولكنني لم أستطع ذلك بل شعرت كأننى راجعة إلى الهاوية التى هبطت إليها قليلاً وأردت أن أستغيث بالطبيب لكى يمنعنى من الهبوط وكأن كل جارحة من جوارحى كانت تحاول ذلك ، ولكننى لم أر أى أحد من الحضور بادر إلى إغاثتي ، ولم أعرف سبباً ظاهراً لإغفاء أعز أصدقائى عني سوى أنهم رأوا أن لا أمل بنجاتى فقطعوا الرجاء منى . ولقد بقيت على هذه الحال خمس ساعات والنوب تتردد علىّ وفتح باب الآخرة أمامى ست مرات وكنت أدخله فيحيق بى ما لا يعبر عنه لسان من الخوف والرعب والقنوط وكنت أشعر فى كل نوبة أني لو كنت مؤمنة لنجوت من ذلك واستعضت عنه بالفرح والابتهاج وقد أخبرنى الذين كانوا حولي بعدئذ أنى لم أبد حراكاً فى هذه النوبات .

ثم لما خف فعل الحشيش صارت النوبات تقصر والفترات التى بينها تطول وكان الطبيب قد أنشقنى العقار المسمى نترات الأميل لتقوية قلبي لأن الحشيش كان قد أضعفه ولما أفقت علمت أن صوت المدافع الذى كنت أسمعه يتردد فى أوقات متساوية وأنا صاعدة من الهاوية إنما هو صوت خفقان قلبي ولم أشف من فعل الحشيش تماماً إلا بعد عدة أيام .

وقال آخر ممن جرب الحشيش : رأيت غرفتى عظيمة الاتساع ، علقت على جدرانها جماجم ضخمة كأنها جماجم الحيوانات البائدة

وخيل إلى أننى أنظر إليها منذ ستين فتناولت ساعتى فعلمت أنه لم يمر علىّ منذ شرب الحشيش سوى عشرين دقيقة ثم رأيت ساعتى تتسع وكأن دقاتها صوت العالم كله . فتناولت قلماً لعلى أخط بعض ما جال فى خاطرى فخانتنى يدى وشعرت بأن أصابعى كأرجل الرتيلاء فى دقتها فسقط القلم إلى أرض الغرفة فسمعت لسقوطه صوتاً كقصف الرعد وحانت منى التفاتة إلى النافذة فرأيت الأفق عظيم البعد مفعماً بدوائر من نور ونار متشابكة يدور بعضها على بعض ، فأجهدت نفسى لأعرف الوقت فرأيت أنه قد مضى على ٢٥ دقيقة منذ تناولى الحشيش ، فصحت : ٢٥ دقيقة لا بل ٢٥ يوماً لا بل ٢٥ شهراً لا بل ٢٥ سنة بل ٢٥ قرناً بل ٢٥ دهراً وكان قلبى يدق مسرعاً ودقاته كانتفاض الجبال . ثم جاءنى الخادم بالقهـوة فرأيت كأن فنجانها مرجل كبير نقشـت عليه صور الثعـابين أجمل نقش وأخذ يتسع حتى أحاط بالعالمين ثم وضع الخادم القهوة على المكتب فكان لصوت وضعها رنة دوت فى عظامى كأنها عشرة آلاف مطرقة تعمل فيها : شربت القهوة فشعرت بحرارة لا تحتمل ، نظرت إلى ساعتى فوجدت أنه مضى على ٥٠ دقيقة منذ مضغت الحشيش فنهضت إلى سريرى بعد جهد شديد لطول ساقى كما بدا لى ، ولما أخذت بنزع ثيابى طارت إلى الفضاء كلها وشعرت بعد ذلك بألم مبرح لا يوصف وتخيلت أيضاً أن جلدى يخطر ذهاباً وإياباً على رأسى وأن رأسى ورم وانتفخ حتى بلغ حجماً كبيراً ، ولم يأت صباح اليوم التالى حتى عدت إلى حالتى الطبيعية .

وقد استعمل الحشيش من الأدباء هاريسون فاعترته إثر تحشيشه

نوبة من الضحك صاح على أثرها لقد أصبحت قطاراً ثم أخذ يسير فى الغرفة بخطى متساوية ويزفر زفرات متقاطعة مقلداً زفرات القطار ، وخيل إلى تيلور أنه واقف عند هرم الجيزة الأكبر يحاول الصعود إلى قبته وأنه انتقل فجأة إلى الصحراء فاجتازها فى قارب مرصع بالجواهر النادرة ثم رأى جسمه ملتوياً على أشكال شتى وتخيل أن له قلبين ، قلباً ينبض بألف نبضة وقلباً ينبض متئداً ، وقد تصور العالم النفسانى مور ودوتور أن جسمه انفصل عن نفسه وقد رأى وسادة أمامه فصاح : هاك جسمى المصلوب وأخذ يبكى بكاء مراً على شبابه الغض زعماً منه أنه ميت وإن حاول الملتفون حوله إقناعه بأنه حى غير أنه لم يثق بكلام واحد منهم وأبى الاعتراف إلا بموته . وتناول آخر مقداراً من الحشيش أمام صديق له فما لبث أن صاح به احذر من أن تقلبنى لئلا يسيل الحبر منى فقد أصبحت دواة تلخص مظاهر الحشيش :

١ — تنبه عام فى الجسم بما فى ذلك أعصابه الحسية والحركية .

٢ — هذيان مصحوب بتخيلات ونشوة .

٣ — هدوء عميق .

٤ — نوم تقطعه نوب من الهذيان .

**الأفيون :**

الأفيون هو العصارة اللزجة التى تستخرج من ثمار الخشخاش بعد تقطيع جدرانها قبل نضوجها مما يسيل العصارة فتجمع وتخلط وتستعمل فى الطب أو فى الإدمان . وتحتوى هذه الخلاصة على المورفين وهو من

القلويدات بنسب تختلف باختلاف النوع والبلد الذى ينمو فيه من ٤ إلى ١٨ ٪ كما يحتوى الأفيون على قلويدات أخرى عديدة ومحتويات نباتية أخرى . ولكن المورفين هو العنصر الأساسى الفعال فى الأفيون والذى ترجع إليه التأثيرات المختلفة ويعتبر العامل الأول للإدمان وللأفيون والمورفين مستحضرات أخرى طبية تستخدم فى الأغراض العلاجية كالصبغات والمستخلصات والقلويدات وغيرها مما يستعمل فى الطب . ويؤخذ الأفيون عادة بالفم ، وأما المورفين فغالباً ما يستعمل حقناً لسرعة تأثيره وإحداث مفعوله .

ويستعمل الأفيون والمورفين ومستحضراتهما فى الطب لتسكين الآلام المبرحة كالمغص الكلوى والكبدى والمعدى وغير ذلك من الحالات التى تستدعى استعمال المسكنات القوية . كما يستعمل الأفيون فى حالات الإسهال الشديد المصحوب بالآلام وتختلف تأثيراته بالنسبة للأشخاص أنفسهم ، فهو شديد المفعول وخطر على الأطفال فقد يحدث لهم أعراضاً للتسمم . وهو خطر كذلك على الكهول الضعفاء حيث يقوى تأثيره ويزداد الاعتماد عليه ويثبت فيهم التعود عليه . وفى حالات الإدمان يدخنه المدمنون أو يأخذونه بالمضغ طلباً للنشوة الزائفة والإحساسات اللذيذة التى يتخيلونها . وهذه تتجلى بتنبيه وقتى للمخ والفكر والملكات العقلية يعقبها الخمول والنوم العميق الذى يستيقظ منه المدمن محطماً قليل القوى فاقد الشهية ضعيفاً غير قادر على العمل ميالاً للقسوة والإجرام . ولقد قيل إنه إذا اعتاد الشخص الأفيون فإنه يصبح أسيراً لقيوده قليل الطعام مما يؤثر على صحته البدنية وقواه العقلية فيعتاد التقاعد والكسل ويصير عضواً فاشلاً فى

المجتمع ولا يرجى منه إنتاج ولا فائدة فينهار مجتمع هؤلاء المدمنين .

ولقد وصف علماء العرب وأطباؤهم وعشبيوهم نبات الخشخاش . فإنه يسمى أبا النوم وتستعمله الأمهات لنوم الأطفال . والخشخاش منه البستانى وبزره أبيض ومنه البرى وبزره أسود ومنه صنف ثالث برى أصغر من هذين الصنفين وأشد كراهة وجميع الخشخاش قوته قوة تبرد . والخشخاش الذى يزرع فى المناهل بزره ينوم تنويماً معتدلاً ولذلك صار الناس ينثرون منه على الخبز ويأكلونه ويخلطونه بالعسل . والثانى من جنس الأدوية ويبرد تبريداً بليغاً . والثالث هو أكثر دخولاً فى جنس الأدوية ويبلغ من شدة تبريده أن يحدث خدراً وتماوتاً فلا يستعمله إلا الطبيب المجيد ليكسر قوة تبريده والأبيض منه إذا سحق الرأس منه كما هو بقشره وأضيف إلى مثله حلبة مسحوقة وطبخ بماء أو ماء ورد ووضع على الرمد فى ابتدائه سكن الوجع وردع المادة . وإذا خلط بالأدوية النافعة من السعال بحسب استعماله مطبوخة أو ممسكة نفع من السعال الرقيق المادة بأن يغلظها ومن الحارة بأن يعدلها . ومما ينصب من الدماغ بأن يمنعه من انصباب المواد إلى الحلق .

ومن أطباء العرب من يصف الخشخاش الأبيض بأنه هو البستانى وهو أصلح الخشاخيش للأكل وأجوده للحديث الرزين . وهو بارد رطب فى الدرجة الثانية وقيل الثالثة وهو واق من السعال البارد ونوازل الصدر ونفث الدم والمواد الحارة النازلة من الرأس وهو مع العسل يزيد فى المنى وقدر ما يؤخذ منه درهمان إلى خمسة . وقشره أشد تقويماً من بزره إذا طبخ وصب ماؤه على الرأس . والأسود من الخشخاش هو البرى المصرى وهو

نادر يابس فى الثالثة وقيل الرابعة وقد يستعمل فى وجع العين إذا اشتد عند الضرورة إليه على خطر فيه . وهو نافع من شدة حرارة الكبد وهو منوم مخدر يستعمل فى فتيلة فينوم وخشخاش بحرى ثمرته معقفة كقرن الثور ويعرف بالمقرن وهو مقطع شديد الجلاء يطلى به النقرس مع اللبن .

ومن الأطباء العرب القدامى من يقول بأن الخشخاش الأبيض صنفان : برى وبستانى ينفع فى السعال والنوازل فى الصدر وجربه يحبس لبطن وماؤه يسهل والشربة منه ثلاثة دراهم والخشخاش الأسود برى بستانى أيضاً وأجوده المصرى الحديث وهو بارد يابس فى الثانية وينقى لصدر وبالشراب للإسهال المزمن ومنه يصنع الأفيون أى من عصارته . هو من الأدوية الفعالة إذا دق وأغلى وصب ماؤه على الرأس . وينفع ن الصداع الحادث من إحراق الشمس ومن الحرارة التى فى البدن وإذا حرق وأخذ رماده وطلى على الجرب مع الخل ودهن الورد وترك حتى ينزل ن تلقاء نفسه بالعرق نفع مزمنه . والمرن البحرى مقطع شديد الجلاء وورقه افع من القروح الوسخة ويأكل اللحم الزائد وكذلك زهره .

والأفيون كما يصفه الشطى هو عصير مكثف مستخرج من الخشخاش يشتمل على مواد مسكنة ومسكرة ومخدرة أهمها المورفين والكودايين الخشخاشين وغيرها . يستعمل منه فى الطب خلاصات وأشربة ومركبات لتسكين الآلام وتوقيف الإسهالات وهو خطر عند الأطفال لسرعة تسممهم به كما أنه خطر كذلك على المسنين لإمكان التعود عليه وصعوبة الفطام منه . يستنشق المدمنون عليه دخانه للنشوة التى تتجلى فيهم بثنية الدماغ وتنشيط الملكات العقلية يتلوها الجمود والخمول الفكرى والحركى ثم

التخدير والنوم العميق حتى إذا ما أفاق المبتلى من خدره كان محطماً ضعيفاً فى حركته وفكره . وقد يرجع سبب الإدمان بالأفيون والمورفين إلى الاستعمالات الطبية المتكررة وإلى الاضطرار إلى وصفه فى حالات مرضية مختلفة مصحوبة بالألم الذى لاشفاء فيه ويذكر الشطى فى علاج الإدمان بالفطام الآنى إذا كان الاعتياد حديث العهد وبالفطام التدريجى إذا كان الإدمان قديماً .

ومن الدراسات الحديثة فى تأثير المورفين والأفيون ومستحضراتهما . أنها تؤثر فى الجسم عامة وعلى الجهاز العصبى فى تأثيره المخدر والمثبط لهذا الجهاز.

وأهم ما يلاحظ بعد إعطاء المورفين الشعور بالهدوء والميل إلى الكسل والنوم . ويصاحب ذلك بعض مظاهر التغير الخلقى وزوال الآلام مع شعور بثقل القدمين وسخونة فى الجسم وأكلان فى الأنف وجفاف فى الفم . وقد تشتد هذه الأعراض بزيادة الجرعة المعطاة فيحدث النوم العميق سريعاً وتزول الآلام التى لم تتأثر بالجرعات الصغيرة . وفى مثل هذه الحالات يزداد الميل للتقيؤ مع هبوط واضح فى التنفس وضيق فى حدقة العين . وهذا التأثير الأخير على العين يمكن زواله والتغلب عليه بإعطاء مادة الأتروبين . هذا ومن الملاحظ أن الجرعات الكبيرة من المورفين تسبب تقلصات عضلية مختلفة ناشئة من تأثير المورفين على مراكز الحركة فى المخ والنخاع الشوكى . وفى هذا التأثير على الحركة نجد أن هناك اختلافاً كبيراً بين الإنسان والحيوانات المختلفة إذ يحدث المورفين تهيجاً وحركة شديدة فى الحيوانات خاصة القطط . ومن الحيوانات التى تتنبه أكثر مما تهدأ بالمورفين الخنازير والأبقار والماعز والأغنام والسباع والنمور والخيول . وهذه الظاهرة

تجعل من العسير إمكان استخدام المورفين فى تخدير وتنويم هذه الحيوانات . أما الكلاب فهى أقرب للإنسان كثيراً من حيث استجابتها للمورفين حيث يحدث فيها أعراضاً يشابه إلى حد كبير ما يحدثه المورفين فى الإنسان ويعتبر التأثير المثبط للتنفس من أوضح التأثيرات التى يحدثها المورفين فى الجسم والتى درست معملياً وتطبيقياً ، وقد تعزى الوفاة من الجرعات الكبيرة من المورفين إلى تأثيره المثبط للتنفس . هذا وللمورفين تأثير واضح على مركز الكحة فى النخاع المستطيل حيث يثبطه ويقلل نوبات الكحة . ويخفض المورفين حركة الأمعاء ويضعف القوة الطاردة بها مما يسبب تراكماً للمحتويات المعوية المصحوبة بالإمساك الذى يتميز بصلابة البراز وهذا يفسر الإمساك الشديد الذى يصاحب إدمان المورفين ، ومما يزيد ذلك ويضاعفه تأثير المورفين المضعف للإفرازات الهاضمة .

ومن أخطار الأفيون والمورفين والمواد المشابهة والمستحضرات التى تحويها أن استخدامها يسبب التعود عليها وتحكمها فى حياة مستخدمها وحاجته إلى استخدام المزيد منها . وهذا مما جعلها أدوية يجب الحد من استعمالها وعدم التوسع فى استخدامها والاستعاضة عنها بغيرها مما لا يسبب التعود والإدمان . وقد يرجع أضرار مثل هذه المواد والعمل على الحد من استخدامها إلى أمور أهمها ألا يكون العقار مسبباً للتعود الذى يقود إلى الإدمان وألا يحدث العقار أعراضاً جانبية إذا أوقف استعماله . وبالإضافة إلى ما سبق فإن المورفين والأفيون ومستحضراتهما تسبب عديداً من الأعراض الجانبية مثل الرغبة فى التقيؤ والخمول والغيوم الفكرى ثم الإمساك والارتفاع المتزايد فى الضغط بالمجارى الصفراوية . وكذلك يلاحظ أعراضاً جلدية

مثل الارتكارية والالتهابات الخارجية مما يشير إلى احتمال ظهورها بعد المورفين نتيجة لإخراج الهستامين . وهذه كلها تحتم التفكير فى تلافى مثل هذه الأعراض بعدم استخدام هذه المواد المخدرة خاصة إذا ما علمنا أن كثرة استعمالها تسبب حالات تسممية تتلخص أعراضها فى الإغماء وضيق حدقة العين مثل سن الدبوس ثم ضعف التنفس وخموله .

وفى حالات التسمم بالمورفين يجب الإسراع فى إعطاء المصابين مضادات المورفين وأهمها نالورفين الذى يعمل سريعاً فى إزالة الأعراض . وفى هذا الصدد يمكن استخدام بلاسم ومواد مضادة للإدمان بوجه عام .

**القات :**

القات نبت شبيه بالبطم إلا أن شجرته صغيرة وورقه مثل ورق العفص يزرعه أهل اليمن فى البساتين مثل الأشجار ويبيعونه بأسعار عالية وهم يقطفونه أغصاناً ويرسلونه إلى المدن رزماً ملفوفة بالحشيش الأخضر ومربوطة بقشر الشجر .

ثم يجيئون بالرزم إلى المجالس ، مجالس القات فيفكونها ويرمون بالقشر والحشيش والقصبات على الأرض ثم يبدءون بالتخزين بعد أن يقفلوا الشبابيك ويشعلوا المداعات ( التراجيل ) وساعات القات عند أهل اليمن مثل ساعات الشاى عند الإنجليز وهم يدمنونه إدمان الأوربيين للخمر .

قال شاعرهم :

زمرداً يقطف الأصحـــاب أوقاتـاً

يصفــو به العيش أحيانـــاً وأوقاتاً

يا عاذلى عن حصول القات مت كمدا

لا نترك القات أحيــاء وأمواتاً

إن فى القات خاصية الحشيش الأولى ، أى الكيف وشيئاً من خاصية الأفيون المخدرة ، وقد بين أحد الأطباء المخبريين بأن القات يحتوى على مادة مخدرة من أشباه القلويات سماها قاتين .

وفى اعتقاد اليمانيين أن القات يطرب النفس ويخدر الحواس ويشحذ الذهن ويبعث فى صاحبه النشاط فيقويه على السهر والعمل . مع أنه يؤرق ويحدث فى المعدة يبوسة وانقباضاً فى الفم وجفافاً وعفوصة مثل البلوط فيطلب مستعمله الماء كثيراً ، واليمانيون يستعملونه كثيراً . ويفضلونه على خبز يومهم .

وترى اليمانيين فى مجالسهم يقعدون فى غرف صغيرة مقفلة وقد امتزج هواؤها بدخان كثيف فاسد يمضغون القات أى يخزنونه وفى الزاوية منضدة صغيرة إلى جانبها مداعة ( نارجيلة ) بين أكمة من الأوراق ورزمة من القات .

كل الناس فى اليمن من رجال ونساء وأولاد وأغنياء وفقراء يخزنون القات والتخزين فى عرفهم أن تمضغ الأوراق مضغاً بطيئاً طويلاً لا يلفظونها إلا عندما تذوب التخزينة ويكون ذلك فى إناء من النحاس .

إن مجالس القات لا تتم بغير أباريق الماء البارد وكئوس النحاس الجميلة الشبيهة بالكؤوس الذهبية .

ومما لا ريب فيه أن القات مضر بالصحة والنسل فهو يفقد المرء شهوة الأكل ويفسد أسباب الهضم ويحدث شللاً فى مجرى البول ولا يقوى الباه بل يضعفه . ولهذا نرى أكثر اليمانيين ضعيفى البنية صفر الوجوه قليلى النشاط .

وقد اتضح لجلالة الإمام ما ينتج عن القات من محاذير تسيء إلى الصحة فأخذ يدعو إلى مكافحته ، ويرى جلالته أن مكافحة القات سوف ييسرها إمكان الفطام عنه . فقد تبين أن اليمانيين يستطيعون الاستغناء عن القات متى كانوا فى أماكن لا يستطيعون تخزينه فيها .

ونظراً لأهمية القات كمادة تعتبر من المخدرات التى انتشر استعمالها فى اليمن فقد اهتمت هيئة الصحة العالمية بالأمم المتحدة به . وقام بعض العلماء بدراسته ووصفه وشرح محتوياته وتأثيره . ولقد تبين من هذه الدراسات الحديثة أن نبات القات يحتوى على قلويد له تأثير مباشر على الجهاز العصبي حيث ينبه الأعصاب وينشط العضلات ويمنع النوم . ودلت التجارب أن تأثير القات يتوقف فى شدته على الكمية المعطاة منه وأن هذا التأثير يختلف تماماً فى المتعودين عليه ومدمنيه حيث تزداد الكمية لإحداث التأثير الفسيولوجي . ويحدث فى مثل هؤلاء المعتادين ظهور بعض الأعراض الجانبية كفقدان الشهية للغذاء مما يقلل كمية الغذاء الذى يعقبه الضعف والهزال المصحوب بأمراض النقص الغذائى مع فقدان المقدرة على الفهم وضعف الإرادة .

والقات عندما يعطى للشخص العادى فإنه يحدث فيه تأثيراً يتميز

بشعور انعزالى خاصة فى تقدير الوقت والمسافة مع ظهور حالة من الضحك يعقبها بعض الشعور بالإغماء والغثيان ثم يفيق الشخص شاعراً بالألم والأوجاع . ويمكن القول بأن القات يحدث سلسلة من الأعراض فى أدوار ثلاثة : ففى الدور الأول يكون هناك شعور بالانتباه واليقظة والفكر . وفى الثانى يشعر متعاطى القات بخمول متوسط لمراكز الوعى والفكر وتقل فيه معدلات التفكير . وهذه التأثيرات تزداد شدة فى الدور الثالث حيث يزداد الخمول الفكرى ويعم الكسل والتراخى .

ومن الأعراض المرضية الإكلينيكية التى تلاحظ من تعاطى القات والتى تظهر بعد امتصاص مكوناته وأسسه الفعالة اضطرابات فى الجهاز الدورى ( القلب والأوعية الدموية ) حيث تظهر بسرعة بشكل ارتفاع فى ضغط الدم يتوقف فى شدته على الكمية المعطاة من القات . وهذه التأثيرات وجد أنها تشابه إلى حد كبير التأثيرات التى يحدثها قلويد الافدرين المشابه فى فعله وتأثيره ما يحدثه هرمون الأدرينالين الذى يرفع ضغط الدم ويزيد فى ضربات القلب لأنه يؤثر فى العصب السمباتاوى المنبه للقلب والقابض لأوعية الدم . هذا وقد ذكر بعض الباحثين أن استمرار تعاطى القات بشكل مزمن يحدث أعراضاً أهمها اتساع فى حدقة العين والتهابات بالفم وهذه الأخيرة قد تكون نتيجة لاحتواء القات على نسب مرتفعة من حامض التنيك القابض . كما يحدث فى المعدة مثل هذه الالتهابات وقلة فى حركتها وإفرازاتها وهذه قد تكون نتيجة للتنين وللتأثير المشابه للأدرينالين لقلويدات القات . هذا وقد يلاحظ أيضاً ضعف وشلل فى الأمعاء والتهابات وتليف فى الكبد مع ظهور أعراض الخمول

الجنسى الذى قد يكون فسيولوجياً أو نفسانياً .

أما الدراسات الكيماوية على نبات القات فتدل نتائجها على وجود خمسة أسس نيتروجينية فى القات من نوع الفنيل الكالمين وأن أهمها هو قلويد الكاثين الذى تعزى إليه معظم التأثيرات الفسيولوجية لنبات القات والسابق وصفها .

# المخدرات فى كلمات

## تحليل علمى لما تحدثه المخدرات :

يجدر بنا فى هذا المقام أن نشرح شرحاً مبسطاً الوظائف المخية المختلفة حتى يمكننا التعرف على تأثير هذه المخدرات عليها وما تحدثه فيها من تغيير وأعراض . وهنالك نظريات فى تأثير المواد على المخ . ومن هذه النظريات أنه إذا أثرت المواد على الخلايا العصبية والمراكز المخية فأول ما يتأثر من هذه المراكز العليا تبعاً لنظرية التطور يليها تأثر المراكز الأخرى تسلسلاً إلى أن تصل إلى مراكز الدورة الدموية والتنفسية وتعتبر مركزاً دنيا بالنسبة لمراكز الفكر العليا . ومنها كذلك أنه إذا أحدثت إحدى المواد تنبيهاً فى وظيفة عندما تؤخذ بكميات قليلة فإنها تسبب خمول هذه الوظيفة وضعفها إذا ما أعطيت بكميات كبيرة .

فالجهاز العصبى بوجه عام يتركب من مخ ومخيخ ونخاع مستطيل وفى كل

من هذه مراكز للوظائف المختلفة . ففى المخ مراكز هامة تتحكم فى الفكر والحركة والحساسية ويقوم بتوازن بين هذه المراكز بحيث تتزن الحركة والتحرك ويحتوى النخاع المستطيل على المراكز التى تتحكم فى القلب والأوعية الدموية وضغط الدم والتنفس وغيرها . وأهم ما يمكن ذكره فى هذا المجال أن المخ يحوى سلسلة من المراكز العصبية الهامة التى تتحكم فى الشخص وحركاته وسكناته وتفكيراته وتتلخص هذه فى :

١ – مراكز عليا ويتميز بها الإنسان عن الحيوان وهى مراكز تتعلق بالخجل والإحراج التى لولاها لفعل الإنسان ما يفعله الحيوان ، وكذا هناك مراكز للخوف والهموم والتقدير السليم للوقت والمسافات والأشكال وغيره .

٢ – مراكز الوعى والانتباه وهذه تتحكم فى اليقظة والنوم ، ولها علاقة قوية بالحواس الخمس التى بإخمادها وضعفها يتم النوم ، أما تنبيهها فيحدث اليقظة والوعى .

٣ – مراكز الحركة ومنها الكلام وهذه إذا اختلفت اختل معها المشى والكلام .

٤ – مراكز الحواس الخمس وهى مراكز السمع والبصر والحس والذوق والشم ولها علاقة متينة بمراكز الوعى والانتباه التى تعتمد عليها تماماً . هذا ويعتمد المخ كذلك فى وظائفه على مراكز الوعى والانتباه والحواس الخمس فإذا اختلت هذه اختل المخيخ وجاء الجسم بحركات غير متزنة .

فإذا ما أخذ الإنسان مخدراً أو مسكراً تتأثر به هذه المراكز وتلك الوظائف المخية بترتيب رقمها كما هو مذكور بدرجة تتوقف على كمية

المسكر أو المخدر . وأول المراكز تأثيراً هى المراكز العليا للخجل والإحراج والتقدير وخلافها ، وهذه إذا ما خمدت بالمخدرات مثلاً فلا خجل ولا خوف ولا إحراج ولا تقدير للأشياء ، وبهذا قد تنمحى الفوارق الإنسانية وتظهر الجرأة فى الحركات والغلظة فى الأقوال ويسود اعتقاد القوة والبطش وهذا يقلل ما يقوم به معظم المجرمين من تعاطى المخدرات والمسكرات قبل القيام بجرمهم وإجرامهم ليمحوا بها تحكم العقل عليهم فتنقلب إنسانيتهم إلى حيوانية باطشة لا تقدير للعواقب ولا للوقت والمسافات والأشياء ، فيظن الثوانى ساعات والأمتار أميالاً والنمل أفيالاً وضعفه قوة وغباءه ذكاء ومهاتراته نكات . فينساق إلى تلك المظاهر الخادعة الكاذبة بدون مخ يسيطر عليها ولا حكمة توقفه عنها حيث المراكز العليا المتحكمة فى ذلك ينمى سلطانه عليه . أما الدور الثانى فى تأثير المخدرات والمسكرات فيظهر أثره بعد تعاطى كميات منها أكبر مما يؤثر على المراكز المخية الثابتة وهى ما تتحكم فى وعى الإنسان وحواسه وانتباهه . وهذه إذا ما تأثرت وخمدت بالمخدرات صارت خاملة غير قادرة على استيعاب التنبيه الخارجى ، ومن هنا يبتدئ النظر والسمع وغيرها من الحواس فى الاضطراب مما يسبب خمولاً وكسلاً فى وعى الإنسان وانتباهه . فيميل إلى الوحدة والخمول غير قادر على الحركة والاتزان والكلام فيثقل لسانه غير مبال بما حوله ( مسطول ) وهذه تدفعه دفعاً إلى نوع عميق قد يفيق منه بعد مدد تتوقف على الكمية المأخوذة . وإذا ما زادت الكمية زادت الأعراض السابقة وتأثرت الدورة الدموية وكذا التنفسية واضطراب القلب مما قد يؤثر على المدمن ويقضى عليه إذا لم يسعف فى الوقت المناسب وهذا هو أخطر أدوار السكر والتخدير . وكثير من

المدمنين يصلون إلى هذه الدرجة وذلك لأن التعود على المخدر قد يجعل المدمن يتناول كميات أكثر ثم أكثر إلى أن يصل إلى الحد الذى يتأثر به الجسم تأثيراً قد يقتله .

## طرق علاج الإدمان :

من المعروف أن المخدرات إذا ما استعملت باستمرار بضعة أسابيع يتعود الجسم عليها وتحدث حالة الإدمان ، وهذه الحالة قد تسمى عادة نظراً لتعود الجسم عليها وقد يحدث من الإدمان أعراض تشابه أعراض بعض الأمراض . ولذلك أعتقد كما يعتقد كثير غيرى أن مدمن المخدرات مريض ويجب أن يعامل على هذا الأساس ، وإذا كان سبب الإدمان وصفات المخدرات كعلاج كان هذا سبباً واضحاً فى أن الطبيب هو الذى دفع المريض إلى الإدمان ، إذ المعروف أن الإدمان يتكون من دوام الاستعمال . فهناك من الأطباء من لا يقرب لهذه المستحضرات مستعيناً بفكره ومعلوماته فى وصف أدوية تحدث ما تحدثه المخدرات ولكنها لا تسبب الإدمان ، فهناك من هذه الأدوية مركبات الكلورال هيدرات وحامض الباربتيوريك والهيوسيامين وغيرها من المواد المختلفة التى تنتجها المعامل والمصانع مما يكن الاستعانة به فى كثير من الحالات التى يستعمل فيها المورفين والأفيون مثلاً ، وعلى العموم فهذا متروك لحكم الطبيب المعالج يختار من الأدوية ما يختار لعلاج مريضه بدون أن يلجأ لمخدر قد يجر عليه ووراءه الإدمان . أما الحالات الأخرى من حالات الإدمان التى تنشأ من تعاطى المخدرات لأسباب غير علاجية فاللوم فيها على المدمن

نفسه وعلى الظروف التى أحاطت به ودفعته إلى هذا المرض الاجتماعى ، الذى اتجهت إليه أنظار أولى الفكر من رجال الطب والاجتماع للتغلب عليه فى علاجه ، ومن الطرق القديمة فى علاج المدمن طريقة المنع التدريجى للدكتور وود عام ١٨٥٦ أو المنع البات للدكتور ايدو عام ١٨٦٤ أو طريقة التعادل للدكتور كالكين عام ١٨٧١ ، ولكل طريقة من هذه الطرق مؤيدون ومعارضون ولكن قيل إن طريقة المنع البات هى الطريقة العلمية والتى يمكن تطبيقها فى علاج مرضى الإدمان ، وهناك علاج دوائى ينحصر مقابله الأعراض ، وهذه إعطاء أدوية مسكنة مثل البرومور أو أدوية منومة مثل الكلورال هيدرات والليـوديتال أو أدوية منبهة للقلب مثل الكافيين والاستركنين . وهناك علاج بالأنسولين وآخر بالدم الذاتى .

**تلخيص وتوجيه :**

من فضل الله على الإنسانية أن خلق الإنسان وعلمه البيان وميزه بعقل راجح وإرادة قوية مفرقاً بذلك بينه وبين الحيوان الأعجم . ومن واجب الإنسان أن يحفظ ما من الله به عليه من بيان وعقل وإرادة كلها تتعلق بقدرته تعالى فى خلق مخ الإنسان الذى يحمل فيه كل صفات الإنسانية من جمال وكمال . والإنسان إذا ما أثرت عليه المؤثرات الخارجية قد تزحزحه عن هذه الإنسانية وتنحرف به إلى الحيوانية الباطشة الظالمة . فالمخدرات والمسكرات هى إحدى هذه المؤثرات التى قد تؤثر على مخه فتغير من صفاته العليا التى خصه بها الله وميزه بها عن غيره من المخلوقات .

فإذا ما أخذت المخدرات أبعدت بتأثيرها الفرد عن خالقه كما أبعدت عنه قدرته فى التفكير السليم فى تصريف الأمور وسببت له البلادة والخمول والذلة مما يتنافى مع العزة والكرامة والمقدرة التى وهبها الله له والتى جعلها فى الإنسان قدوة للعمل الصالح المثمر . وحتى نبتعد عن آثار المخدرات السيئة يجب على الإنسان ألا يستعملها لاعلاجاً ولا إدماناً . فهناك من الأدوية ما يعادل المخدرات فى إزالة الآلام التى قد يتعلل بها المدمن ويحلل لنفسه تعاطيها . فمركبات الكلورال والباربتيوريك والهيورسامين وغيرها من المواد قد تغنى عن مركبات الأفيون والحشيش فى تهدئة الأعصاب وإزالة الآلام والأمغاص وتمتاز عنها فى كونها لا تسبب الإدمان أو التعود على الاستعمال . وواجبنا إذاً أن نبتعد عن التطبيب بها حيث إنها إذا ما أخذت تعود الجسم عليها وصعب عليه الابتعاد عنها لأنها قد تحدث فى الجسم تفاعلات تتطلب تعادلاً مستمراً منها لتهدأ الأعصاب .

هذا وليعرف المدمنون الذين يتعاطون المخدرات لأسباب جنسية أن اعتقاداتهم خاطئة حيث إن المخدرات قاتلة للعوامل الجنسية ، فهناك مظاهر علمية وحقائق ثابتة أن المخدرات تسبب التخيلات الكاذبة والاضطرابات فيما يتعلق بالزمن والمسافات والأشكال ، فتخمدها فيتخيل المدمن خطأ إطالة العملية الجنسية . هذا والمخدرات نفسها كما هو مدلول لفظها تخمد الأعصاب المتنبهة وهذه باستمرار تعاطيها تضعف قوة الأعصاب وتخمل فيها قدرتها على الحس واللذة المنشودتين وتجعل العلاقة الجنسية علاقة آلية لا روح فيها ولا متعة للطرفين . وهذه الحساسية تضعف على مر الأيام لدرجة قد ينتهى معها هذا الشعور الجنسى فيكون بذلك قد جنى

المدمن على شهوته الجنسية وقدرته التناسلية فى سن مبكرة مما يجعله يندم أشد الندم على ما اقترف فى حق نفسه وطبيعته . ومن هنا قد تفقد العلاقة الزوجية ركناً هاماً فيما قد يؤدى إلى تدهور الحياة الزوجية نفسها . ويكون سببها جهل الزوج وتقليده الأعمى وانقياده لهؤلاء الذين ضلت أفكارهم واتخذوا من المخدرات سلوة وتسلية موهمين أنفسهم بخيالات زائفة .

هذا ومدمنو المخدرات قد أحلوا بذلك ما حرمه الله عليهم . فضحوا بدينهم رغبة فى دنياهم وطلباً لنشوة وتخيلات واهمة تبعدهم عن الإيمان بالله والاستقامة فى العمل وتبعدهم كذلك عن الأديان والشرائع السماوية التى وضعها الله لفضل خلقه ، ومخلوقاته ، وهنا يجب أن نشير إلى أن المخدرات أنواع من المسكرات ، إذ فى الأولى يفقد الجسم وعيه وتضعف الوظائف . ومعنى ذلك أن الجسم يفقد وعيه فى كليهما فيبتعد بذلك عن الله وعما دعانا إليه من استقامة فى العمل وحب للناس وإيمان بالنفس وبالله . وهذا ولا شك قد يقود شارب الخمر ومدمن المخدرات إلى عمل مضطرب غير مستقيم لاحياء فيه فينحرف عن الطريق المستقيم لارادع من نفسه حيث قد ضعفت فيه صفاته العليا الراقية التى خصه الله بها وظهرت فيه تلك الصفات الدنيا من الهمجية والبوهمية والحيوانية التى لا سيطرة عليها من أفئدة المدمنين .

ولا ننسى ما للمخدرات والمسكرات من أثر سيئ على الاقتصاد الفردى والقومى إذ تتأثر بها الحالة الاقتصادية للأفراد مما قد يؤثر فى الحياة المنزلية وإهمال تربية الأطفال كما تتأثر بها اقتصاديات الدولة حيث يميل مدمن المخدرات والمسكرات إلى الكسل والخمول فيقتل مقدرته على العمل وتضعف

فيه مقدرته الإنتاجية مما يؤثر على الإنتاج العام . ويجب أن نضيف إلى كل ذلك السجن والتشريد للمدمنين والأطفال الأبرياء الذين يجنى عليهم آباء اتصفوا بالأنانية واستهانوا بواجبهم فى الأبوة والتربية .

**نحن مطالبون بالتفكير فى الكون :**

فطر الإنسان على خاصيتين ، خاصية الشعور بالإله الخالق وخاصية البحث والنظر والتفكير لمعرفة أسرار الكون والانتفاع بها فى الحياة . ولذلك فقد أعد لقوى العقل والإدراك للبحث والنظر فى نفسه وفيما يحيط به من ملكوت السموات والأرض فينمو شعوره الفطرى ويمتلئ قلبه بنور الإيمان فيسلك السبيل الواضح إلى معرفة أسرار هذا الكون وما أودع فيه من وسائل التقدم ومواد عمران هذه الأرض الذى جعله الله خليفة فيها . ولقد جاء القرآن بأساليب توحى كلها بالتوجه إلى النظر فى الكون والبحث عن أسراره ومنافعه ويعرى بالتطلع إلى جهات النفع والحصول عليها . فمن أسلوب يعلن أن الله ما خلق الكون على هذا النحو المملوء بالأسرار إلا ليصل الإنسان إليها وينتفع بها « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » فى ظاهرها وباطنها . ومن أسلوب يؤكد للإنسان « أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » . ومن أسلوب ينبه إحساس الإنسان إلى التطلع إلى مخلوقات ذات شأن فى الأسرار والمنافع فيندفع إلى تلمس ما اشتملت عليه . ذلكم الأسلوب هو قسم الله سبحانه بهذه المخلوقات « والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها .

فألهمها فجورها وتقواها . » ومع ذلك كله يوجه الأنظار إلى الثروات والموارد التى هى عماد حياة الأمم ونهضتها فيذكر سبحانه وتعالى الثروة الحيوانية والنباتية والحقلية والمائية فى كثير من الآيات الكريمة ويمن على الإنسان بها ويحثه ويغريه إلى تحصيلها والانتفاع بها .

ولقد وهب الله للإنسان العقل ليصل به إلى هذه الأسرار التى تقربه وتوصله إلى الله خالقها ومبدعها وخلق هذا العقل ليسير الجسد ويرشده من أجل ذلك خلق فسوى ووضع الإنسان فى أحسن صورة . وتكامل البدن والعقل وتلاؤمهما يتطلب من الإنسان أن يعمل لهذا التلاؤم وذاك التكامل بحمايتهما حتى لا يفلت الجسم من سيطرة العقل فيضل ويشقى والمسكرات والمخدرات أول العوامل التى لا تناسب التكامل والتلاؤم بين الروح والجسد أو العقل والجسم . فمن فعلها إضعاف قوى التركيز للفهم وخمول قدرة العقل فى التوعية والتفكر والتدبر . فسلطانها على العقل يقوده إلى عدم تدبير الأمور وإحكامها ، كما يقود الجسم بإتيان الممنوعات والمحرمات من الأعمال والأفعال لأن العقل الواعى صار غير قادر على فرض سلطته على الجسم وهو الجزء المادى فى الإنسان ، فيفعل مالا يقره الحكماء أو العلماء الذين يبعدهم عن الخمر والمخدر تسمو روحهم وتقوى أجسامهم . فجدير بمثل هؤلاء من أرباب البحث فى الكائنات والمخلوقات أن ينظروا فى ملكوت السموات والأرض بعقل واع وجسم سليم ، إذ أن سعادة الإنسان لا تكتمل إلا باستكمال خطى الجسم والروح معاً . فهذه المكيفات تؤثر تأثيراً ضاراً على الخاصيتين الهامتين اللتين فطر عليهما الإنسان ، وهما خاصية الشعور بالخالق القدير وخاصية التطلع إلى قدرة هذا الخالق فى

ملكوت السموات والأرض ، وبذلك يربط المرء دنياه بأخراه وجعل الكل وحدة تتجلى فيها وحدة الخالق وسلطانه القوى الرحيم . فالمخدرات والمسكرات تفصم عرى الوئام بين الروح والجسد وتجعل النفس أمارة بالسوء والجسد غارقاً فى الفساد . كما تضعف خاصية الإنسان بالشعور بخالقه كما تضعف فيه كذلك خاصية التفكير فيما حوله من هذا الكون ، وبذلك تتأثر الروحية المهذبة التى تتدبر فى المخلوقات وخالقها .

إن الإنسان مطالب بالتفكير فى ملكوت السموات والأرض وهو مطالب لذلك أن يسمو بنفسه ولا يعرضها لما يدنسها أو يضعف فيها قدرتها كالمسكرات والمخدرات التى تسبب غيبوبة العقل وخمولة الجسد وفقدان قدرتهما الفسيولوجية ، فبالعقل الواعى البعيد عن أثر المسكر والمخدر فكر الإنسان فى الأرض وعرف طبقاتها وخصائص هذه الطبقات . ثم فكر فى السماء والفضاء وعرف الكواكب فى أحجامها وأبعادها وأضوائها . وفكر فى البحار وغاص فى أعماقها واستخرج كنوزها . وهكذا يعمل الإنسان جهده فى اكتشاف أسرار الكون . ولكن هل نرى أن تفكير الإنسان تفكير يخدم الروح والقلب أو أنه تفكير يخدم العقل بلذة العلم والمعرفة . أى تفكير يخدم المادة والمادة الطاغية ولا سبيل له بالروح ولا بالروح المهذبة وهذه الغاية الأخيرة إنما يعمل فى مجالها كل إنسان يجهل خاصيتيه الطبيعيتين وهما رباطه بالله وقدرته ورباط الدنيا بالآخرة . إن تقليب النظر بفكر سليم فى الأرض وما حوت فى السموات وما اشتملت أمر سهل ميسور يدعو إلى الإبصار وتلح به العقول . ولكن الذى جعله الله وسيلة للتهذيب الروحى هو التفكير المصحوب بالتذكر ، فهو الذى يطبع فى النفوس

صور الجلال الذى يملأ النفس رهبة وصور الجمال الذى يملأ النفس رغبة ورهبة . وكل هذا الشعور الروحى المهذب هو الذى نريد له الانتشار بحيث تتجلى به النفوس المؤمنة التى تؤمن بالله وتبتعد عن المحرمات التى تسيء إليهم وتهز علاقتهم بخالقهم . والخمر أو المخدر مغيب للعقل وفاصم بين الإحساس الروحى العقلى وبين الشعور الغريزى البدنى . فتجد أفعالاً غير متزنة وأعمالاً تتنافى مع الإيمان والدين . وبين العمل الذى لا يفوته الإيمان ولا يؤيده الدين عمل فاشل يقود صاحبه إلى الضلال . ومن هنا يمكن القول بأن المسكرات والمخدرات برغم آثارها الضارة بالجسم والتى أثبتهـا العلم وحذر فيها الطب فإنها تجعل الأفعال كلها دنيوية فردية وليست روحانية عقلية . وليس من ريب فى أن حكمة الحكيم الرءوف الرحيم يأبى أن يخلق بشراً ويسويه ويعـدله بالفعل ويفضله على كثير من خلقه ويجعله خليفة فى أرضه ثم يتركه على هذا الوضع يأكل بعضه بعضاً فى حياة كلها جاهلية لا يرعى عبداً ولا يخشى رباً ، يدمن الخمر ليندفع إلى الطغيان مستهتراً يسعى وراء رغباته وملذاته . فكان من رحمة الله أن أنزل الكتاب إرشاداً وهداية لما يجب أن يسلكه فى تنظيم حياته ويتخذه أساساً لمجتمعه . وكان من ضمن ما نزل فى هذا القرآن الكريم آيات بينات تحرم الخمر لما فى ذلك من سمو بالإنسانية وتباعد عن الحيوانية . وشبيهها المخدر فالخمر تفصم عرى الإنسانية الفاصلة وتقضى على روح التعاون والتراحم وتطمس معالم السعادة والهناءة — فللإنسان فى حياته شخصيتان . شخصية مستقلة يسأل بها عن نفسه وفى جسمه وعقله وروحه ثم فى عمله وماله . وشخصية أخرى يكون بها لبنة فى بناء المجتمع يسأل بها عما يقدمه

لمجتمعه أو يقدمه المجتمع له . وبقدر ما يكون للإنسان من إدراك الحقائق ومتانة الخلق وقوة العزيمة والإرادة وسمو الروح ونبل الغاية . هذا وصمام الترابط بين الفرد والمجتمع لابد لكى يثمر ثمرته ويحقق غايته ويستمر بعيداً عن الشهوات والأهواء لابد أن تهيمن عليه فى قلب الإنسان وروحه قوة ينبع احترامها من قلبه ويكون للتعاليم التى تتلقاها من تلك القوة نفس الاحترام الذى ينبع من قلبه لتلك القوة ، وليس ذلك إلا للتعاليم الإلهية الواصلة إليه من رب العالمين والتى تضمنها وأرشد لها كتابه الكريم « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات » . ولبناء كيان الأفراد والمجتمعات على أسس من الإيمان حرم الله الخمر . إذ فيها تعطل ما كرم الله به من قوى التفكير والإرادة والعمل . وما خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم وسخر له الكون وأرشد فى كتابه عن هذا الخلق وهذا التسخير ثم يرضى منه بعد ذلك أن يعطل قواه التى منحه إياها ويعطل أسراره التى أودعها فى خلقه ويتركه فريسة للمخدرات والخمور التى تؤثر فى فكر الإنسان وجسمه وتؤدى به فى النهاية إلى الهلاك . ويأمر الله الناس فيقول « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » إن الإسلام قد وضع للتهذيب الروحى جملة من الوسائل تعمل كلها على تنقية الفطرة من ألوان الشرك وصوره المختلفة التى تطمس فى القلب صورة التوحيد الخالق الذى فطر عليه الإنسان وربطت به سعادته فى الدنيا والآخرة . وقد كان التفكير فى ملكوت السموات والأرض أول ما عنى به الإسلام وأرشد إليه ، وللوصول إلى هذه الغاية حرم الله الخمر ليصل الإنسان بعقله وقلبه إلى الله وأسراره فى هذا الكون . والمخدرات فى ذلك أكثر خطراً مما جعلها محرمة تماماً كتحريم الخمر.

# الفصل الثالث

# المكيفات المنبهة

## المشروبات المنبهة ( القهوة والشاى ) :

وهذه المشروبات تسمى مشروبات الزانفين وهى التى تحتوى على قلويدات الكافين والثيفولين والثيوبروفين المتشابه فى الصفات الكيماوية والتأثيرات الدوائية .

وتوجد هذه النباتات منتشرة فى بلاد متعددة وتستعمل خلاصاتها المائية على شكل مشروبات عالمية مثل القهوة والشاى والكاكاو . ويمكن تحضير القهوة من حبوب البن التى تحتوى على الكافين وتحضير الشاى من أوراق الشاى التى تحتوى على الكافين والنيوفلين كما يحضر الكاكاو من حبوب التيوبروما التى تحتوى على الكافين والثيوبروفين .

هذا وتستخدم بعض المشروبات المنبهة الأخرى ولكنها ليست منتشرة إلى الحد الذى تستخدم فيه القهوة والشاى والكاكاو . ومن أمثال هذه

الماتيه وينتشر استعمالها فى بلاد جنوب أمريكا وتحتوى على الكافين.
وجوز الكولا التى تمضغ وتبلع خلاصتها وتحتوى على الكافين أيضاً.

**تاريخ استخدامها :**

وهنا غموض عن منشأ المشروبات المنبهة ، إذ أن هناك بعض القصص العالمية المتداولة التى تدل على اكتشافها ومبدأ استعمالها . فمثلاً فيما يخص القهوة يقال إن اكتشافها يرجع إلى قس عربى عندما جاءه أعراب وأبلغوه ملاحظتهم على الماعز عند رعيها وتأكل حبوب البن فإنهم شاهدوا على هذه الحيوانات أنها صارت قلقة متيقظة دائمة الحركة طوال الليل . فما كان من القس إلا أن أمر الأعراب بإحضار هذه الحبوب ثم استحضروا منها شراباً ثبت بتجاربهم أنها تنبه الشارب ، ومن هنا ابتدأ استعمالها فى أنحاء العالم وعلى سبيل المثال وصل مقدار ما يستعمل من البن فى الولايات المتحدة حوالى بليون رطل .

وهناك قصة أخرى توضح اكتشاف الشاى وانتشاره ، وذلك بواسطة بودهيد هاراما الذى عاش فى القرن السادس ، وهو ابن أحد ملوك الهند البوذيين . وقد غادر وطنه إلى الصين لنشر الدعوة الدينية . وقد عاش تحت قبة السماء الصافية متورعاً مبتعداً عن اللحم متمسكاً بالنبات وأوراقه وكان من ضمن معتقداته لينشر اعتقاداته الدينية أن يظل متيقظاً بدون نوم لعدة سنوات من أجل فضائل بوذا . وبعد ثلاثة أعوام من تمرينه وخبرته على ذلك نام ، وعند استيقاظه تأثر كثيراً وقطع جفنيه حتى لا يعود إلى ذنبه وينام ثانية . وعند ذلك ظهر له نبات ، وقع نظره عليه وألهم إلى

أكل أوراقه وشعر بعدها أنه يمكن أن يعاود السهر بدون نوم من تعهده ، وكان هذا النبات هو نبات الشاى الذى منشأه الصين .

ومن هذه القصص يتبين أن القهوة والشاى فيهما من التنبيه الذى أثبته العلم الحديث أن هذا التأثير جاء نتيجة لوجود الكافين الأساس الفعال فى حبوب الكاكاو فيمكن الحصول عليها من نبات الثيوبروما ويقال إن استخدامها كشراب يرجع إلى عام ١٦٩٥ واستعمل لكثرته فى المكسيك وقد عرفه كولومبس .

**نسبة الكافين فى هذه المشروبات :**

نظراً لأن الكافين هو الأساس الفعال فى هذه المشروبات فإنه من المهم جداً أن نعرف نسبة تواجده فيها. فتحتوى حبوب نبات الكولا على ٢,٥ ٪ أما حبوب الكوكا فمن ٠,٠٥ إلى ٠.٣٦ ٪ والبن على ١ إلى ١,٣ ٪ والشاى على ١ إلى ٥ ٪ من الكافين وبذلك يكون الشاى أقوى هذه النباتات لاحتوائه على نسبة أعلى من الأساس الفعال وهو الكافين ، وقد يتبادر إلى الذهن أن القهوة أكثر فاعلية وأقوى تأثيراً من الشاى ، والحقيقة أن الشاى يحتوى على ضعف ما يحتويه البن من مادة الكافين المنبهة . ولكن المشاهد أن كثرة الماء فى تحضير الشاى وقلة كمية الشاى المضافة له تجعل تأثيره أقل من القهوة التى توضع عند تحضيرها كمية أكبر من البن على قدر قليل من الماء . هذا وتختلف طريقة تحضير القهوة والشاى حيث يغلى البن فى الماء ، أما الشاى فيضاف إلى الماء المغلى بدون غليانه وهذا قد يجعل القهوة فى مظهرها أكثر تأثيراً من الشاى ، ولقد قيل فى ذلك

إن فنجان الشاى يحتوى على مقدار قمحة من الكافين ، أما فنجان القهوة فيحتوى على ١,٥ : ٢,٥ قمحة فيه وذلك نظراً لكمية البن الكبيرة المضافة إلى الماء . ولكن إذا ما قورن قدر من البن بمثيله من الشاى فنجد أن الشاى أكثر قوة نظراً لما يحويه من نسبة أكبر من الكافين .

والجدول الآتى يوضح محتويات هذه المشروبات :

فالقهوة تحتوى على ١.٣ ٪ من الكافين + بعض الزيوت الطيارة

والشاى يحتوى على ٣.٣ ٪ من الكافين + ٢٠ ٪ من حمض التنك

والكاكاو يحتوى على ٠.٤ ٪ من الكافين + بعض الزيوت

والكولا تحتوى على ١.٨ ٪ من الكافين + قليل من الثيوبرومين

الماتيه يحتوى على ١.١ ٪ من الكافين + قليل من الدهون .

ويحتوى فنجان القهوة على حوالى ١٥٠ ملجم من الكافين + زيوت طيارة .

ويحتوى فنجان الشاى على حوالى ١٥٠ ملجم من الكافين + ٠.٣ جم من التنين .

**بعض صفات القهوة والشاى والكاكاو :**

نظراً لانتشار هذه المشروبات فى المجتمعات لدرجة أنها صارت عالمية يقبل عليها الجميع لدرجة أنها ارتبطت بالنظم الاجتماعية والحياة العادية وتأثر بها المجتمع من الوجه الاقتصادى . فالأمر يحتم معرفة بعض صفات هذه المشروبات حتى يتضح كنهها فيستفيد من مميزاتها ويبعد عن أضرارها .

## الشاى :

يعتبر أكثر هذه المشروبات انتشاراً وهو عبارة عن أوراق نبات الشاى ويحتوى على الكافين الذى يرجع إليه فضل التنبيه والتنشيط . يحتوى الشاى الهندى وشاى سيلان على ٣ إلى ٦ ٪ من الكافين ، ١٢ ٪ من حامض التنك . ولكن شاى الصين يحتوى على ٢ ٪ من الكافين ، ٦ ٪ من التنك وله طعم ورائحة أفضل من غيره . وبإضافة قليل من اللبن على الشاى يترسب حامض التنك الذى يسبب الإمساك . هذا ويحتوى الشاى على قليل من البروتين والأملاح مثل البوتاسيوم والمغنسيوم والصوديوم . ولا يحتوى الشاى على مواد كربوايدراتية أو مواد دهنية ،وإذا ما نقع الشاى فى الماء المغلى لمدة ثلاث دقائق يفقد حوالى ٢٥ ٪ من وزنه فى الماء ويختلط به ويخرج الكافين أسرع من التنين إلى الماء ولذلك فإن الفنجان الأول يكون غالباً أقوى تنبهاً ، والفنجان الثانى إذا أخذ بعد خمس إلى عشر دقائق أخرى فإنه يكون قابضاً ممسكاً نظراً لوجود الحامض به . ولذلك يستحسن عدم شرب الشاى إذا ما طال أمده حتى لا يخرج ما به من تنين يسبب الانقباض والإمساك وعند ذلك فإن الفنجان الأول بعد نقع بسيط يسبب تنبيهاً فى الجهاز العصبى وشعوراً بالنشاط إذا ما أخذ بكميات صغيرة . أما إذا ما أخذ الشاى بكميات كبيرة فإن ذلك يسبب العصبية الزائدة والأرق ثم زيادة ضربات القلب . ويستحسن فى حالات الاضطرابات القلبية استعمال الشاى الصينى بدلاً من الشاى الهندى أو شاى سيلان لأنه ضعيف عنهما . وإذا ما غلى الشاى فى الماء فإن أوراقه

تفقد ما بها من تنين يؤثر فى الهضم ويسبب عثر الهضم والإمساك ، ولذلك كان نقع الشاى أفضل من غليانه .

**القهوة :**

ويمكن الحصول على البن بتحميص البذور ثم طحنها إلى مسحوق دقيق ، ويحتوى البن على الكافين بما يقل عن نصف القدر الموجود بالشاى إلا أن ما بها من المعادن والأملاح تتشابه إلى حد كبير مع ما هو موجود فيها فى الشاى . والقهوة علاوة على ذلك تحتوى على القليل من البروتينات والتنين ، ولكنها تحتوى على قليل من المواد الدهنية والكربوايدراتية وتختلف بذلك عن الشاى الذى لا يحوى منها شيئاً . ومعظم البن الذى يستخدمه العالم يأتى من البرازيل كما يأتى كذلك من بعض البلاد العربية والهند وكينيا وسومطرة .

وللقهوة رائحة مقبولة وطهو وطعم فيه شىء من المرارة التى تجعل القهوة مفيدة جداً فى الهضم ويستحسن شرب القهوة بعد تناول الطعام لتساعد على الهضم وإذا ما أخذت قبل الأكل قد تزيد الإفرازات المعدية وما بها من أحماض تسبب بعض آلام المعدة ، ولذلك كان فنجان القهوة مستحباً بعد الغذاء لا قبله فهو بعد الغذاء هاضم وقبل الغذاء يسبب الغثيان .

**الكاكاو :**

وهو عبارة عن حبوب النيوبرما التى تنمو فى المكسيك وتشكل ثماره يشابه الخيار الذى تظهر داخله الحبوب التى تحتوى على حوالى ٥٠ ٪

من الدهن ومنه تستخرج زبدة الكاكاو التى تستعمل فى الصناعة والطب . ويرجع استعمال الكاكاو فى أوربا إلى القرن السادس عشر بواسطة الاسبانيارود . وهى غالباً ما تخلط بالنشا لتزيد من ذوبانها فى السوائل المختلفة . وغالباً ما يباع فى الأسواق فى حالة تحتوى فيها على حوالى ١٠ ٪ من الكربوايدرات و ٦ ٪ من البروتينات و ٦,٥ ٪ من الدهن كما تحتوى على الصوديوم والفسفور والحديد .

والكاكاو ألذ طعماً من غيره من المشروبات وأكثرها قيمة غذائية حيث يحتوى على نسب عالية من العناصر الغذائية علاوة على احتوائه على الكافين فالكاكاو مشروب له قيمته الغذائية وفوائده الطبية فهو لذلك غذاء ودواء .

الماتيه :

وتسمى شاى باراجواى وهى عبارة عن أوراق نبات ينمو فى الأرجنتين وباراجواى والبرازيل وتحتوى هذه الأوراق على حوالى ٠,٣ إلى ٢ ٪ من الكافين ومقدار حوالى ٧ ٪ من المواد القابضة مع قليل من الزيوت الطيارة علاوة على أنها غنية بالفيتامينات . وينتشر استعمال الماتيه فى جنوب أمريكا ويزداد استعمالها فى أوربا وأمريكا فى الوقت الحالى .

الكولا :

وهى حبوب نبات الكولا وتوجد فى غرب أفريقيا والبرازيل وتحتوى هذه الحبوب على ١ إلى ٢.٥ ٪ من الكافين وقليل من الثيوبرومين .

وكذلك تحتوى الكولا على كلوكسيد يسمى كولانين الذى يخرج منه الكافين وهو شبه القلوى الذى يقوم بالتأثير المنبه فى جميع هذه المشروبات .

**تأثيرات عامة لمشروبات الزانثين :**

إن أكثر هذه المشروبات استعمالاً القهوة والشاى والكاكاو . وتحتوى القهوة والشاى على الكافين إلا أن الكاكاو يحتوى على نسبة عالية من الثيوبرومين وأن تواجد الكافين فى أوراق الشاى أعلى من تواجده فى حبوب القهوة ( البن ) ولكن بعد تحضير كل من مشروب القهوة والشاى تكون نسبة الكافين فيهما تكاد أن تكون متعادلة ، ذلك نظراً لاختلاف طريقة التحضير واختلاف الكمية المستخدمة من كل منهما . ومن أجل هذا نجد أن متوسط ما يحتويه فنجان القهوة من الكافين يصل إلى ١٠٠ — ١٥٠ مليجم وهذا مقارب للجرعة العلاجية من الكافين وهذا قدر كاف لإحداث التأثيرات الطبية . هذا ويحتوى فنجان الشاى والقهوة بجانب الكافين بعض الزيوت . ويختلف فنجان الشاى فى احتوائه على قدر مناسب من التنين وهو مادة قابضة ممسكة .

وتعد هذه المشروبات منبهة وتؤخذ غالباً لهذا الغرض مما جعل استعمالها قد انتشر لحد كبير وتعتبر لذلك أشربة غذائية ذات أثر طبي فى تنبيه الجهاز العصبي .

وتختلف حساسية الأفراد بالنسبة للتنبيه الذى يحدثه الكافين فى أجسامهم . ولهذا قد تلاحظ فى بعض الأشخاص ممن يتناولون القهوة والشاى فى المساء أنهم يأرقون ولا ينامون ، كما نلاحظ فى البعض أنهم

لا يتأثرون بهذه المشروبات وينامون نوماً عميقاً بعد تناولها ، وقد يكون هذا لاختلاف ناتج من بعض الاختلاف فى الجهاز العصبى لهؤلاء الأشخاص كما أنه من الملاحظ أيضاً أن الأطفال أكثر تأثراً بالمشروبات المنبهة ، وقد تحدث فيهم تنبيهاً مصحوباً بعدم القدرة على أخذ الأطعمة الضرورية ، ولذلك فإنه من الضرورى منع القهوة والشاى عن الأطفال حتى يقبلوا على وجباتهم الغذائية . أما بالنسبة للكاكاو فإن الفنجان منه يحتوى على حوالى ٥٠ ملجسم من الكافين إلا أنه يحتوى على نسبة أعلى من هذا من الثيوبرومين ، وهذا الأخير أقل تنبيهاً للأعصاب من الكافين .

وهناك حالات مرضية خاصة قد تكون سبباً فى ضرورة عدم إعطاء المرضى هذه المشروبات ، فمثلاً هناك علاقة متينة بين القلويدات الزانثينية ( الكافين والثيوبرومين والثيوفلين ) بحامض اليوريك من حيث التركيب الكيمائى ، وهذا جعل من الاعتقاد ضرورة منع القهوة والشاى عن مرضى النقرس . كما أن الشخص المصاب بقرحة المعدة يجب امتناعه عن المشروبات المنبهة المحتوية على الكافين لأن الكافين والمحتويات الأخرى تسبب زيادة فى الإفرازات المعدية التى قد لا توافق المصابين بقرحة المعدة وإذا كان هناك ضرورة لإعطاء القهوة أو الشاى لهؤلاء المصابين بالقرحة فيمكن لذلك إعطاؤها مخففة جداً مع الأكل لا قبله ولا بعده .

ومن الحالات التى يجب فيها منع هذه المشروبات عن المرضى ارتفاع ضغط الدم وذلك نظراً لتأثير الكافين على الجهاز الدورى والعصبى وكذلك فى الحالات التى تتطلب الهدوء والراحة ، فإن القهوة والشاى قد يضران فى هذه الحالات .

وهناك بعض المصابين بارتفاع ضغط الدم ممن تعودوا على شرب القهوة والشاى بدون أن يؤثر هذا فى ارتفاع ضغط الدم أو فى الأعصاب. وفى هذه الحالات يعطى الثيوبرومين ( الكاكاو ) نظراً لتأثيرها على الكلى والأوعية التاجية .

هذا واستمرار تعاطى القهوة والشاى بشكل إدمانى قد يحدث حالات من التسمم المرضى فتظهر على المصابين حالات الأرق والاضطراب الجسمانى والنفسى وتنبيه القلب وزيادة ضرباته . هذا والزيوت الموجودة فى القهوة تسبب التهابات الجهاز الهضمى والإسهال ، أما وجود حامض التنيك ( التنين ) فإن ذلك يؤثر فى الخلايا الهضمية فيقلل إفرازاتها محدثة الإمساك خاصة بعد الشاى .

ومما لا شك فيه أن هذه المشروبات تسبب تأثيراً سيكلوجياً ، وهى عادة من الصعب الإقلاع عنها ، وهذه واضحة فى الأشخاص الذين اعتادوا عليها بدون الإكثار منها . فمثلاً يعتبر فنجان الصباح من الشاى أو القهوة عادة ليست ضارة .

وقد يحدث تنبيه المخ بعد أخذ فنجانين أو ثلاثة من الشاى أو فنجان أو فنجانين من القهوة، وبهذا القدر يمحى آثار التعب فى الجسم عامة والمخ خاصة ويصير التفكير أكثر حدة والقدرة على العمل الجسمانى أكثر وضوحاً ولذلك فهناك الكثيرون ممن تعودوا شرب القهوة بعد الغذاء الثقيل لمساعدتها على الهضم وتنشيطها للجسم وغير هؤلاء يأخذون الشاى فى منتصف الصباح أى حوالى العاشرة أو الحادية عشرة كذا بعد الظهر أى حوالى الثالثة إلى الرابعة وذلك للتأثير المنشط الذى يتسبب عن الشاى فى هذه الأوقات

مما يعين على العمل . وغالباً فإن الشاى أو القهوة لا تسبب تغيرات كثيرة فى الجسم ، ولكن بحقن الكافين نفسه قد يحدث سلسلة من التأثيرات على الأجهزة الجسمانية المختلفة .

وإذا نظرنا إلى الكافين نجد أنه أكثر مجموعة قلويدات الزنيثين تأثيراً فى تنبيه الجهاز العصبى ، أما الثيوفلين والثليوبرومين فتحدث نفس التأثير ولكن بنسبة قليلة إذا قيست بما يحدثه الكافين إلا أن هذه الأخيرة تفوق الكافين فى تأثيرها على القلب وتنبيه عضلاته .

**تأثيرات الزانثينات أو القلويدات المنبهة :**

هذه القلويدات هى الكافين والثيوبرمين وهذه هى الأسس الفعالة فى القهوة والشاى والكاكاو وتتشابه كلها فى التأثير ، إلا أنها تختلف فى قوتها عند إحداثها لهذا التأثير . وتتلخص تأثيرات هذه المواد العلاجية فى استخدامها لقوتها فى تنبيه الجهاز العصبى وفى أثرها على الكلى وإحداث التبول وفى تنبيهها لعضلات القلب وفى تأثيرها على العضلات غير الإرادية ، إذ أنها تقلل من حركة بعضها وخاصة فإنها توسع الأوعية التاجية والقنوات الهوائية . ويمكن مقارنة تأثير هذه القلويدات فى الجدول الآتى ( ١ = أقوى تأثير ) :

| المادة | التأثير المنبه على الجهاز العصبي والتنفسي | ارتخاء العضلات من غير إرادته | شدة التبول | اتساع الأوعية التاجية | تنبيه القلب | تنبيه عضلات الجسم الإرادية |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| الكافين | ١ | ٣ | ٣ | ٣ | ٣ | ١ |
| ثيوفلين | ٢ | ١ | ١ | ١ | ١ | ٢ |
| ثيوبرومين | ٣ | ٢ | ٢ | ٢ | ٢ | ٣ |

ويمكن توضيح هذه المقارنة فيما يلى :

**التأثيرات على الجهاز العصبى :**

يعتبر الكافين أقوى تأثيراً ويليه الثيوفلين ، وأما الثيوبرومين فليس له تأثير على الجهاز العصبى . ولذلك فإن الكافين هو المادة التى تستخدم غالباً إكلينيكيًّا على الجهاز العصبى ولكن الثيوفلين له بعض الاستعمالات فى تنبيه التنفس . وغالباً ما يقوم الكافين بتأثيره على المخ والنخاع الشوكى ؛ فالمخ أكثر أجزاء الجهاز العصبى تأثيراً ويليه النخاع المستطيل وأخيراً النخاع الشوكى . حيث إنه لا يتأثر بالجرعات الكبيرة ، ولذلك فإن الكافين ينبه كل أجزاء المخ خاصة مركز الحس والوعى ، وبذلك فدائماً ما يكون هناك تنبيه دائم مع إزالة آثار النوم والتعب بجانب هذا ، فالكافين منبه

قوى للنخاع المستطيل وما به من مراكز حيوية ، وبذلك كان الكافين أفضل ما يعطى عند خمول النخاع المستطيل ومركزه ، ولذلك فإنه ينبه مركز التنفس كما ينبه الثيوفلين حيث يتأثر عدد التنفس وعمقه . وقد تتأثر المراكز الأخرى الموجودة بالنخاع المستطيل .

**التأثيرات على القلب والأوعية :**

تقوم هذه القلويدات بتأثير هام على القلب والأوعية الدموية والثوفلين فى ذلك أكثرها قوة والكافين أقلها . وهناك تأثيرات لهذه المواد متضاربة على الأعضاء المختلفة فى الجهاز الدموي . فى القلب يقوم الكافين بتنبيه مباشر على عضلات القلب فيزيد من ضرباتها وقوتها ، هذا ، وتؤثر المواد خاصة الكافين على مركز القلب فى النخاع المستطيل وهذه قد تقلل من ضربات القلب . وبذلك يكون هناك نوعان من التنبيه يقوم بهما الكافين الأول على عضلات القلب نفسه والثانى على النخاع المستطيل ، ومن هنا ينشأ تضاد بين المفعولين يختلف باختلاف الأشخاص ومدى التأثير فى كل حالة ، فقد نرى فى بعض الأشخاص زيادة ضربات القلب وفى بعضهم قلة فى هذه الضربات . أما على الأوعية الدموية فيقبض الكافين عليها نتيجة لتأثيره على مراكز النخاع المستطيل وتنبيهها وقد توسعها نتيجة لتأثير مباشر على جدران هذه الأوعية . وهنا كذلك نجد التضارب بين التأثير المركزى على النخاع المستطيل والتأثير الموضعى على جدران الأوعية نفسها ، ونتيجة لاتساع الأوعية الدموية بالإضافة إلى تنبيه العضلات القلبية فإن ذلك يسبب زيادة واضحة فى كمية الدم الخارج من القلب وقد يكون

ذلك سبباً فى ارتفاع ضغط الدم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدورة الدموية فى الأوعية التاجية للقلب تتغير تبعاً لتأثير الكافين إذ أنه يؤثر فيها فيوسع حجمها مما يساعد على تغذية القلب وتقويته ، ولذلك فإن هذه المواد غالباً ما تستعمل فى أمراض الشريان التاجى .

**التأثير على الخيوط العضلية :**

للكافين والمواد الأخرى تأثيرات خاصة على الخيوط العضلية والإرادية وغير الإرادية وعلى العضلات غير الإرادية ، فإن الكافين يوسع الأوعية الدموية نتيجة لتأثيره على خيوطها العضلية . كما أن الأميثوفلين له تأثير قوى أيضاً ضد التقلصات للخيوط العضلية فى القنوات المرارية مما يجعلها مقيدة فى حالة المغص الكبدى . أما تأثيرها على عضلات الجهاز الهضمى فقد تبين أن المحاليل المخففة تنبه حركتها فى الوقت الذى تقوم فيه المحاليل المركزة بإضعافها . وقد يشير هذا إلى أن الإكثار من الكافين يسبب ضعف الأمعاء والإمساك ، كما أن الكافين والمواد الزنتينية الأخرى توسع الأنابيب الهوائية فى حالات إعطاء الهستامين أو الربو حيث تكون هذه الأنابيب الهوائية منقبضة . ولذلك فإن الثيوفلين أكثر هذه المواد تأثيراً من هذه الناحية ولذلك كان مفيداً فى حالات الربو وضيق التنفس .

أما فى تأثيرها على العضلات الإرادية فقد اتضح بالتجربة أن الكافين يزيل التعب وقد يكون هذا نتيجة للتأثير على الجهاز العصبى أو قد يكون نتيجة للتأثير المباشر على العضلات الجسمانية .

## التأثير فى إدرار البول :

من الملاحظ أن الكافين والثيوبرومين والثيوفلين كلها تزيد فى إدرار البول كما تعطل القهوة والشاى والكاكاو وهى المشروبات التى تحوى هذه الزانتينات . وفى ذلك فالثيوفلين يعتبر أقوى هذه المواد تأثيراً فى إدرار البول إلا أن تأثيره يتم فى وقت قصير ، ويلى الثيوفلين فى قوته فى إدرار البول الثيوبرومين إلا أن الكافين يعتبر أضعفها من هذه الناحية ، أما الوسيلة التى بها تقوم هذه المواد بفعلها فى إدرار البول متعددة منها أنها تنشط الدورة الدموية فى الكلى وتوسع أوعيتها الدموية مما يزيد فى دم الكلى وبالتالى فى إفراز البول . وقد تسبب هذه المواد أيضاً عدم امتصاص الماء من القنوات البولية وبذلك قد يزداد حجم إفرازات الكلى وحجم البول . وهناك قول فى أن الكافين مثلاً يؤثر فى الأنسجة الجسمانية وتمنع احتجاز الماء بها مما يزيد فى نسبته فى الدم الذى يصل إلى الكلى بما يزيد فى حجم البول .

## التأثيرات على الإفرازات الهاضمة :

من التجارب والبحوث العلمية فى هذا الاتجاه تبين أن تعاطى الكافين بكميات متوسطة يزيد فى الإفرازات الهاضمة بالمعدة لمدة طويلة ، ولقد اتضح كذلك أن هناك اتفاقاً فى التأثير بين الكافين والهستامين إذ أنهما يزيدان الإفرازات المعدية عما إذا استعمل أحدهما بمفرده ولقد زادت إفرازات الحامض والببسين .

وهناك من المبررات ما يوضح أن الكافين بكميات كبيرة قد يسبب قرحة

فى المعدة وقد يكون ذلك ناتجاً من زيادة إفرازات الحامض مع مساعدة الهستامين له .

ومن هذا الوصف الدوائى فى تأثير الأسس الفعالة فى القهوة والشاى والكاكاو يمكن تلخيص استعمالاتها فيما يلى من الحالات المرضية :

١ — أمراض القلب ومنها الذبحة الصدرية .
٢ — الربو حيث يمكن استعمال الأمينوفلين .
٣ — للتنبيه العام فى حالة الهبوط وخاصة الكافين .
٤ — يستخدم الأمينوفلين فى المغص المرارى .
٥ — تستخدم المواد فى حالات الصداع .

أضرار المشروبات :

للشاى على وجه الخصوص أضراره الكثيرة ، فقد انتشر استخدامه بجمهورية مصر العربية بالريف انتشاراً كبيراً حتى أثر هذا المشروب فى المجتمع بحيث ارتبط اسمه بحياتنا ، ودخل ضمن نظامنا الاجتماعى وصار فنجان الشاى مظهراً من مظاهر الكرم وصورة ثابتة فى الدعوات والاجتماعات والتكريم . . . إلخ . وصار كذلك لازماً من اللوازم فى أثناء الراحة ووقت العمل ، ولقد دخل الشاى فى حياة الفلاح بما قد يؤثر فى صحته وصحة المجتمع الريفى ويهدد اقتصاديات الريف وبالتالى يؤثر فى الاقتصاد القومى .

كل ذلك يدفعنا إلى أن نوضح ما لهذا المشروب من أضرار اقتصادية

كانت أو صحية حتى يمكن تلافيها والاستعاضة بمشروبات أرخص ثمناً وأقل ضرراً على الفرد والمجتمع .

وللشاى أضراره العديدة . فإذا ما تكلمنا عن آثاره فى الاقتصاد فإنما نتكلم عن هذه الأموال الطائلة التى يتكبدها الفلاح وغير الفلاح للحصول على الشاى ليرضى به نهمه وجشعه باحثاً عنه فى أى مكان وبأى ثمن مفضلاً له عن ضرورياته من مأكل وملبس ، وبما قد يؤثر فى صحته ومظهره واقتصادياته ، هذا بجانب ما تتحمله الدولة من أموال ومدفوعات ، بالنقد الأجنبى قد تحتاج إليها البلاد فى مشروعاتها الصناعية والعمرانية . وما كنا فى حاجة إلى كل ذلك إذا ما أقلعنا عن هذا المشروب أو اقتصدنا فى استعماله بالشكل الذى يوفر علينا ويصلح لنا صحتنا ويحميها من الضرر .

أما الجانب الصحى فى ذلك فيتلخص فى أن الشاى خاصة بالريف صار إدماناً يؤخذ بشكل مشروب وقيل عنه إنه السم الأسود ويؤخذ فى الصباح والمساء وفى كل وقت وحين ، مما قد يؤثر فى وظائف الجسم وحيويته . وهذا ناتج من استعمال الشاى بشكل خاطئ غير صحى سواء فى كثرته أو فى تحضيره حيث يغلونه غلياناً شديداً وغليان الشاى فى الماء يجعله يخرج سمومه التى يلتهمها الناس ويقبلون عليها وتكون النتيجة من الاستمرار على تعاطيه بهذا الشكل سوء الهضم وفقدان الشهية للطعام والإمساك نتيجة وجود التنين بنسبة عالية فى الشاى ولا تخرج إلا بالغليان ويؤثر هذا فى خلايا المعدة والأمعاء ويسبب الإمساك الذى صار من الأعراض المنتشرة بالريف نتيجة لتداول الشاى بهذه الكثرة ، وبتلك الطريقة الخاطئة فى إعداده . ولوجود الكافين وهو المادة المنبهة فى الشاى فإن كثرته تؤثر فى

الجهاز العصبي وتسبب اضطرابات عصبية والأرق النفسي وهذه الأعراض كلها تؤثر فى معنوية الفرد وقدرته لما قد يعود على المجتمع نفسه وقلة الإنتاج تكون نتيجة لذلك . هذا بجانب أثر هذه المادة الفعالة على القلب مما قد يتسبب عنها اضطرابات القلب والدورة الدموية . ومما تجدر الإشارة إليه أنه يجب الامتناع عن الشاى أو الإكثار منه فى حالات الآلام الروماتزمية والنقرس نظراً لعلاقته بحامض البوريك الذى قد يترسب فى المفاصل ويسبب الآلام المبرحة . كما يجب الإقلال منه فى حالات قرحة المعدة وارتفاع ضغط الدم وفى الحالات التى تتطلب الراحة والهدوء بعيداً عن الانفعالات والإثارات .

والقهوة من جانب آخر لا تضر كثيراً الجهاز العصبي ولا تسبب الإمساك الشديد الذى نلاحظه فى الشاى وذلك راجع لأن البن لا يحتوى إلا على نسبة من التنين الذى ترتفع نسبته فى الشاى . ولكن هذا لا يمنع من الأضرار الأخرى التى يحدثها الشاى خاصة على الجهاز العصبي حيث تسبب الأرق والاضطراب العصبى أما الكاكاو فأقل هذه المشروبات ضرراً ولذلك فكثيراً ما يعطى للأطفال والكبار نظراً لاحتوائه على زيوت وأملاح تفيد الجسم .

**هل هناك علاقة بين التدخين والقهوة :**

فى المجتمع من يشجع التدخين ويدعو إليه وغيرهم من ينادى بمنعه وتحريمه . والملاحظ أن مدمنى التدخين المفرطين فيه غالباً ما يتناولون القهوة أوالشاى فى نفس الوقت مع التدخين فقد يكون لذلك أسباب سيكلوجية

بحيث أصبحت عادة التدخين مصحوبة بتناول القهوة والشاى وملازمة لهما ولقد تعود المدخنون احتساء القهوة والشاى فى وقت تدخين السيجارة. وقد تكون هذه العلاقة بين التدخين والقهوة والشاى لها أسباب فسيولوجية إذ من المعتقد عند المدخنين أن التدخين مهدئ للأعصاب والشاى منبه ومنشط لها.

وهذا التضارب فى التأثير يفسر هذه الظاهرة فى التدخين وتناول القهوة معاً عند القيام بعمل فكرى. فالتدخين وحده قد يقلل من التفكير لتأثيره المهدئ، لذلك فإن فعل القهوة المنشط يمحو تأثير التدخين المهبط. وذلك لاحتواء القهوة على نسبة من الكافين، ذلك الأثر الفعال القوى الذى ينبه الجهاز العصبى والدورة الدموية والجهاز التنفسى.

### تجارة المنبهات العالمية :

يطلق على محاصيل المنبهات الغلات الاستعمارية إذ يرجع هذا إلى حاجة الاستعمار لها وإدخاله لها فى مناطق إنتاجها الرئيسية فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا، وكما تشير تبعية هـــذه إلى اقتصاد مناطق الإنتاج للدول المستعمرة وعدم استقرار اقتصاد الدول المنتجة ويعتبر الشاى احتكاراً لآسيا والكاكاو محصول أفريقيا فى المقام الأول والبن للجزء الأمريكى من العالم الغربى.

### الشاى :

يحتاج إنتاج الشاى إلى مناخ مدارى مرتفع تتوافر له نسبة كافية

من الرطوبة . ويتم جمع أوراق الشاى طول السنة ويعتمد على اليد العاملة . أما عمليات تجهيز الشاى . . فإنها تبدأ بعملية التجفيف الأولى ثم عملية اللف ثم عملية التكسير والغربلة ثم التخمير وأخيراً التجفيف النهائى ، وعلى أساس دقة هذه العمليات تكون جودة صنف الشاى . فقد تتم فى مؤسسات صغيرة أو كبيرة الحجم وهذا يزيد من ارتباط الإنتاج بالأيدى العاملة وخاصة فى حالة المؤسسات الصغيرة كما يحدث فى الصين والهند . أما المؤسسات كبيرة الحجم فغالباً ما ترتبط بالمصالح الاستعمارية حتى فى جنوب شرق آسيا نفسها حيث تقوم مزارع علمية منظمة فى الهند وسيلان ويظهر من الأرقام مدى احتكار آسيا لإنتاج الشـــاى كما يظهر أن اتجاه الإنتـــاج فى الهند ناحية الزيادة على العكس منه فى سيلان وإندونيسيا . كما تظهر ضرورة وجود مناطق أخـرى خارج آسيا تساهم بجزء من الإنتاج يتمثل فى أفريقيا وفى الاتحاد السوفييتى فى جورجيا على البحر الأسود حيث يفضل الشاى كمشروب وحيث ازدادت الحاجة إليه فى السنوات الأخيرة لتكملة النقص من الوارد من الصين ، ويحتل الشاى مركزاً خاصاً فى التجارة . فعلى النطاق الدولى يدخل فى التجارة ما يقرب من $\frac{٣}{٤}$ الإنتاج . وعلى النطاق الإقليمى يحتل الشاى مركزاً خاصاً فى تجارة كل من سيلان والهند ، ففى سيلان يكون الشاى ما يقرب من ثلثى صادراتها ( ٦٤ ٪ ) على حين تقل هذه النسبة إلى ٢١ ٪ فى الهند وتكون هذه النسبة معظم إنتاج سيلان والهند ولا ترتفع هذه النسبة فى إندونيسيا إلى أكثر من ٣ ٪ . أما فى الصين فيستهلك معظم الإنتاج محلياً ولذلك لا تظهر الصين فى المراكز المصدرة الأولى .

أما من جهة الاستهلاك فتعتبر بريطانيا من أكثر دول العالم استهلاكاً للشاى . وتعتبر لندن أكبر الأسواق للشاى فى العالم تليها الولايات المتحدة ثم أستراليا والاتحاد السوفييتى وكندا والأراضى المنخفضة ، وعادة يفضل شاى الهند فى إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية . أما شاى الصين فيفضل فى أمريكا بالإضافة إلى الشاى الهندى . أما فى أستراليا وأوربا عامة فيسوق الشاى الوارد من جاوة بالإضافة إلى شاى الهند وسيلان .

**البن :**

تنمو شجرة البن عادة فى مناطق أقل ارتفاعاً من مناطق الشاى وينتج البن إما فى مزارع صغيرة كالمزارع العائلية كما يحدث فى كولومبيا أو فى مزارع متوسطة المساحة كما يحدث فى أمريكا الوسطى ، أما فى البرازيل فيقوم معظم الإنتاج فى مزارع واسعة . وبعد جمع المحصول يمر بعدد من عمليات التجهيز كالتى صادفناها فى حالة الشاى . وتتم هذه العمليات فى حالة مزارع كولومبيا الصغيرة أما فى المزارع الواسعة والمتوسطة فتقوم هذه العمليات فى المزرعة نفسها . أما تصريف المحصول فغالباً ما يخضع لإشراف حكومات المناطق المنتجة . ولعل ذلك يرجع إلى قيمة هذه الغلة بالنسبة لاقتصاد هذه الدول . وتعتبر أمريكا اللاتينية مركز الإنتاج الرئيسى ، واحتكرت دولها فى الخمسينات الأخيرة والستينات الأولى ما يقرب من ثلاثة أرباع العرض العالمى من البن . ويظهر من الأرقام هبوط نصف الكرة الغربى فى عالم الإنتاج وذلك لظهور مراكز إنتاجية جديدة وخاصة فى أفريقيا التى ارتفعت جملة الإنتاج فيها من ٢٨٠ ألف طن

فى السنوات ٤٨ / ١٩٥٣ إلى مليون طن عام ١٩٦٣ / ١٩٦٤ ( من أقل من ١٠ ./ إلى ٢٥ ./ من جملة الإنتاج العالمى ) . وجاء التوسع فى الإنتاج من ساحل العاج وأنجولا وأوغندا والبن كالشاى والكاكاو من المحاصيل الشجرية التى تتميز بنوع من الاستقرار الإنتاجى استقراراً من ناحية الزراعة . ولكن على الرغم من عدم تغير المناطق المزروعة بدرجة تذكر إلا أن الإنتاج كثيراً ما يتعرض للكثير من الذبذبة كما يحدث فى البرازيل نتيجة لسهولة تأثر الأشجار بموجات البرد والتغير المناخى .

**الكاكاو :**

يعتبر الكاكاو أصدق العلات الثلاث تمثيلاً لخاصية الهجرة التى تميز طابع الإنتاج الزراعى فى المناطق المدارية . والمناطق المدارية الرطبة المنخفضة كثيفة السكان نسبياً فى غرب أفريقيا تحولت اليوم إلى أن تصبح مناطق الكاكاو الرئيسية فى العالم . ويظهر من الأرقام مدى التحول الإنتاجى وتزايد الأهمية النسبية للمناطق الأفريقية على حساب مناطق نصف الكرة الغربى أو أمريكا اللاتينية . ويمكن أن نضيف إلى المراكز الأفريقية ساحل العاج التى أسهمت فى الستينات الأولى بنسبة ٨ ./ من الإنتاج العالمى والكاميرون التى ساهمت بحوالى ٧ ./ من جملة الإنتاج . ويعتمد إنتاج الكاكاو أساساً على الأرض والعامل والشجرة ، فهو لا يحتاج إلى رأس مال كبير وخاصة لعمليات التجهيز . وفى هذا يختلف الكاكاو عن كل من البن والشاى ، ولهذا يعتبر إنتاج الكاكاو فى أفريقيا الغربية من حرف المشروعات الصغيرة ، ويشبه الكاكاو البن فى ارتباط الاقتصاد

القومى به فى مناطق الإنتاج الرئيسية ، فصادرات الكاكاو فى الخمسينات الأخيرة والستينات الأولى تكون ما يقرب من ٥٦ ٪ ، ٢٥ ٪ ومن جملة صادرات كل من غانا ونيجريا على الترتيب الأمر الذى يعنى أن كل ذبذبة فى الأسعار يترتب عليها عدم استقرار فى الأحوال الاقتصادية . وبوجه عام يدخل فى التجارة الدولية ما يزيد على ٩٠ ٪ من جملة الإنتاج ، وبهذه النسبة يتفوق الكاكاو على الشاى والبن .

ولتقويم هذه المنبهات من الوجهة الاقتصادية العالمية نرى أن الجدول الآتى يلخص التوزيع الجغرافى وتوزيع عناصر التجارة فى المنبهات ( ١٩٦٢ ) .

## الجدول الأول فى تجارة المنبهات فى العالم

| | العالم | | أوربا ٪ | | أمريكا الشمالية والوسطى ٪ | | آسيا ٪ | | أمريكا الجنوبية ٪ | | الاوقيانوسيه ٪ | | أفريقيا ٪ | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | صادر مليون | وارد دولار | صادر | وارد | صادر | وارد | صادر | وارد | صادر | وارد | صادر | وارد | صادر | وارد |
| الجملة | ٢٦٩٧ | ٣٢٦٤ | ٢٤٤ | ١٦٠٣ | ٢٤٠ | ١٣٦١ | ٦٦٩ | ١٣٢ | ١٠٨٨ | ٣٥ | ٩ | ٦٠ | ٤٤٤ | ٧٢ |
| ٪ | ١٠٠ | ١٠٠ | ٩ | ٥٠ | ٩ | ٤٢ | ٢٥ | ٤ | ٤٠ | ١ | ,٥ | ١,٥ | ١٦,٥ | ١,٥ |
| البن | ١٤١١ | ١٩٢٦ | ٢٥ | ٧٨٩ | ٢١٥ | ١٠٥٤ | ٥٢ | ٤٥ | ١٠٠٧ | ١٧ | ٤ | ١٠ | ١٠٧ | ١٠ |
| ٪ | ١٠٠ | ١٠٠ | ٢ | ٤٢ | ١٥ | ٥٣ | ٤ | ٢,٥ | ٧٢ | ١ | — | .٥ | ٧,٥ | ,٥ |
| الشاى | ٦١٣ | ٥٧٢ | ٣٠ | ٣٨٠ | ٣ | ٨٢ | ٥٣٢ | ١٩ | ١٢ | ٥ | ١ | ٣٧ | ٣٦ | ٥٠ |
| ٪ | ١٠٠ | ١٠٠ | ٤,٥ | ٦٦,٥ | ,٥ | ١٤ | ٨٨ | ٢,٥ | ٢ | ١ | — | ٦ | ٦ | ٨,٥ |
| الكاكاو | ٤٥٩ | ٥٤٣ | ٨١ | ٣٢٩ | ١٢ | ١٧٠ | ٢ | ٢٠ | ٦٦ | ٨ | ٤ | ١٠ | ٢٨٣ | ٤ |
| ٪ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٨ | ٦٠ | ٣ | ٣٢ | — | ٤ | ١٤,٥ | ١,٥ | ١ | ١,٥ | ٦٣,٥ | ١ |

# الفصل الرابع

# كيف التدخين

لقد ذكرنا فى كتاب سابق قدراً من المعلومات عن التبغ والتدخين تكفى لأن تعطى الفكرة الحقيقية عن التدخين وطبيعته وفوائده وأضراره . إلا أننا فى هذا الكتاب نذكر ملخصاً عن التدخين لتسهيل مقارنته لكيف مع المكيفات الأخرى : المخدرات والمسكرات والمنبهات

**نبذة فى تاريخ استعمال الدخان :**

اعتاد السحرة والكهان من قديم الزمان تدخين الدخان فى المحافل والاجتماعات مدعين أنه وسيلة سماوية وطريقة خفية تساعد على كشف ما خفى فى الصدور وإظهار بواطن الأمور والتنبؤ بالأحداث والأقدار وكان استعماله فى قصبة مثقوبة ثم استعمل فى أمريكا ملفوفاً بلفيفات

مخروطية الشكل تشابه إلى حد كبير سجاير اليوم الملفوفة باليد . ولقد انتشرت بينهم أهمية التدخين ونقلوا هذا الاعتقاد إلى زائريهم من المقربين غير أن رجال كريستوف كولومب . يأبهوا له فلم ينتشر استعمال التبغ فى أوربا على أيدى الكاشفين لأمريكا إلا أن انتشاره فى أوربا قد تم بعد أن قصد أمريكا رجال كثيرون أوربيون خالطوا أهلها وتعودوا منهم عادة التدخين . ومن هؤلاء راهب إسبانى اسمه فرارامون حيث جلب معه الدخان إلى إسبانيا وكان ذلك بدء نقله من العالم الجديد .إلى العالم القديم . وعلى الرغم من استنبات هذا النبات فى بلاد الأندلس فلم يقدر لزراعته الرواج ولاستعماله الذيوع إلى أن استجلب هذا النبات من البرازيل راهب آخر اسمه أندريه تيفه وقدمه هدية إلى بلاط الملك هنرى الثانى ومع ذلك لم يلتفت إلى زراعته ولم يكتب له الرواج حتى استنبته جان نيكو سفير فرنسا فى البلاط البرتغالى فى حديقته وجرب تأثيره على نفسه فتوهمه علاجاً نافعاً من كل داء وتخيل أن دخانه طلسم ينقذ الإنسان من كل مرض عضال فكرس نفسه لرواجه حتى سمى باسمه نيكوسيانا . فانتشر أمره . هذا وكان وصول التبغ إلى إنجلترا ومنها إلى الهند على يد الأميرال دراك القائد من فيرجينيا . ومن طريف القصص عن انتشار التدخين فى بلاد الإنجليز أن الناس كان يدخنونه خلسة . ومن هؤلاء السير ولتر رالى فكان يجتنب التدخين علانية خوفاً من اقتداء غيره به . فاتفق ذات يوم أنه كان منهمكاً فى الدرس والإمعان فنادى خادمه وقد نسى الغليون فى فمه فلما دخل عليه الخادم ورأى الدخان يتصاعد من أنفه وفمه تصور أن ذهن سيده العالم قد توقد واحترق من شدة البحث وأن فكره قد اشتعل ودماغه قد تبخر

فى دخان متصاعد إلى الفضاء فما كان منه إلا أن رماه بقدح من الماء كان فى يده وخرج يستنجد زملاءه منادياً بأعلى صوته « ماء ماء » لأطفئ سيدى الذى توقد ذهنه واشتعل فكره .

دخل الدخان البلاد العربية سنة ١٥٩٠ ميلادية أى سنة ٩٩٠ هجرية على أن بعض المؤلفين يرجحون القول بأن التبغ معروف فى شرقى آسيا قبل ذلك بكثير وأن التبغ نبات طبيعى فى بلاد الفرس وبعض بلدان الشرق الأوسط ، ويوهم شاهدو التبغ فى بادئ الأمر أنه علاج لكل مرض ودواء لكل داء فأطنبوا فى مدحه ثم ظهرت للناس محاذيره وأضراره فحرم تحريماً شديداً ، حتى أن حكام الروس أجازوا جلد المدخنين وأجازت بعض الدول معاقبة المدخن بجدع الأنف وقطع الشفة . وعلى الرغم من هذه التدابير القاسية فقد شق الدخان طريق رواجه وانتشر فى كل قطر ومكان ومازال رواجه يزداد يوماً بعد يوم حتى وصلت مصاريفه ما يعادل مصاريف الخبز عند كل الناس . إلا أنه فى العهد الحاضر تنبهت الأذهان إلى خطورته وما يحدثه من أضرار ، وحرم فى بعض البلدان خشية على الصحة العامة . وهذا ما شجعنا على بحث الموضوع وتقديم هذه العجالة لتكون مرشداً للتعرف على حقيقة التدخين وأضراره .

## أقوال مأثورة فى التدخين

ينتج من استعمال الدخان آفات وأضرار فى أجهزة الجسم المختلفة وأعضائه العديدة أوضحها بعضهم وأنكرها الآخرون بالغ بها المعاقون من التدخين مبالغة بريئة علمية وأنكرها المدمنون إنكاراً مَغرضاً . ووقف

المعتدلون وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء .

ولقد أفاد الأستاذ أرنولد لوران بأن كثيراً من السيدات المشهورات بالجمال البديع والحسن البارع قصدنه فبدين له كالعجائز ، ولم يكشف سبباً لذلك فيهن غير التدخين . وقال جوزيف برن الأخصائى فى فن التجميل أن وجوه السيدات المدخنات هزيلة ضعيفة ضامرة وتصير بشرتهن شاحبة وتفقد شفاههن لونها الأحمر الجميل وتتجمع الغضون حول زوايا أفواههن وتمتد شفاههن السفلى إلى الأمام ويبرز ما تحت الشفة العليا . وتحملق عيونهن وتسترخى جفونهن . وهذا بعض ما جاء فى كتب الغرب عن أذى الدخان فى أعضاء الإنسان . وقد جاء فى كتاب الدخينة فى نظر طبيب لمؤلفه دانيال كرسى المتخصص فى الأمراض العصبية ومدير مصح واشنطون فى أمريكا منها قول هنرى فورد صاحب المعامل الشهيرة : أن التبغ سم ابتلى به الجيل الحاضر وكثرت أضراره فى الناس وهو سيئ الأثر ، ولذلك ليس فى معاملى كلها من يتعاطاه البتة . ولقد قال فى التدخين المربى الذائع الصيت دافد ستارجوردان أن الفتيان المدخنين يشبهون التفاح المصاب الذى يسقط قبل وقت القطاف بزمن طويل . ومن هذه الأقوال المأثورة ماقاله ليندبرغ ، الطيار الشهير وهو أول من اجتاز الأقيانوس من أمريكا إلى أوربا حيث قال إنى واثق بالفوز لأنى لا أستعمل التبغ تدخيناً أو مضغاً ولا أستعمل مسكراً ولا أرقص ولذلك أعد أن فوزى مضمون ونجاحى مؤكد . هذا وقد خاطبت صاحبة الفن المشهورة مدام شومن نفراً من طالبات الكليات بقولها أريد أن تعلمن أن سبب نجاحى فى فنى هو أنى لم أدخن قط ولن أدخن أبداً وأعتقد اعتقاداً راسخاً أنكن

يافتيات تقترفن جريمة شنعاء إذا أقدمتن على التدخين فتسممن من به أجساد كن الغضة .

لم يغفل الشعراء والأدباء التحدث عن التدخين فقال بعض أدباء العصر السابق يحذر فيه من التدخين بعض الأبيات :

اتبع طريق الهدى وامش على السنن — وخالف النفس وازجرها عن المحن
إياك من بدع تأتيك فى عطب — لا سيما ما فشا فى الناس من تتن
مخدر الجسم لا نفع به أبداً — بل يورث الضر والأسقام فى البدن
ولا يغرنك من فى الناس يشربه — فالناس فى غفلة عن أوضح السنن
يقضى على المرء فى أيـــام محنته — حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

**طرق استعمال الدخان والأضرار الناجمة عن كل منها :**

يستعمل الدخان مضغاً أو تسعيطاً أو نشوقاً أو مدخنا بلفيفات أو لفافات أو بغلايين وأراكيل . . إلخ . وكل هذه تحدث فى الجسم أضراراً تختلف باختلاف تعاطيه . وتتلخص هذه فيما يلى :

**الاستعمال بالمضغ :**

يمزج الدخان من مواد أخرى قد تكون مخدرة ويوضع بين الشفة واللسان . وهذه تفرز اللعاب وتحتقن بها اللثة والشفتان ويظهر عليها بعد ذلك الجفاف والورم وآلام فى الأغشية واللسان ويزول رونق الأسنان ويصفر لونها ويقبح منظرها وتسوء رائحة الفم مع التعرض للإصابة بسرطان الفم .

**الاستعمال بالتسعيط :**

وفى هذه الحالة يستخدم مسحوق الدخان كنشوق . وهذه تؤذى باطن الأنف والأذن مما يؤثر فى الشم والسمع . وقد يتسبب عنها دوام احتقان أغشية الأنف وتقرح أغشيته واستمرار سيلان المخاط وتبقع ما تحت الأنف بآثار السعوط وتضرجه بذرات المخاط والدخان مما يجعل المدمن قبيح المنظر ترتد عن رؤيته الأبصار وتنبو عن منظره الأنظار . ولقد أراد البعض إغراء أحد الأدباء بالتسعيط فأجابه بقوله :

إن النشوق وإن جلت منافعه ... يكفيك منه تعافيش المناخير

**الاستعمال بالنرجيلة :**

وهذا نسبة إلى أن جوز النرجيلة كان يشتمل وعاء الماء الأركيلة ثم ذاعت هذه التسمية وعرفت وصارت الأركيلة بدلاً من النرجيلة . ويزعم الناس أن الأركيلة أخف ضرراً من غيرها فى التدخين . والواقع غير ذلك فكم قضى أناس بسببها مصدورون أو مسمومون وصار شهداؤها عديدين وضحاياها كثيرين بعد أن خضعوا لسلطان النرجيلة ودخانها . وذلك لأن مدمنها يضطر إلى إطالة الشهيق فى أثناء شربها فيستنشق عناصر التمباك السامة وهى أشد فتكاً من غيرها إذ أن دخانها يحتوى على غاز أكسيد الكربون السم الزعاف وعلى غيره من المواد الطيارة الضارة مما يجعل ضررها أشد كثيراً من غيرها من أنواع التدخين . هذا خلاف انتقال العدوى بين المدخنين عند تبادلهم النرجيلة .

## الاستعمال باللفافة واللفيفة :

وهذه هي السيجار أو السيجارة . وفي استعمال هذه يتبخر جزء كبير منها أثناء التدخين ويتطاير منها بعض السموم . ومع ذلك تبدو اللفافات واللفيفات أشد وأعظم خطراً من غيرها من وسائل التدخين ، ويرجع ذلك إلى سهولة استنشاق دخانها وسهولة جذبه للرئتين ، ولا يخفى أن الدم يدور في الرئة دورة كاملة كل **ثلاث** دقائق ويصل دخان اللفيفة المستنشق غشاء الرئة الباطني الرقيق فتختلط غازاته السامة بالدم ، ويتم بذلك انتشاره في الجسم وينتشر معه الأذى والضرر . هذا علاوة على ما يترسب من مكونات الدخان على الأسنان وفي القصبات الهوائية مما يسبب الالتهابات والكحة وغيرهما من الأعراض .

## الاستعمال بالغليون :

قد لاحظ بعض الحكماء أن حوادث التسمم عند بعض مدخني التبغ بالغليون أقل مما هي عليه عند مدخني السيجار والسيجارة . وقد نسب ذلك إلى أن المدخن بالغليون يضطر إلى ترك فمه مفتوحاً في أغلب الأحيان مما يسهل خروج الدخان فلا يبلغ المدخن منه إلا قليلاً خلافاً لمدخن اللفافة واللفيفة الذي يسهل عليه دائماً ضبط شفتيه وبلع الدخان واستنشاقه وسهولة توصيله إلى الرئة . على أن التدخين بالغليون قد يسبب سرطان الشفة المعروف بسرطان الغلايين كما أن التدخين بالغليون قد يضر كثيراً إذا لم يوال المدخن نظافة غليونه حيث إنه قد يتراكم « في قصبة الغليون » ويجف على جدرانه

خلاصة التبغ التى إذا ما دخنت ثانية سببت أعراض التسمم من غثيان ودوار وخنَقان وصداع ويبس فى الفم واللسان . . . إلخ .

يتضح مما تقدم أن كافة طرق التدخين مؤذية . غير أنه إذا كانت الأركيلة أشدها ضرراً فإن صعوبة تحضيرها تقلل من إمكان استعمالها بكثرة فيخف معها هذا الضرر . أما السيجار أو السجارة فإنها وإن كانت أقل سموماً من الأرجيلة إلا أن سهولة استعمالها وكثرته تجعلها أكبر ضرراً وأشد خطراً . ولئن كانت الغلايين أقل أذى من غيرها لقلة استنشاق مدمنها لسموم الدخان فقد يتضاعف ضررها بتعرض مستعملها للسرطان ، ولقد سعى الكثيرون إلى العمل لتخفيف أضرار التدخين ، ولا شك فى أن استعمال السيجارة بأنابيب وقصبات ( فم ) أخف ضرراً لأن مقدار النيكوتين المستنشق يرسب جزء كبير منه فى محيط القصبة وبقدر ما تكون الأنبوبة طويلة يكون نفعها أكبر . غير أن المدخن يتعرض فى هذه الحالة إلى خطر رواسب الدخان فى القصبة مما يحتّم استمرار نظافتها . هذا وقد أوصى بعضهم بوضع مواد ماصة للنيكوتين فى الأنبوبة مثل العفص الذى تبلل به قطعة القطن وتوضع لامتصاص النيكوتين وبعض محتويات الدخان الضارة . وقد أفاد فى هذه الطريقة كثيراً . هذا ومص الدخان ونفثه دون عبه وإيصاله إلى الرئتين يخفف لحد كبير من أذى الدخان وأضراره .

## التأثير الطبى للتدخين :

يحتوى الدخان على كثير من المواد . والنيكوتين هو شبه قلوى ويعتبر أهم وأقوى الأسس الطبية الفعالة فى الدخان . وتختلف نسبة النيكوتين

تبعاً لنوعه ، والمنطقة التي ينمو فيها ، ولكنها تصل إلى حوالى ٥ ./ .والنيكوتين سائل شفاف إلا أن لونه يصفر بالضوء والهواء ويتطاير فى الأجواء العادية وبخاره يلهب الأغشية المخاطبة . وعموماً يرجع تأثير الدخان إلى ما يحويه من النيكوتين الذى إذا أخذ بكميات صغيرة يسبب أولاً تنبيهاً بمجامع الأعصاب « جانجليون » وعلى هذا الأساس يحدث النيكوتين تأثيرات وقتية نتيجة لهذا التنبيه كزيادة ضغط الدم وانخفاض ضربات القلب وزيادة حركة الأمعاء وكثرة الإفرازات الغددية . وهذه التأثيرات تفسر ما تراه فى الصباح عند ابتداء التدخين أو فى الصائمين عندما يدخنون عند الإفطار فنرى تأثر النبض وتنبيه الأمعاء مما قد يسبب الإسهال وسرعة التبرز ثم كثرة إفرازات الفم والقصبة الهوائية مما يسهل إخراج البلغم ، وقد يحدث القىء نتيجة لتنبيه مخى مركزى - ثم بالكميات الأكبر يعقب أعراض التنبيه السابقة أعراض أخرى ناتجة عن إخماد هذه المجامع وشل عملها فتزداد ضربات القلب وينخفض ضغط الدم وتهبط حركة الأمعاء وتخمل الغدد الإفرازية وترتخى عضلات القصبة الهوائية والأمعاء . وهذا يفسر ما نلاحظه من الإمساك وقلة الإفرازات بعد كثرة التدخين . وهذا يبين لنا أيضاً أن الدخان بكميات كبيرة يسبب اتساع القصبة الهوائية مما يفيد فى حالات الربو - أما إذا أخذ النيكوتين بكميات أكبر كما هو الحال فى الإفراط فى التدخين أو عند مضغ الدخان بمقدار وفير ، فقد يسبب ذلك أعراضاً للتسمم من النيكوتين وأهم هذه الأعراض : ضعف القلب واضطراب القناة الهضمية وعدم الميل للطعام وذلك لقلة الإفرازات . . . والسعال الشديد الناتج من التهابات الزور والقصبة الهوائية . ثم اضطراب

فى النظر مما قد يؤول إلى العمى . وقد يكون هذا ناتجاً من تنبيه مجامع العصب التائه والعصب السمبتاوى ثم إخمادها بعد ذلك ، فالتنبيه والإخماد المتعاقبان على عصبين يختلف تأثير كل منهما عن الآخر قد يسبب تضاداً فى حركة عضلات العين التى تسيطر على اتساع وانقباض الحدقة مما يحدث اضطراب العين وزغللة النظر .

**ما يحصل عليه المدخن من السيجارة :**

ومما يجب ذكره فى هذا المجال شرح التأثيرات الفسيولوجية للتدخين وبيان ما قد يمتص من النيكوتين وغيره من المواد المدخنة وما تحدثه من تأثير . فهناك شك كبير عند الكثيرين عن وجود هذا النيكوتين فى الدخان الناتج من التدخين والذى يدخل جسم المدخن . ولكن يجب معرفة أن النيكوتين سائل طيار وأنه قد يتطاير أثناء التدخين قبل احتراقه ، وذلك تحت تأثير حرارة النار الموجودة بالسيجار المشتعلة . ولقد دلت البحوث الفسيولوجية والكيمائية على وجود هذه المادة فى دخان التدخين بكميات متفاوتة . ومما تبينه هذه البحوث أن السيجارة تحتوى من النيكوتين على حوالى ٢ إلى ٨,٥ مليجرام وأن ما يمتص من هذا القدر قد يصل إلى حوالى ٣٠٣ مليجرام ، ولقد ذكر بعض البحاث أن الكمية التى يأخذها الفم من النيكوتين تصل إلى ,٦ إلى مليجرام من كل سيجارة وقد يمتص نصف هذا القدر داخل الجسم ، ومن بعض التحاليل الأخرى تبين أن دخان السيجارة الواحدة الذى يصل الفم به حوالى ١ إلى أكثر من ٣ مليجرامات من النيكوتين و ١٠ إلى أكثر من ٢٠ مليجراماً من القطران . وأن استعمال المباسم ذات

المرشحات تقلل من هذه المقادير فى الفم إلى ٢ مليجرام من النيكوتين و ١٥ مليجراماً من القطران . إن استعمال السجاير ذات المرشحات قد تزيل حوالى ٤٠ ./ من هذه المقادير . ولكن إذا كانت هذه المرشحات مضغوطة تماماً فقد تزيل نسبة أكبر ولكنها قد تزيل كذلك لذة التدخين ( الكيف ) عند المدخنين . وعلى وجه العموم فقد تصاب الأجسام بالضعف والهزال نتيجة للإفراط فى التدخين إذ أن الدخان يحتوى على سموم تضر الجسم ووظائفه . واحتراقه فى أثناء التدخين يسبب امتصاص بعض المواد السامة الطيارة التى إذا ما كثرت بكثرة التدخين سببت هذه الأعراض . وأهم ما تمتصه الأجسام من هذه المواد الطيارة هو النيكوتين السابق الكلام عنه وهو شبه القلوى الذى يعزى إليه أثر الدخان وتأثير التدخين . ثم أكسيد الكربون وهو غاز طيار يظهر عند احتراق الدخان ، وهذا أثر سام وخصوصاً على الدم وكراته الحمراء ، وكثرته تحدث تسمماً يزيد من خطورة التدخين . ومن المواد التى تزيد من أضرار التدخين غاز النوشادر الذى يلهب الأغشية المخاطية ويزيد اللعاب ويسبب السعال والزكام . وهناك القطران الذى يتطاير أثناء التدخين وقد يترسب فى غدد وأغشية القنوات الهوائية مما قد يتسبب عنه ما تراه فى المدخنين من سعال وما نشاهده فيهم من اضطرابات تنفسية .

## أضرار التدخين :

لا شك أن للتدخين أضراراً عديدة يجب التنويه عنها والتنبيه لها . فلقد دلت الإحصاءات والدراسات الطبية على أن تدخين سيجارة واحدة مع بلع

الدخان يرفع ضغط الدم إلى مدة حوالى ساعة . أما إذا طرد الدخان بدون إدخاله فى الرئة فقد يرتفع الضغط إلى مدة تتراوح بين عشر دقائق إلى ربع ساعة . وكثير من التقارير الطبية العالمية تشير إلى أن المفرطين فى التدخين قد تظهر عليهم أعراض تشابه أعرض الذبحة الصدرية وأن هذه الأعراض تزول تماماً بوقف التدخين . وهناك من التجارب على مرضى القلب ما يدل على أنه برغم أن النيكوتين لا يسبب خطورة مباشرة للمصابين بالقلب وأوعيته لما يحدثه التدخين منها من انقباضات وتقلصات إلا أن التدخين عما يحدثه من تأثير موضعى على القلب نفسه وتأثير عام على الدورة الدموية . فإن هذه التجارب تتجه إلى النصح لمرضى القلب بعدم التدخين حتى لا تسوء حالتهم .

وأما على الجهاز الهضمى فقد يحدث التدخين عند الكثيرين التقايؤ والغثيان وهذه قد تكون نتيجة لما يحدثه النيكوتين من تنبيه للمركز العصبى للقيئ بالمخ مما يضر بالصحة العامة . ومن أخطر تأثيرات التدخين على الأعضاء الهضمية ما يسببه النكوتين من هبوط فى حركة المعدة مما يسبب فقدان الشهية الغذائية مع زيادة الاضطرابات الهضمية المعدية والمعوية من إمساك وعسر هضم وخلافه . ومن المشاهد كذلك ارتفاع نسبة سكر الدم فى كثير من المدخنين ، وربما كان ذلك نتيجة لإخراج ما اختزن فى الكبد من المواد الجليكوجينية تحت تأثير النيكوتين الذى قد يزيد فى نسبة خروج الأدرينالين من الغدة فوق الكلية وهو الذى يسبب ارتفاع نسبة السكر فى الدم وارتفاع ضغط الدم ما عدا تأثير النيكوتين نفسه فى هذا الاتجاه .

هذا وقد دلت بحوث العلماء على تأثير التدخين فى التناسل والحمل أن النيكوتين بالتدخين يسبب فى الفئران والجرذان اضطرابات فى الدورة الجنسية حيث يضعف الشبق والميل الجنسى كما تقل نسبة الحمل والولادة فيها حتى إذا مازادت كمية النيكوتين وطالت مدته فقد ينقطع فيها الحمل تماماً . وأما فى الإنسان فيقال إن التدخين يضعف فى الرجال قوتهم الجنسية ويحدث فى النساء الإجهاض والعقم وهذا ما جعل كثيراً منهن يلجأن إلى الإفراط فى التدخين حتى لا ينجبن أطفالاً ، متناسين فى ذلك أن الإفراط قد يقلل من شعورهن وميلهن الجنسى بما يؤثر على حياتهن الجنسية . ولقد أشارت بعض البحوث إلى أن التدخين يحدث الإجهاض فى النساء بنسبة ٢٢،٥ ٪ فى المدخنات الحوامل وهذه تقابل ٧،٤ ٪ فى الحوامل غير المدخنات . ومما ذكر فى هذا الصدد أن سموم التدخين ( أى النيكوتين ) قد تنتقل من الأم إلى الجنين عن طريق دمها أو إلى الرضيع عن طريق لبنها . وهذا من أسباب وفاة الأجنة فى بطون أمهاتهم المدخنات أو من أسباب تسمم الأطفال عند رضاعتهم منهن . ولذلك يجب الإقلال من التدخين أو منعه فى أثناء الحمل والرضاعة حتى لا يتأثر الجنين أو الرضيع .

ومن الدراسات الهامة التى أجريت فى تأثير التدخين على نسبة الوفاة والتى أجريت على مئات الآلاف من المدخنين ومثلهم ممن لا يدخنون وكانت أعمار الجميع تتراوح بين ٥٠ ، ٦٠ سنة ويمكن القول بأن هناك علاقة قوية بين عادة التدخين ونسبة الوفاة . فقد ارتفعت هذه النسبة بحوالى ٥٠ ٪ فى الرجال المتعودين على التدخين بالسجارة . وأن سرطان الرئة وأمراض أوعية القلب كانت مصاحبة دائماً لارتفاع نسبة الوفاة . ودلت الإحصاءات

فى هذه الناحية أن التدخين عامل من عوامل الإصابة بالأمراض السرطانية ، وقد وجد ارتفاع فى نسبة السرطان فى حالة التدخين والإفراط فيه لمدد طويلة وشرحاً لهذه الظاهرة أقول إن النسبة العالية من قطران التدخين والتى تدخل فى الرئة مع الدخان قد تكون سبب حدوث السرطان الرئوى ، وذلك لأن القطران من الوجهة الكيماوية قد يشابه فى تركيبه تلك المواد المولدة للسرطان فى الأجسام ويكون وجوده حافزاً لزيادة تكوين هذه المواد أو قد تكون هناك علاقة بينه وبين بعض الإفرازات الهرمونية كالاستروجينات التى تتصف كذلك بإحداث هذه السرطانات .

**تلخيص وتوجيه :**

يمكن على ضوء المعلومات السابق ذكرها والتى استقيناها من آراء العلماء والبحاث أن نلخص مشكلة التدخين فيما يلى :

**أولاً : أضرار الإفراط فى التدخين :**

١ – يضعف المعدة والأمعاء ويقلل من الرغبة فى الطعام ويسبب سوء الهضم .

٢ – يزيد من نسبة سكر الدم ويضر المصابين بمرض السكر .

٣ – يرفع ضغط الدم ويخفضه ويؤثر على أوعية القلب ويسبب اضطرابات فى الدورة الدموية مما يضعف القلب .

٤ – يضعف المقدرة الجنسية فى الذكور والإناث ويقلل من الحمل ويسبب الإجهاض .

٥ – يسبب الضعف العام والهزال نتيجة لامتصاص النيكوتين وغاز أكسيد الكربون والقطران .

٦ – يساعد على الإصابة بسرطان الرئة كما يسبب أمراض الجهاز التنفسى.

٧ – يسبب ارتفاعاً ملحوظاً فى نسبة الوفيات فهى فى المدخنين أكثر من غيرهم .

**ثانياً : لتلافى أضرار التدخين :**

١ – الإقلاع عن عادة التدخين إن أمكن وخصوصاً فى حالات المرض أو الإقلال منها بقدر الإمكان .

٢ – يستحسن عدم بلع دخان السجاير حتى لا ترتفع نسبة سموم التدخين فى الجسم .

٣ – يجب استعمال المباسم والسجاير ذات المرشحات لمنع نسبة نيكوتين وقطران الدخان .

٤ – تجب الرقابة التامة على صنع السجاير المحلية واختيار المستورد منها بتحليلها ومعرفة نسب محتوياتها والعمل على عدم تداول الأنواع المضرة .

٥ – العمل على توجيه النشء توجيهاً يبعدهم عن التدخين أو التفكير فيه ، وذلك بإلقاء المحاضرات وتوزيع النشرات التى تبين مدى ضرر التدخين . ثم العمل على تنظيم وقت فراغ الشباب لابتعاده عن تلك العادات المرذولة .

**معلومات أخرى هامة فى التدخين :**

١ – تقدر الجرعة المميتة من نيكوتين الدخان بحوالى ٥٠ مليجراماً للشخص المتوسط . وأن علبة السجاير الواحدة بها من النيكوتين ما قد يقتل الشخص إذا ما أعطى دفعة واحدة ، ولكن لحسن الحظ أن معظم النيكوتين الموجود فى السجاير لا يأخذه الجسم حيث يفقد جزء كبير منه فى عملية الاحتراق وجزء آخر فى الدخان المتسرب من السجاير فى أثناء التدخين .

٢ – يصل فم المدخن حوالى ٢ إلى ٣ مليجرامات من النيكوتين من كل سيجارة . وأن حوالى ٩٠ ٪ من هذا النيكوتين يمتص بالجسم . وأن ما قد يصل داخل الجسم يومياً منه حوالى ٤٠ إلى ٦٠ مليجراماً من كل علبة سجاير . ولكنها تؤخذ بالتدريج مما يقلل تأثيرها السام نوعاً ما . هذا وحوالى ١٠ ٪ منه يفرز عن طريق البول يومياً وجزء كبير منه يتغير كيماوياً داخل الجسم وخصوصاً بالكبد مما يضعف كذلك من سميته .

٣ – يؤثر النيكوتين على المخ والأعصاب تأثيرات معقدة مختلفة . وعموماً فالسيجارة الواحدة تسبب ارتفاع ضغط الدم وانخفاض درجة حرارة الأطراف وانقباض الأوعية الدموية بما فيها أوعية القلب . وهذه تستمر إلى ما يقرب من الساعة حيث تعود لطبيعتها ولكنها تظهر ثانية بعد السيجارة التالية . ويظهر أن تأثير النيكوتين على الأوعية الدموية قد لا يكون تأثيراً مباشراً عليها ولكنه تأثير على الغدة النخامية المخية التى

تُبهها فيفرز هرموناً معيناً ذا تأثير خاص على هذه الأوعية وخصوصاً على الأوعية الدموية التاجية فى القلب .

٤ – يقول العلماء إن نيكوتين التدخين الذى يمتص يزيد فى قوة القلب زيادة وقتية ، وهذه ظاهرة غير مرغوب فيها حيث تسبب خطراً شديداً فى مرضى القلب ، إذ فى هؤلاء لا يتطلب من قلوبهم العمل الشاق من القوة والدفع التى قد تضر القلب وتجهده . فإذا ما حدث ذلك من بضع سجاير فما هو الحال إذاً فى الذين يدخنون ويفرطون فى التدخين يومياً ولمدة أعوام . فلا شك هناك خطر بل أخطار على صحتهم . فقد دلت إحصائيات الجمعية الأمريكية للسرطان عام ١٩٥٨ على ما يقرب من ٢٠٠ ألف مدخن تتراوح أعمارهم بين ٥٠ ، ٧٠ عاماً أن نسبة الوفيات بأمراض أوعية القلب تزيد حوالى ٧٠ ./ فى المدخنين عن غير المدخنين .

٥ – من نظريات التدخين أن التأثير المرضى للنيكوتين يرتفع بتقدم السن فيكون قليلاً فى الشباب ثم يتزايد عندما تمر السنون ويتقدم العمر . هذا وقد يشجع الشباب على التدخين حيث إنهم يقاومون فى سنهم هذه بعض أخطار التدخين ولكنهم يجب أن يعلموا أن هذه الأخطار تنتظرهم فى أعوامهم القادمة . ومما لاجدال فيه أن هناك علاقة بين التدخين وأمراض القلب . وأن تصلب الشرايين وأمراض الأوعية التاجية فى القلب وكذا ضغط الدم إذا ما ظهرت وشعر بها المدخن فإن استمرار التدخين قد يزيد خطورتها ويؤثر تأثيراً ضاراً على حالة الجسم

**تعليق :**

مما تقدم نجد أن المدافعين عن التدخين لم يقدموا الحجج والبراهين التى تبرئ التبغ من سميته وأضراره ولكنهم تعللوا بأسباب واهية ربما كانت لإدانة التدخين أقرب من براءته ، إذ لم يأتوا بجديد ليدافعوا عن الأضرار من التدخين على الجسم ولكنهم اعترفوا بسميته ونسوا أن الاستمرار على تعاطى السم يؤثر حتماً فى الحيوية . وأن الكيف واللذة وهما هدفا التدخين لا يبرران إطلاقاً براءة التبغ إذ أن الأكل والتفنن فيه يسبب النشوة واللذة ولكن الإكثار من الأكل – رغم تخلص الجسم منه بعد وقت معين – يضر الجسم ضرراً بليغاً ويحذر الأطباء المرضى من التغالى فى الأكل رغم احتياج الجسم له بعكس التبغ والدخان الذى قد أخذ مكانه فى المجتمع وأقبل عليه الناس بشكل وبائى ، ورغم ما فيه من ضرر محقق أثبته العلم وحققه العلماء فى جميع الأنحاء الأمر الذى يشير إلى الاحتياط والذى يدعو إلى التعقل فى استعماله خاصة وأنه سم باعتراف أصدقاء التبغ وأعدائه وهو سم مباح بدون قيد . فى الوقت الذى حددت فيه أنواع التغذية وأدخلت فى بطاقات تموينية نجد أن باب التدخين قد فتح على مصراعيه فولجه الكبير والصغير والغنى والفقير ، وهذا يؤثر حتماً على كيان المجتمعات وقدراتها على العمل الفكرى والجسدى ، فنيكوتين التدخين وغازاته وقطرانه تدخل الجسم فتؤثر فى أنسجته وحيويته وتضعف قدرته ووظيفته . وتكون النتيجة من همجية التدخين وعدم تنظيمه والإقلال منه سرطان الرئة . واضطراب الدورة الدموية التى تكون نهايتها ضعف القلب

وهبوطه . ثم الخمول والكسل الناتج من فعل النيكوتين فى الأعصاب التى تقوى العضلات . ثم الإمساك والكحة – وضعف النظر والتعرض للإصابة بالسكر . هذا بجانب ضياع طبيعة الجسم وقدرة النفس فى التلذذ بالأكل والتمتع بطعمه مع هضم متزن وحركة معوية طبيعية . وهناك الكثير من الأضرار التى يحدثها التدخين والسابق التحدث عنها والتى يجب علينا أن نظهرها للناس ليتعظوا بها . ونحن بعد أن نبين كل ذلك فإنما نريد للمدخنين عدم الإدمان والإفراط فى التدخين واتباع الوسائل التى تحميهم من أضراره وتبعد أجسامهم عن مساويه . ونريد لغير المدخنين ألا يقدموا على هذه العادة. وإذا أقدموا فليكن بحذر وانتظام . وهناك بعض الاحتياطات التى يجب على المدخنين مراعاتها إذا لم يمكنهم الإقلاع عن التدخين :

١ – يجب الإقلال من التدخين وعدم الإفراط فيه مع اختيار الأنواع الجيدة من التبغ .

٢ – يجب ألا يسرع الإنسان بل يبطئ فى أخذ النفس وألا يسحبه بقوة .

٣ – يجب عدم استنشاق الدخان كثيراً حتى لا تزداد كمية النيكوتين والقطران بالجسم .

٤ – يجب أن ينفث الدخان بسرعة حتى لا يصل إلى الرئة وتحدث الأضرار وتتضاعف .

٥ – يجب عدم بلع الدخان حتى لا يصل إلى المعدة فيسبب القرحة .

٦ – يجب عندما ينفث الدخان من الأنف ألا يبقى مدة طويلة حتى لا يؤثر فى الأغشية .

٧ – يجب أن تطول مدة الراحة بين كل نفس وآخر حتى يقل امتصاص النيكوتين .

٨ – يجب تدخين السيجارة الجافة باحتراس فلا يسحب النفس بشدة حتى يقل النيكوتين .

٩ – يمكن استعمال السجاير ذات الفلتر لتقل كمية النيكوتين والقطران الداخلة فى الجسم .

**شجرة الدخان ( التبغ ) :**

**١ – تاريخ اكتشافها :**

إن كريستوف كولومبوس وزملاءه الذين اكتشفوا أمريكا الوسطى وغيرها من بقاع الدنيا الجديدة قد ذكروا قصة هذا النبات الذى انتشر استعماله بشكل غريب . فعندما دخلوا إلى جواناهامى ( سان سلفادور ) عام ١٤٩٢ شاهدوا الهنود الحمر من سكان هذه البلاد يدخنون التبغ على شكل لفائف من أوراقه بإشعال أحد طرفيها مع وضع الطرف الآخر فى الفم . ويقول هؤلاء إن المدخنين يظهر عليهم مظاهر الارتياح واللذة . وكانت حجتهم فى ذلك أن عملية التدخين هذه تعتبر مصدراً للاستمتاع ووسيلة للتسلية كما كانوا يعتقدون أنها مشجعة على العمل ومريحة للأعصاب نتيجة للاستمتاع برائحة ونكهة دخان هذا النبات التى تسبب اعتدال أمزجتهم .

ولقد ظهرت تسميات كثيرة لهذا النبات ، فقد سماه سكان جزر هايتى ( توباكومس ) كما أن الإسبانيين أطلقوا عليه هذا الاسم أيضاً لأنهم

قد عرفوه فى جزر توباجو التى تقع بجوار أمريكا الوسطى . وسكان المكسيك خاصة منطقة توباكو قد أطلقوا هذا الاسم عليه كذلك . ويظهر من هذا أن التسمية العربية للتبغ وهى الطباق جاءت من هذه الأسماء المتداولة منذ القدم . أما سكان البرازيل وهنود فلوريدا فكانوا يطلقون على هذا النبات اسم بينون .

كان من نتائج رحلة كولومبوس الثانية أن ظهر التبغ وعرف عنه الكثير ، وذلك بواسطة القس الإسبانى رومانو بانو الذى كان عضواً فى هذه الرحلة وكتب رسالة عام ١٤٩٧ أوضح فيها عادات سكان هذه المناطق المكتشفة ، ومنها الطريقة التى كانوا يستخدمونها فى تدخين أوراق التبغ . وربما ترجع المعلومات الحقيقية عن نبات التبغ واستعماله وزراعته إلى المؤرخ هرماندزدى توليدو فى سان دومنجو عام ١٥٣٥ فى كتابه عن تاريخ الهنود . ثم كتب فى هذا الصدد هرماندزدى توليدو الذى أرسله فيليب الثانى عام ١٥٦٠ إلى المكسيك لزيادة البحث واستكشاف القارة الجديدة . وقال فى ذلك إن التدخين كان مقصوراً على الطبقة الراقية . وأضاف توليدو أن المكسيكيين الأغنياء كانوا فى بلاد مونتزوما يسمون التبغ بالجتل وكان معروفاً لديهم باستعماله للتدخين بل كانـوا يستعملونه أيضاً كمادة منومة .

وكانت إسبانيا أول البلاد الأوربية التى زرعت هذا النبات عام ١٥١٨ بواسطة بعض مكتشفى الدنيا الجديدة الذين أحضروا البذور معهم . [illegible] توليدو أول من نقل البذور وكانت تزرع أولاً فى الحدائق للزينة من أجل زهورها أما أوراقها فاستعملت فى الطب . ومن إسبانيا انتقلت

زراعة التبغ واستعماله وتعاطيه إلى المستعمرات التابعة لإسبانيا ثم انتقل هذا إلى البلاد المجاورة لها . فانتشرت زراعته فى البرتغال ومنها إلى فرنسا بفضل جان نيكوت عام ١٥٥٨ – ١٥٥٩ الذى كان سفيراً لفرنسا فى البرتغال . وكان معروفاً فى ذلك الوقت بقيمته من الوجهة الطبية خاصة فى علاج آلام الرأس فتعاطته ملكة فرنسا وتبعها جميع أفراد البلاط . ولم يمض وقت طويل حتى أخذت عادة تناول التبغ سعوطاً تعم جميع الطبقات وسميت أوراق التبغ بالأعشاب المقدسة أو بأعشاب الملكة ومسحوقها بمسحوق الملكة ، وأطلق عليها الشعب بعد ذلك ( النيكوتين ) نسبة إلى اسم السفير الذى أدخلها البلاد وعرفت علمياً باسم ( عشب النيكوتين الطبى ) .
وقد جاء دور إنجلترا فى زراعة واستعمال التبغ متأخراً إلى عام ١٥٨٤ إذ يقال إن السير ولترويلى هو أول من أدخل التبغ فى إنجلترا من فرجينيا بأمريكا فى هذا العام ولكن بعض المؤرخين يرون أن دراك القبطان الإنجليزى حمله من فرجينيا إلى إنجلترا قبل أن يدخله نيكوت إلى فرنسا .
وبعد وصول التبغ إلى البرتغال وفرنسا وإنجلترا أخذ ينتشر فى جميع البلدان وبين جميع الطبقات ثم وصل إلى ألمانيا بعد الحرب الثلاثينية حيث نقله الجنود العائدون من الحرب . وعن طريق جنوة وفينسيا وصل إلى الشرق كما وصل عن طريق تركيا إلى النمسا وروسيا . وقد دخل إلى اليابان بواسطة البرتغاليين الذين رحلوا إليها لنشر المسيحية فى القرن السادس عشر .
وهناك أقوال بأن التبغ كان ينمو طبيعياً فى بلاد الفرس فى القرن الثانى عشر وفى أوربا ببلجيكا قبل اكتشاف الدنيا الجديدة . أما فى مصر فكان أول دخول التبغ بها فى عام ١٦٠١ – ١٦٠٣ ، وزاد استيراده زيادة

كبيرة فى عام ١٧٣٧ . وقد ورد من سوريا إلى دمياط وزرع فى هذه السنين إلى أن انتشر التدخين بين سكان مصر انتشاراً ملحوظاً عام ١٧٩٠ . فبدأ سكان الفيوم فى زراعته فى مساحات واسعة عام ١٧٩٩ . وفى عهد محمد على عام ١٨١٠ احتكر زراعته ثم انتقلت هذه الزراعة من مصر السفلى إلى مصر العليا عام ١٨٢٩ فكثر المدخنون وعم استعماله فى جميع أنحاء مصر . إلا أن النوع السورى المستورد كان يفوق فى جودته النوع المزروع بمصر . وفى ٢٥ يونيو عام ١٨٩٠ ، صدر الأمر العالى الذى حرم هذه الزراعة فى القطر المصرى . واقتصرت مصر على صناعة منتجات التبغ الذى كان يرد إليها من الخارج .

ومن ذلك يتبين لنا قصة التدخين أو قصة ظهور التبغ وتبتدئ عندما دهش كريستوف كولومبوس وبحارته حينما شاهدوا فى رحلتهم الأولى إلى العالم الجديد أهل البلاد ينفخون الدخان من أفواههم وأنوفهم . ولقد تعلم الهنود أن يلفوا أوراق التبغ بقشور الذرة الداخلية وعلى هذا النمط صنعوا السيجار الخام . وقد وجد رواد آخرون فى أقسام مختلفة من العالم الجديد بأن التبغ كان يعتنى به ويستعمله قدماء الوطنيين . فكان يستعمل فى كندا وفى جنوب خليج مكسيكو وفى أمريكا الجنوبية . ولم يدخن الهنود السيجارة فقط ، بل كانوا أحيانا يطحنون الأوراق ليدخنوها فى غليون من حجر أو خشب . كما أن غيرهم تعلموا أن يمضغوا الورق ، وغيرهم فى إحدى مناطق أمريكا الجنوبية كان يستعمل التبغ كمعجون ليوضع فى الفم وهو يقارن بالنشوق أو السعوط الحديث . وكان الهنود الذين يعتقدون فى الخرافات فى العالم الجديد يثقون بأن فى التبغ خواص سرية

مختلفة وتأثيرات ذات خصائص طبية . فكان استعمال الدخان فى غلايين عادة مألوفة كبرهان على السلامة والوئام بين الأفراد والقبائل .

كل ذلك جعل من السهل اجتذاب الانتباه الذى لاقاه المكتشفون الراجعون عندما أظهروا فى أوربا النبات الأمريكى السرى الذى يمكن تدخينه وفيه تأثيرات ذات منافع وفوائد مزعومة . وحينما رجع فرانسسكو فيراندسى إلى إسبانيا عام ١٥٥٨ حمل معه التبغ الذى حصل عليه فى مكسيكو . ثم خان نيكوت الذى من اسمه اشتق لفظ نيكوتين قد أدخل التبغ إلى فرنسا فى سنة ١٥٥٩ . وكذا السير فرانسيس دريك ورالف ليه أول حاكم فى فرجينيا أخذا معهما التبغ إلى إنجلترا فى سنة ١٥٨٥ . ومن هذه البيانات يمكن أن نعرف أن استعمال التبغ انتشر بسرعة فى كل بلدان أوربا حتى فى آسيا . ثم أصبح طلب التبغ عظيماً جداً فى أوربا حتى أنه قد أنشئت بسرعة تجارة مهمة لهذه السلعة الجديدة . ولقد نمت كذلك زراعة التبغ والعناية به فى جوار جيس كاون فى العالم الجديد بسرعة بعد أن تأسس هذا البلد عام ١٦٠٧ وفى عام ١٦١٩ شحن عشرون ألف رطل من هذه المدينة إلى إنجلترا . كما أن الشروع بتصدير التبغ بدأ فى مارلاند نحو سنة ١٦٣١ وبذلك تكون زراعة التبغ واستعماله وتصديره قد استمرت تتزايد فى أمريكا مع تزايد السكان وإلى عام ١٦٨٠ كانت أشكال التبغ المألوفة لا تزال السيجارة وغليون التبغ ومضغ التبغ والنشوق .

## تاريخ مكافحة التبغ :

من تاريخ اكتشاف الدخان ( التبغ ) يتضح أن زراعة هذا النبات

واستعماله قد انتشرت بشكل واضح وبسرعة جداً فى جميع بلدان العالم وذلك على الرغم من مكافحته والوقوف ضده فى كثير من الأقطار بمنع زراعته وفرض العقوبات على المتعاطين . وبينما كانت الملكة كاترين تحمى التبغ فى فرنسا نظراً لاعتقادها بمفعوله الشافى كان غيرها من الملوك لا يميلون إلى تشجيع ظهور عادات جديدة كالتدخين . ففى عام ١٦١٩ استعمل ملك إنجلترا الشدة فى مكافحة استعمال التبغ وقال عن عادة التدخين إنها قبيحة المنظر كما أن التبغ نفسه كريه الرائحة خطر على المخ ومضر للصدر . وجاء عام ١٦٢٨ فحرم البابا أرخين الثالث دخول الكنائس على كل من يستعمل التبغ ، كما أنه فى موسكو عقب حريق فى عام ١٦٥٠ بسبب التدخين عاقب الدوق ميشيل فيدور فيتسن المدخنين بالضرب والأذى وكانت أحكامه شديدة رادعة وصلت إلى الإعدام . وفى عام ١٦٥٢ صدر أمر بمنع زراعة التبغ فى إنجلترا ومصدقاً عليه من البرلمان ولا يزال هذا القانون نافذاً للآن .

وأما فى بعض البلاد الشرقية فإن الملوك يهددون من يتعاطى التبغ بالعذاب أو حتى القتل . وقد أعلن السلطان مراد الرابع فى تركيا مستنداً إلى أحكام القرآن الكريم والشريعة الإسلامية فى تحريمها الخمور . فحرم تعاطى التبغ أيضاً وأوصى بمعاقبة المدخنين . هذا وشاه إيران عباس الأول قد بالغ فى الانتقام من المدخنين والتنكيل بهم فكان يقتلهم بالخازوق ، وظن أنه يستطيع بمثل هذا العقاب الشديد أن يمنع انتشار زراعة التبغ وتعاطيه فى بلاد الفرس . وحذت اليابان وغيرها من البلاد حذو هذه الأمم فى فرض العقوبات الشديدة على المدخنين فلما

أخفقت جميع التدابير التى اتخذت بالعقوبات الصارمة السابق ذكرها فى منع التدخين أو زراعة التبغ من العرامات الكثيرة فى إنجلترا وقطع الأذن فى الشرق والنفس فى روسيا واللعن والوعيد فى إيطاليا من جهة البابا . وتعب أولو الأمر فى جميع البلاد من هذا الكفاح الشديد الذى لم يأت بنتيجة حاسمة . ولم تؤد العقوبات ما كان مرجواً لها من نجاح . فتراخوا فى تطبيق القوانين الشديدة واستعاضوا عنها بأخرى مدنية كمنع الشبان من التدخين ومنع زراعة التبغ وسط الحدائق وبين مزارع الخضراوات .

ثم تطور الحال بعد ذلك واتضح للبلاد المختلفة أن زراعة التبغ والاتجار به أو القيام بتحويله بالطرق الصناعية اليدوية والميكانيكية إلى سجاير وسيجار أو ما شابه ذلك من أنواع وأشكال ، إنما هو تجارة رابحة وباب إيراد مضمون وافر لا ينقطع . ففتحت الدول لهذا النبات ( نبات الدخان ) أبوابها كل بحسب استعداده الزراعى أو الصناعى أو التجارى . فبعض الدول تركت هذه الأعمال كلها أو بعضها حرة تبعاً لجهود الأفراد يتولونها بأساليبهم المختلفة نظير دفع ضرائب مقررة ، والبعض الآخر من الدول احتفظت لنفسها بحق الاشتغال بهذه الأعمال كلها أو بعضها لتضمن لخزانتها جميع الأرباح الناتجة من الاحتكار . ففرضت فرنسا بادئ الأمر ضرائب على استيراد التبغ من الخارج عام ١٦٢١ ثم احتكرت تجارته عام ١٨١٠ . وكذلك فعلت النمسا عام ١٧٨٤ وإسبانيا عام ١٧٣٠ . أما فى إنجلترا فقد حرمت زراعة التبغ فى أراضيها منذ عام ١٦٥٢ إلا أنها كانت تحصل على رسوم جمركية ذات قيمة مما يرد إليها من التبغ من الخارج لأن استعداد هذه البلاد للصناعة أكثر من الزراعة .

إن الشيء الذى يلفت النظر حقيقة فى شأن التبغ ليس استمتاع أفراد الشعوب المختلفة به وثباتهم على استعماله رغم قوانين المنع الشديدة ، بل هو سرعة انتشار استعماله بين الأفراد على اختلاف طبقاتهم فى جميع البلدان فى مدى أربعة قرون فقط رغم ما ينتاب كل شخص تستهويه هذه اللفافة من كره واشمئزاز بادئ الأمر ثم لا يلبث أن تتوطد بينه وبين السيجارة على مر الزمن وحكم العادة حب عميق وألفة وثيقة . ولذلك فإن التبغ قد استطاع فى مدة وجيزة أن يغزو العالم ويسيطر عليه وأن انتشار تعاطيه فى جميع الأنحاء وبين جميع الطبقات رغم التحذيرات والتهديدات ورغم أضراره وسمومه – يعد نصراً له ليس بعده نصر .

ورغم هذا الانتشار السريع الذى لاقاه التبغ فى استعمالاته فهناك فئات تتهم التدخين وتدعو إلى عدم استخدامه لاعتقادهم فى ضرره وتأكدهم من خطورته . ومن هؤلاء علماء الإحصاء الذين يقدرون معدل العمر والعلماء القادة الذين يعملون فى مجال الصحة وقد حشدوا جميعهم معلومات وحقائق عن عمر المدخن . فنجد أولاً بين هؤلاء الدكتور ( ريموند بيرل ) من علماء البيولوجيا فى مدرسة الصحة والصحة العامة فى جامعة جون هوبكنز . وفى مستهل عام ١٩٣٨ نشر الدكتور بيرل اكتشافه القائل بأن حياة المدخنين حسب الدلائل أقصر من حياة غير المدخنين ، ومن الدراسات الهامة التى قام بها الطبيبان هاموند وهورن بقسم البحث الإحصائى فى جمعية السرطان الأمريكية أن فى مصر ١٨٧.٧٨٣ رجلاً من ذوى الصحة الجيدة . فقد تبين ممن ماتوا فى أثناء مدة أربعة وأربعين شهراً من المراقبة وعددهم ١١,٩٠٧ من الرجال –

وذلك بمقارنة عادات التدخين مع سبب الوفاة – بأن تدخين التبغ كانَ مقترناً على الفور مع وقوع نسبة أعلى من الداء والموت المبكر ، ثم قام آخرون من علماء الإحصاء بدراسة مماثلة ضمت الدكتور دول والدكتور هيل فى إنجلترا وقد كتبوا تقريراً فى عام ١٩٥٤ وآخر فى عام ١٩٥٦ عن وفاة الأطباء الذين لهم علاقة بعادات التدخين. كما أن الدكتور دورن عضو المعهد الوطنى الأمريكى قد درس فى عام ١٩٥٤ العلاقة بين التدخين وداء السرطان مستعملاً حوالى ٢٠٠,٠٠٠ أمريكى من الجنود الحربيين للدراسة ومن معارضى التدخين كذلك الأطباء الجراحون الذين يعملون فى مجال سرطان الرئة. فالدكتور التون أوكسنر رئيس الجمعية الأمريكية للجراحة الصدرية إلى تمام ١٩٤٨ ثم رئيس جمعية السرطان الأمريكية إلى عام ١٩٥٠ ورئيس كلية الأطباء الجراحين الأمريكية إلى عام ١٩٥٢ كان من أوائل من أوضح الاعتقادات الراسخة عن العلاقة بين التدخين وسرطان الرئة. وكذلك الدكتور ايفرترجراهام وهو رائد فى الجراحة الصدرية عام ١٩٣٣ كان قد أزال رئة بأكملها من مريض بسرطان الرئة من المدخنين وفى عام ١٩٥٠ اقتنع اقتناعاً كاملاً بأن سرطان الرئة يحدث فى المدخنين أكثر من غير المدخنين. ولقد نشر أفكاره وتجاربه فى السجلاّت العلمية عن ٦٨٤ حالة إصابة بالسرطان الرئوى. ولقد وجد فيها تلميذه اللامع أرنست وندر أن حوالى ٩٤ ./ من المرضى الذكور المصابين بسرطان الرئة كانوا من مدخنى السجاير وهذه نسبة مرتفعة. وهناك من فئة من يفهم التدخين ويعارضه الباحثون الذين ينقبون عن التأثير الخاص الذى يحدثه التدخين على أنسجة الجسم ، ومن هؤلاء الدكتور أرنست وندر نفسه الذى

انضم إلى الدكتور جراهام فى دراساته لإصابات السرطان فى الرئة . كما أن عمله ونتائجه تعتبر دليلاً يؤيد التهمة الموجهة إلى التدخين . وهناك أيضاً الدكتور أوسكار أورياخ بالولايات المتحدة وزملاؤه قد قاموا بدراسات عن التغييرات التدريجية التى تحدث فى أنسجة الرئة نتيجة للتدخين . وتعتبر نتائجه هذه خطوة هامة فى معرفة الطرق التى بها يساعد التدخين على إحداث السرطان .

وهناك هيئات وجمعيات علمية تقف بعدل وإنصاف مع كل أولئك المقتنعين بأن التدخين خطر على الصحة . ومن هذه الوكالات الوطنية التى تحافظ على صحة الشعب الأمريكى وخدمة الصحة العامة للولايات المتحدة كالجمعية الأمريكية للسرطان ثم الجمعية الطبية الأمريكية . فهذه الوكالات قد اتخذت خطوات جريئة ومناسبة لتنذر الشعب وتخبره عن الإحصاءات المتجمعة والأدلة العلمية بأن التدخين يزيد المرض ويقصر الحياة . وهناك غير هذه وزارة الصحة البريطانية ومؤتمر الأبحاث الطبى البريطانى قد أصدرا أيضاً التقارير المشددة التى تبين أن التدخين أصبح معروفاً بأنه خطر على الصحة .

وجاء نتيجة لهذه البيانات والإحصائيات من المختصين الحذر الشديد من تدخين السيجارة رغم كونها عادة شائعة . وقد ظهر من ذلك فئات كثيرة من الناس كفت عن التدخين وكان أعلى معدل للانقطاع عن التدخين هو من العمال المهنيين والمديرين والملاكمين والمزارعين . كما ظهر أيضاً أن العمال المهنيين والمزارعين يمثلون أعلى نسبة لغير المدخنين الذكور . أما بين النساء فأقل نسبة للمدخنات منهن عن الذكور وكذلك

أعلى معدل للانقطاع عنه تحدث بين اللواتى يعشن فى المزارع وهكذا نجد أن هناك فئات معينة التى بسبب الضغط الاجتماعى والاقتناعات الشخصية أو التعليل العقلى هى أكثر مقاومة للتدخين من السكان بوجه عام . كما وجد أيضاً أن أعضاء هذه الفئات حينما يتبعون عادة التدخين فإنهم على الأرجح أقرب إلى الإقلاع عنه من غيرهم ومما يشير إلى الوعى ضد التدخين كساد بيع السجاير فى عامى ١٩٥٣ - ١٩٥٤ حينما أخذت اللجنة العلمية تبين العلاقة بين التدخين وسرطان الرئة علاوة على الأمراض الأخرى التى أثبتها العلم أنها من مخلفات التدخين . ولذلك فإن الكثير من المدخنين المدمنين قد قبلوا الوضع على علته وتركوا استعمال السجاير . وآخرون تعمدوا إنقاص عدد السجاير الذى اعتادوا عليه والإقلال من التدخين اليومى لهدف الإقلال من أخطار التدخين .

ولقد كان من نتائج البحوث الحديثة وصراحة العلماء حفظاً على الصحة العامة أن تبين الناس أو كثير منهم خطر التدخين رغم المدافعين عنه بقوة والداعين له أمثال العاملين فى مصانع الدخان وهم عديدون والعاملين فى زراعته وكذا بعض المحررين والناشرين فى المجلات والجرائد فى الولايات المتحدة وغيرها من بلاد التدخين التى تنتشر فيها إعلانات التبغ ، وقد بلغت قيمتها فى عام ١٩٥٤ خمسة وستين مليون دولار ، ويقال عن هؤلاء إنهم إذا ما نشروا فى جانب التدخين فإن ذلك يكون بشىء من الأسباب فى الوقت الذى فيه ينشرون ضده بشىء من التخطيط والاختصار والالتواء ويدفع عن التدخين كذلك المدخنون الذين رسخت فيهم عادات التدخين رسوخاً قوياً حتى إنهم لا يستطيعون قهرها بسهولة

فيحاولون تبرير التدخين بدلاً من قهر العادة . وهناك دلائل قوية تشير إلى قوة التقارير العلمية والإحصائية ضد التدخين رغم جهد المدافعين عنه . فعند بدء عام ١٩٥٠ ظهرت سلسلة تقارير إحصائية مفزعة ألقت الرعب فى قلوب الكثير من المدخنين الذين كانوا يتساءلون هل يمكن أن تكون اللذة البريئة (التدخين) حقًّا تقصر الحياة وتهدده بمرض القلب وسرطان الرئة وأصبح الرعب فى الولايات المتحدة بلد التدخين - عام ١٩٥٤ شاملاً حتى إن إنتاج السجاير عند أصحاب المصانع سنة ١٩٥٤ ، وهى سنة القمة قد تدهور من ٤٣٥.٥٠٠ سيجارة إلى ٤٠٢.٠٠٠ مليون سيجارة وبهذا الدليل الملموس صار مدخنون كثيرون يهتمون اهتماماً أكثر بصحتهم وحيويتهابدلاً من الالتصاق بعادة مألوفة لا فائدة منها . ولكن صناعة الدخان - رغم كل هذا - قامت بحملات لتسكن روع الجمهور وتحدد صفقاتها المادية فعملت بوسائل الدعاية والتشجيع ثم أنشأت أصنافاً جديدة للسجاير منها ذات الحجم الكبير وذات الفلتر لتحجز مكونات السجاير الضارة قبل وصولها إلى الجسم . ثم إنها عملت على إظهار ثورة مضادة للقول بعدم التدخين للدفاع عن التدخين والمدخنين .

**تجارة التبغ :**

يبين الجدول التالى محصول التبغ فى العالم والبلاد التى تزرعه والصادرات والواردات بالمليون رطل .

| البلد | المحصول | الصادرات | الواردات |
|---|---|---|---|
| كندا | ٧٠ | ١٥ | ٥ |
| الولايات المتحدة | ١٤٠٠ | ٤٥٠ | ٧٠ |
| كوبا | ٥٠ | ٣٠ | — |
| البرازيل | ٢٠٠ | ٧٠ | ٢ |
| إنجلترا | — | ٨ | ٢٤٠ |
| ألمانيا | ٦٠ | ١ | ٢٠٥ |
| فرنسا | ٧٣ | ١ | ٦٥ |
| هولاندة | — | ٤ | ٦٥ |
| المجر | ٦٢ | ٢٠ | ٢ |
| إيطاليا | ١٠٠ | ٨ | ٥ |
| بلغاريا | ٦٢ | ٥٠ | — |
| اليونان | ١٢٠ | ٩٠ | — |
| روسيا | ٣٥٠ | ٨ | ٤ |
| تركيا | ١١٥ | ٦٠ | — |

| البلد | المحصول | الصادرات | الواردات |
| --- | --- | --- | --- |
| الهند | ١١٠٠ | ٤٠ | ١٢ |
| الصين | ١٠٠٠ | ٣٠ | ٥٠ |
| بورما | ١٠٠ | — | — |
| اليابان | ١٤٢ | ٣ | ١٥ |
| إندونيسيا | ٢٣٠ | ١١٠ | ٣ |
| جزائر الفلبين | ٩٠ | ٤٠ | ١ |

# المراجع

## أولاً – المراجع العربية :


١ – القرآن الكريم
٢ – الكتاب المقدس
٣ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن — محمد فؤاد عبد الباقى
٤ – الطب النبوى — الحافظ أبى عبد الله
٥ – تاريخ الطب — شوكت الشطى
٦ – الإسلام والطب — شوكت الشطى
٧ – الإسلام والطب — محمود وصفى
٨ – منهج القرآن فى بناء المجتمع — محمود شلتوت
٩ – الروح الخالدة — على نصوح الطاهر
١٠– المسيحية وفلسفة العلم — أمبر جيد
١١– الروح — موريس تاضروس
١٢– الكنز الثمين فى أحاديث النبى الأمين — أبى الفضل عبد الله
١٣– وفى أنفسكم أفلا تبصرون ( تحت الطبع ) — عبد العزيز أحمد شرف
١٤– النباتات الطبية — عبد العزيز أحمد شرف
١٥– الدخان والتدخين — عبد العزيز أحمد شرف
١٦– إحياء التذكرة فى النباتات الطبية — رمزى مفتاح
١٧– التداوى بالأعشاب — أمين رويحة
١٨– مفردات الأدوية ( المعتمد ) — الملك المظفر

ثانياً – المراجع الأجنبية :


1. The religion of Islam - *A. Galwash.*
2. Prophit of Islam - *I. Kashmiri.*
3. Civilization of Islam - *H. Gibb.*
4. Principles of Vet. Pharmacotherapy - *A. Sharaf.*
5. Pharmacology of Drug Plants. - *A. Sharaf.*
6. Pharmacology and Therapeutics - *W. Dilling.*
7. The Pharmacological principles - *Krantz & Carr.*
8. The Pharmacological Basis - *Gobdman & Gilman.*
9. Drug Plants of Africa - *T. Githen.*



| رقم الإيداع | ١٩٧٨/٢١٨٦ |
|---|---|
| الترقيم الدولى | ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ١٩٨ – ١ |

١١٢/٧٧/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)




# معالم الأدب العالمى المعاصر

للدكتور نبيل راغب

جولة فى رياض الآداب العالمية المعاصرة ينقل إلينا الكاتب خلالها صورة واضحة المعالم عن الأدب الإنجليزى ، والفرنسى ، والأمريكى ، والإيطالى ، والألمانى ، والروسى ، والأسبانى . والكندى . . ويقدم لنا باقة من الآراء النقدية التى تجعلنا نقف على الكثير من مظاهر التأثير والتأثر بين الآداب العالمية . .

الثمن ٢٠ قرشاً